

مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة اطروحات الدكتوراه (١٨)

المعرفة والسلطة في المجتمع العربي

الأكاديميون العرب والسلطة



الدكتور امحمد صبور

المعرفة والسلطة في المجتمع العربي

الأكاديميون العرب والسلطة



مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة اطروحات الدكتوراه (١٨)

المعرفة والسلطة في المجتمع العربي

الاكاديميون العرب والسلطة

الدكتور احمد موسى بدوي

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن اتجاهات يتبناها مركز دراسات الوحدة العربية»

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» ـ شارع ليون ـ ص.ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان
تلفون: ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧ ـ ٨٦٩١٦٤ ـ برقياً: «مرعربي»
تلكس: ٢٣١١٤ مارابي . فاكسيميلي: ٨٦٥٥٤٨

الطبعة الاولى

بيروت، أيار/ مايو ١٩٩٢

المحتويات

قائمة الأشكال

قائمة الجداول

تمهيد وشكر

إن إجراء دراسة على جماعة من المثقفين كالأكاديميين العرب الذين، حسب مهنتهم واهتمامهم الفكري، تربطهم بالباحث علاقات متعددة، هو عمل مثير وصعب. أولاً، لأن الباحث يجد نفسه بطريقة غير مباشرة هدفاً ودريئة للتأويل والتحليل الذي هو في صدد انجازه؛ ثانياً، لكونه ـ فكرياً وعملياً ـ عضواً في الجماعة نفسها، ويجد نفسه في بعض الحالات في موقف عسير للابقاء والحفاظ على مدى بين التحليل العلمي الموضوعي الذي يحاول اتباعه في دراسته من جهة وتجربته الشخصية وانتمائه الى الحقل الأكاديمي الذي يقوم بدراسته، من جهة أخرى. لقد حاولت أن أُخضع هذه التجربة والانتماء لخدمة التحليل العلمي الموضوعي.

ينبغي أن أشير إلى المساعدة والتضامن اللذين حصلت عليهما من عدد كبير من الأخوات والإخوة الأكاديميين لإنجاز هذه الدراسة. فمن دون مشاركتهم الفعّالة لم تكن هذه ممكنة. لهذا، أريد أن أتقدم بشكري الجزيل إلى ١١٠ أكاديمي وأكاديمية تفضلوا وأجابوا عن أسئلة الاستمارات، وبعض منهم شارك في استجوابات أجريتها معهم. أنا لا أذكر أسماءهم ولا أسماء الجامعات التي ينتمون إليها لأنه اتُّفِق أن تبقى مجهولة. ولكن عند قراءة هذه الدراسة المتواضعة يمكنهم التعرّف بسهولة إلى أنفسهم. أتمنى، من جهة أخرى، أن تكون النتائج التي خرج بها هذا الكتاب مفيدة لهم وتتيح إلقاء الأضواء على بعض الجوانب من واقعهم في الحقل الجامعي وفي المجتمع العربي المعاصر.

كذلك أود أن أشكر د. محمد عابد الجابري و د. سعيد بنسعيد العلوي على كل ما أبدياه من ملاحظات ونقد وتشجيع قيِّم من خلال قراءتها المخطوطة.

وشكري وامتناني أيضاً إلى د. محمد آعفيف، الذي قام بنقل هذه الدراسة من

الانكليزية إلى العربية، على الجهد الذي بذله في عمله، وعلى جودة الأسلوب والتعبير العربي الذي طبع به النص.

محمد صبور

يووانسو، فنلندا، ٢٠ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٢

مقـــدِّمـــة

«لنتفحّص عن كثب: من هو الرجل العلمي؟ أولاً، إنه نوع من الانسان العادي، ذي فضائل عادية: بمعنى أنه نوع من الرجال غير مسيطر، غير آمر، ونوع من الرجال غير المكتفين ذاتياً؟ إنه يتمتع بالكدّ، وبالتكيّف الصبور للتصنيف، وبالرصانة، وبالاعتدال في المقدرة والحاجات؛ ولديه الموهبة بالنسبة الى الأشخاص أمثاله، وبالنسبة الى ما يتطلّبون ـ مثلاً: نصيب من الاستقلال والمرج الأخضر اللذان لا راحة من العمل من دونهما، والمطالبة بالإجلال والاعتبار (اللذين يفترضان اولاً، وقبل كل شيء، الاعتراف والوحدة)، وإشراق الاسم الكريم، وإقرار قيمته ونفعه اللذين ينبغي معهما الارتياب الداخلي القائم في عمق قلب كل البشر التابعين والحيوانات السربية (العائشة على شكل اسراب أو قطعان)، ان يتم التغلّب عليه المرة تلو المرة. ان للعالم، كما هو ملائم، كذلك أدواء واخطاء من النوع الحقير: إنه مفعم بالحسد التافه، وهو حادّ البصر بالنسبة الى نقاط الضعف لدى ذوي الأمزجة التي لا يستطيع بلوغ سموها.»[1].

قـمْ لـلـمـعـلـم وفّـه الـتـبـجـيـلا   كـاد الـمـعـلـم أن يـكـونَ رسـولا[2]

«نعم، أنا أستاذ، ثم ماذا وراء ذلك؟ فأنا انسان لا حول لي ولا قوة، فلا معرفتي وشهاداتي تمنعني من عنف البيروقراطية وخشونتها، ولا هي تضمن لي حياة فكرية ومادية كريمة. بالاضافة إلى هذا، هناك نقص في المكانة والاعتبار اللذين يُعطيان لامثالي. فالناس مثلي مرغمون بحكم ظروفهم على أن يتجرعوا مرارة الاهانات التي تسقيهم إياها ظروف وجودهم، وعلى أن يتأقلموا مع جانب نكران الفضل والجميل في وظيفتهم...».

«... فهو محروم مادياً ومنهك بالعمل الذي تنقصه فيه كل التسهيلات الضرورية (من مكتبة وتجهيزات) للقيام بالنشاط العلمي. ونحن نواجه بأكف خالية من أي سلاح نظاماً مهيمناً.

(١) Friedrich Nietzsche, «We Scholars,» in : George Bernard de Huszar, ed. , *The Intellectuals: A Controversial Portrait* (Glencoe, Ill.: Free Press, 1960), p. 122.

(٢) أحمد شوقي في قصيدة بعنوان: «قم للمعلم».

فهذا وضع لا يطاق بالنسبة إلى من يراد منهم أن يكونوا حاملين مشعل العقلانية والعصرنة، وأن يكونوا مربين للأجيال الصاعدة، وأن يكونوا دعاة للتنوير الثقافي. فقد وضعنا في حلبة يطلب منا فيها الكثير، لكن لم يوضع في أيدينا وتحت تصرفنا أي شيء للتعامل مع هذا الموقف الصعب الكثير المتطلبات. . .».

(أستاذ/ علوم التربية).

يصف هذا التصريح الذي أدلى الينا به أحد الاساتذة، وصفاً دقيقاً، رغم نبرته التشاؤمية، الوضع الذي يوجد فيه المثقفون العرب بصفة عامة والاكاديميون منهم بصورة خاصة. وهو وضع الوهن والضعف. وقد نتج هذا الوضع من عوامل متعددة الأبعاد تتحكم في بقائه وزواله. ذلك أن الموقع الاجتماعي للمثقفين، في أي مكان وزمان، يتحدد أصلاً ونوعاً بما يتمتع به المثقفون من نفوذ وسلطة. ويتجسد هذان النفوذ والسلطة في المعرفة التي تتمثل في المهارات والخبرات العلمية والفكرية وغيرها من الملكات والقدرات التي يمتلكها المثقف أو جماعة المثقفين في مجتمع ما. ويمنح هذان النفوذ والسلطة اصحابها موقعاً اجتماعياً خاصاً ومحدداً تحديداً دقيقاً وواضحاً، وذلك لما لهذه السلطة من خاصيات نسبية. إذ بفضل هذا الموقع يصنَّف هؤلاء إما تصنيفاً أفقياً ضمن الفئات المتعلمة الأخرى من أمثالهم، وإما تصنيفاً عمودياً ضمن مختلف الطبقات والشرائح الاجتماعية. وتتحدد سلطة المعرفة في أصلها ونوعها، شأنها شأن أشكال السُلَطْ الاخرى، بالعوامل الاقتصادية والثقافية والسياسية والايديولوجية السائدة في المجتمع الذي توجد فيه. وبالإضافة إلى هذا يمنح نفوذ المعرفة الوجاهة والسلطة لمن يمتلكها[٣].

إلاّ أن سلطة المعرفة يمكن أن تكون عرضة للتحدي من قِبل الآخرين، فهي في هذا لا تختلف في شيء عن التحديات التي يمكن أن تعرفها أشكال السلطة الاخرى. ولذا كان من الطبيعي أن يسعى أصحاب السلطة والنفوذ سعياً جاداً وواعياً، إلى تقوية سلطتهم ونفوذهم والزيادة من حجمها أو الرفع من مكانتها على الاقل. ومن ثم عادة ما يحاول أصحاب النفوذ المعرفي تحويل سلطتهم المعرفية إلى سلطة اجتماعية تتسم بقوة اجرائية وبمشروعية مؤسساتية تحظى باعتراف الآخرين. وهم في سعيهم هذا مرغمون على سلوك قنوات متعددة واتخاذ استراتيجيات مختلفة لبلوغ السلطة وتكريسها وضمان بقائها. وبما أن المعرفة تشكّل صنفاً من أصناف رأس المال، فإنها تخضع بالضرورة للقوانين التي يخضع لها رأس المال، فكلما كان المنتوج قليلاً، زادت قيمته وكثر الإقبال عليه وعظم احترام الناس له. ومنه أيضاً أن سلوك المثقفين لا يختلف عن سلوك مالكي رأس المال الآخرين، فهم يسعون إلى استثمار أرصدتهم في سوق المعرفة، ويخضعون لتقلبات العرض والطلب في السوق الذي يعرضون ويستثمرون فيه. ذلك ان المعرفة تتأثر قيمتها بمدى حاجات المجتمع لها من جهة، وتتأثر بمتطلبات

---

(٣) نستعمل هنا سلطة المعرفة ونفوذ المعرفة بكيفية متوازية. وهما معاً مأخوذان من الرأسمال المعرفي، وفي بعض الأحيان يستعملان كبديل لهذا الرأسمال.

النموذج المؤسساتي والرمزي من جهة ثانية. وهكذا، كلما كان النموذج الإيديولوجي يقدّر الرأسمال المعرفي وكان هذا الاخير يعزز النموذج ويقوّيه، حصل أصحاب المعرفة على شكل مميز من السلطة وَوُضعوا في موقع يمكنهم منه التعامل مع المجموعات الأخرى ومساومتها من موقع قوة.

وهناك علاقة وطيدة بين القيمة المعطاة للرأسمال المعرفي ودرجات رقي المجتمع وتقدمه، إذ إن حدود رأس مال المعرفة تُرسم وفقاً لما بلغه المجتمع من تقدم وتبعاً للأهداف المرسومة والوسائل المتبعة لبلوغها. ذلك انه توجد في تاريخ المجتمعات مراحل تعطى فيها الاولوية لقضايا بعينها دون غيرها (كأن تعطى الاولوية للقضايا الاقتصادية أو الثقافية أو الاجتماعية. . .).

وحسب تلك الاولويات، يخوّل النفوذ والسلطة لمجموعة أو مجموعات من الانتلجنسيا دون أخرى. وفي المجتمع العربي، الذي ما يزال في طور النمو، وحيث شكّلت قضية التنمية وما تزال منذ عدة عقود القضية الوطنية الأولى، تحصل مجموعات التقنوقراطين ورجال القانون والسياسة على موقع متميز في هرمية السلطة والنفوذ.

ومما لا شك فيه ان واقع المجتمعات العربية هذا يتسبب في خلق توترات ونزاعات بين فئات المثقفين، بعضها خافٍ وبعضها بادٍ للعيان. وتظهر هذه النزاعات بين من يمكن أن نصطلح على تسميتهم بمثقفي الأمراء ومثقفي الجماهير، وبين المثقفين الموجهين توجهاً تقنوقراطياً، والمثقفين الموجهين اجتماعيا وانسانيا (المختصين في العلوم الاجتماعية والانسانية)، وبين المتقلدين للسلطة والساعين نحوها، وبين المحافظين ومن يتحداهم من أنصار التغيير، وبين الموجهين توجهاً عربياً والمدافعين عن التقاليد، وبين القادمين الجدد وحراس أبواب السلطة، وبين المثقفين المجيدين لكل شيء والمثقفين الواقعين خارج السلطة.

وفي هذا الصدد، يربط أندرسكي (Andreski)(٤) في تحليله لموقع المثقفين، مكانة هؤلاء ومستوى ما تبلغه في المجتمع، بخصوصيات الخدمات التي يقدمونها والمهارات التي يمتلكونها، ومدى حاجة المجتمع إليها، ومدى توافرها أو قلّتها فيه. ويضيف أندرسكي أن سلطة المثقفين، بصفتهم مالكين صنفاً من المعرفة، تتحدد بعاملين، يرتبط أولهما بالوجاهة التي يحظى بها المثقف والمعرفة في المجتمع، ويرتبط ثانيهما بطبيعة النموذج الأيديولوجي المهيمن في المجتمع والأهداف التي يرمي إليها. ويميز غولدنر (Gouldner)(٥) في الأنتلجنسيا بين فئتين:

---

(٤) Stanislav Andreski, *The Uses of Comparative Sociology* (Los Angeles; Berkeley, Calif.: University of California Press, 1965), pp. 201-224.

(٥) Alvin Ward Gouldner, *The Future of Intellectuals and the Rise of the New Class: A Frame of Reference, Theses, Conjectures, Arguments, and a Historical Perspective on the Role of Intellectuals and Intelligentsia in the International Class Contest of the Modern Era* (New York: Macmillan Press, 1979).

فئة المختصين في العلوم الانسانية وفئة التقنيين، فبينما تسعى الفئة الأولى بطبعها إلى تحدي الواقع الراهن، تعمل الفئة الثانية على بناء النموذج المهيمن وتدعيمه. وبما أن الايديولوجيا التقنوقراطية والعلمية هي السائدة في مجتمعات اليوم، فإن الأنتلجنسيا التقنوقراطية تملك رأس مال معرفي تفوق قيمته قيمة الرساميل التي تملكها فئات الانتلجنسيا الأخرى. وعلى الرغم من أن غولدنر يتخذ مرجعيته الأساس من المجتمعات الصناعية، فإن أفكاره يمكن اعتبارها ملائمة لتحليل التوجه التقنوقراطي في عدد من الأقطار العربية. ويربط بورديو (Bourdieu)[6] من جهته بين المكانة الوجيهة لـ «الانتلجنسيا العليا» (كمكانة الأكاديميين) وبين خصوصيات رأسمالها الثقافي والفكري وطبيعته. إذ بإمكان رأس المال هذا أن يصبح مصدراً للسلطة والنفوذ والتميز. ومن ثم يسعى الأكاديمي إلى مراكمة مصادر السلطة الأكاديمية وتنويعها، فهو يسعى إلى اكتساب كل صنوف رأس المال، من رؤوس أموال ثقافية واجتماعية وتعليمية ورمزية. وهو يرمي من وراء عمله ذاك إلى المحافظة على موقعه المهيمن وعلى حمايته من المنافسين (الذين يوجدون معه في الشريحة نفسها) والقادمين الجدد إلى المجال الأكاديمي. والملاحظ انه يحافظ على هذا الوضع في المجال الأكاديمي ويعاد انتاجه فيه. ويرى بورديو في شأن سلطة الاكاديمي أن هذه السلطة تتشكل من جهة أولى من القدرة على التأثير في التوقعات، ومن جهة ثانية من التأثير في الاحتمالات الموضوعية، خاصة ما تعلّق منها بالحد من عدد المنافسين المحتملين. . . »[7].

تشكّل نظرية بورديو جزئياً الهيكل العام لهذه الدراسة، ومع اعتمادنا النسبي والجزئي على بورديو، فقد أخضعنا نظريته أحياناً لعدد من التغيرات الجوهرية، اعتباراً منا لأصول الهيئة الأكاديمية العربية وتطورها من جهة، ولخصوصيات توزيع السلطة والنفوذ في المجتمع العربي من جهة ثانية. واضافة إلى هذا، اعتبرنا مقاربات نظرية أخرى وطبقناها حتى نلمّ الالمام الضروري بالمجال الأكاديمي العربي.

وهكذا سلكنا السبيل التالي في دراسة الأكاديميين العرب: ففي **الفصل الأول** عرّفنا بغايات الدراسة وأهدافها والمنهج المتبع فيها،وقدّمنا نظرة عامة عن المفاهيم المستعملة فيها، مع تأكيد خاص على مفاهيم بورديو. وفي **الفصل الثاني**، أعطينا وصفاً عاماً لموقع الأكاديميين العرب والتمثلات التي يقيمونها لمجالهم الجامعي، وعززنا ذلك بخطاطة عامة توضح مفاهيم رأس المال، والهابتوس، والتمثل، المستعملة في تحليلات بورديو. أما **الفصل الثالث**، فقد خصصناه لموقع الأكاديميين في البنية الاجتماعية، حيث اهتممنا في قسمه الأول بالكيفية التي تصّنف بها الطبقات بصورة عامة، وفي قسمه الثاني بكيفية تصنيفها في المجتمع العربي بصورة خاصة. وركزنا في **الفصل الرابع** على دراسة التكوين الثقافي والتاريخي للمثقف الأكاديمي العربي وأسباب توجهه نحو وظيفته الراهنة. أما **الفصل الخامس**، فهو مخصص برمته للمرأة

---

(٦) Pierre Bourdieu, *Homo académicus* (London: Polity Press, 1988).

(٧) المصدر نفسه، ص ٨٩.

الأكاديمية العربية ومكانتها في المجال الأكاديمي، إذ وقع التركيز خاصة على انـدماجهـا في هذا المجال، وتقويمهـا الخاص لمكـانتها فيـه. أما **الفصـل السادس**، فهـو عبارة عن تحليـل نظري لاستعمال النفوذ والسلطة واستغلالها في المجال الأكاديمي . ويتعلق **الفصـل السابـع** بالعـلاقة الموجودة بين السلطة والنفوذ من جهـة واكتساب المحترمية (respectability) من جهـة ثانيـة، ومن ثم ركزنا على الوسائل والاستراتيجات المتبعـة في المجال الأكـاديمي لبلوغ السلطة والنفوذ وتعزيز المحترمية. وحاولنا في **الفصل الثامن** كشف النقاب عن مظاهر من الصراعات الموجودة بين الأكاديميـين العرب وإبـراز خصوصيـاتها. أمـا **الفصل التـاسع**، فيتعلق محـوره بالجـوانب المتأصلة في الوظيفة الأكاديمية التي تشكل عوامل محـددة في النشاط الأكـاديمي. وكان **الفصـل العاشر** عبارة عن خلاصة عامة لنتائج الدراسة. وأخيراً، فضّلنا أن نختم هذا البحث بفصل أعطينا فيه الكلمة للأساتذة المحترمين الذين تفضلوا وشاركونـا في هذه الـدراسة وأجـابوا عن أسئلتنا، وفيه يجد القارىء بعضـاً من تقويمـاتهم وانتقاداتهم لمحتـوى هذه الـدراسة وأهـدافها والمنهج المتبع فيها.

الفصل الاول

غايات الدراسة وأهدافها: الموضوعات والطرق والأدوات

«من الأصناف الأكثر انتشاراً بين العلماء صنف الإحصائيين المختصين، الذين يفتّتون الحقيقة إلى أجزاء دقيقة ويفقدونها قيمتها إلى حد يصعب علينا التمييز بين أجزائها. فهم في مقابل الحفاظ على دقة مناهجهم وصرامتها ينجحون في جعل المجتمع والإنسان تافهين، وهم خلال عملهم ذاك يفعلون الشيء نفسه بعقولهم (ويجعلونها تافهة)»[1].

«... أعرف أن عندكم في أوروبا أجهزة كمبيوتر معقدة... لذا أرجوك ألاّ تجعل أفكاري وإجاباتي تافهة بإدخالها في تلك الآلة، فأنا شخص له تفرُّده التاريخي، والكمبيوتر لا يعرف التفرّد والخصوصية...».

(أستاذ/ الفلسفة).

هذه الدراسة جزء من مشروع أوسع يشمل دراسة الأنتلجنسيا والتنمية في البلدان العربية. وغاية الجزء الراهن، هي تحليل مكانة الأنتلجنسيا ووجاهتها ووظيفتها في صيرورة التطور الاجتماعي لهذه البلدان. وقد تم اختيار المشاركين في هذه الدراسة ـ أو على الأصح من تم استجوابهم بغية جمع معطياتها ـ عبر لوائح الجمعيات المهنية والثقافية والمنظمات السياسية، وأيضاً عبر الاتصال الشخصي المباشر (كما هو الحال بالنسبة إلى بعض الكتّاب المعروفين). وينتمي هؤلاء المشاركون إلى أربعة بلدان عربية، هي: مصر والمغرب وسوريا والإمارات العربية المتحدة، حيث يعمل معظمهم في القطاع العام. وقد تم توزيع استمارات ـ كُتبت في الأصل بالعربية (أنظر الملحق رقم ٢) ـ على من وقع الاختيار عليهم،

(١) Charles Wright Mills, *Power, Politics and People* (New York: Ballantine Books, 1939), p. 569.

وتم إبلاغهم إياها في أواسط عقد الثمانينيات، إما بطريق المراسلة وإما بالتسليم المباشر. وأثناء قيامنا بعمليتَي جمع الإجابات وإجراء المقابلات، ساعدنا عدد من الأساتذة والباحثين والطلبة من البلدان المذكورة. وقد كان توزيع الاستمارات على الشكل الآتي: ٣٢٠ إستمارة في مصر، و ٢٥٠ إستمارة في المغرب، و ٢٤٠ إستمارة في سوريا و ٨٠ إستمارة في الإمارات العربية المتحدة، أي بعدد إجمالي قدره ٨٩٠ إستمارة. وقد رفض ٣٧ شخصاً ممن توصّلوا بالاستمارة الإجابة عنها وعبّروا صراحة عن عدم رغبتهم في المشاركة، متعللين بحجج مختلفة، نذكر منها على سبيل المثال، أن الدراسة «تحركها دوافع سياسية» أو أنها «تخدم الثقافة الامبريالية الغربية» أو «تموّلها منظمات صهيونية» أو «تنقصها المتطلبات العلمية الضرورية» أو أنها «لا فائدة ترجى منها». . . إلخ. أما عدد المشاركين الفعليين الذين عبأوا الاستمارات، فقد بلغ ٦٥٣ شخصاً موزعين على الشكل الآتي: ٢٥٣ من مصر، و ١٨٠ من سوريا و ١٦٨ من المغرب و ٥٢ من الإمارات العربية المتحدة. وعند فحصنا الإجابات، اعتبرنا ١٣ منها لاغية إما لأنها ناقصة وإما لأنه تم ملؤها بطريقة غير ملائمة. وبذلك يكون العدد النهائي للمشاركين هو ٦٤٠ شخصاً ـ ذكوراً وإناثاً ـ ينتمون جميعهم إلى شريحة المثقفين الجامعيين. ومن هؤلاء تمّت مقابلة ١٣٠ شخصاً. وقد قمنا شخصياً بإجراء المقابلات (أنظر الملحق رقم ١) التي تم أغلبها أثناء قيام المشارك بتعبئة الاستمارة. أما عن لغة الحوار ومكان المقابلة، فقد كانت اللغة العربية في معظم الحالات واللغة الفرنسية في حالات قليلة، في حين تركنا حرية اختيار المكان للشخص المستجوَب، وهكذا تمت مقابلة البعض في الحرم الجامعي (المكتب أو المقصف) والبعض خارج الجامعة (في المطعم أو المقهى أو المتنزه العمومي أو المنزل الشخصي أو السيارة). ويمثّل من قابلناهم مجالات ثقافية وأكاديمية وسياسية ومهنية واقتصادية وتقنية وبيروقراطية مختلفة.

أما عن المجموعة الأساس التي استهدفتها الدراسة الراهنة، فهي مجموعة الأكاديميين (وعددهم ١١٠ أشخاص)، من أساتذة وأساتذة مشاركين ومحاضرين وباحثين ومساعدين من مختلف مجالات المعرفة في البلدان الأربعة المشار إليها (أنظر الجدولين (١ ـ ١) و (١ ـ ٢)) وقد وقع الاختيار على هذه البلدان بالذات دون غيرها من البلدان العربية، لأنها تمثل إلى حد ما، في نظرنا، الاتجاهات الإيديولوجية والاجتماعية والجيو ـ سياسية في الوطن العربي. فمصر كانت أول بلد عربي عرف توغل الثقافة الغربية في مطلع القرن التاسع عشر، ثم مرت بعد ذلك بتجارب مختلفة، من تجربة الهيمنة البريطانية، وتجربة القومية العربية الاشتراكية في العهد الناصري في الخمسينيات والستينيات، وأخيراً تجربة التوجه الإيديولوجي نحو الغرب منذ منتصف السبعينيات. أما المغرب، فقد عانى تجربة الاستعمار الفرنسي مدة نصف قرن تقريباً، وهو ينهج اليوم سياسة تجمع بين الليبرالية والتقاليد العربية الإسلامية. وسوريا من جهتها، عاشت تجارب مختلفة، فقد بقيت زمناً طويلاً تحت الحكم العثماني إلى غاية الحرب العالمية الأولى، انتقلت منه إلى الاحتلال الفرنسي الذي دام قرابة عقدين من الزمن، وبعد الاستقلال، نهجت، من بين ما نهجت، إشتراكية عربية راديكالية، ما تزال تسير عليها إلى اليوم. وأخيراً الإمارات العربية المتحدة، وهي مجموعة من الإمارات الصغيرة الغنية (نسبياً)

التي لم تعرف الوحدة إلّا في بداية السبعينيات. وتعيش الإمارات اليوم وضعاً متأرجحاً بين التقاليد العربية الإسلامية والعصرنة الغربية؛ فمن جهة، نمط الحياة فيها متأصل في النظام القبلي والتقاليد الإسلامية، ومن جهة أخرى تعتمد كلية على خبرة الغرب وتقانته في استغلال ثرواتها الطبيعية، وتتبع له اقتصادياً في تسويق منتوجها من النفط واستيراد ما تحتاج إليه من أسلحة وغيرها.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في التعامل مع أجوبة المشاركين، عدم تناسب الأعداد الممثّلة لكل بلد مع حجم البلد والبلدان الأخرى، الشيء الذي جعل من الصعب القيام بدراسة مقارنة موسعة بين البلدان الأربعة. ومع أنه كان بالإمكان القيام بدراسة مقارنة محدودة من وجهة إحصائية محض، فإننا اعتبرنا هذا الصنف من المقارنة مصطنعاً وغير دقيق لأنه يرتبط فقط بالأعداد الممثلة لكل بلد وليس بالواقع كما هو في المجال المدروس. ونحن نرى في تعاملنا مع هذه المجموعة من المثقفين الأكاديميين، أن هؤلاء يمثلون مختلف الاتجاهات السياسية والجيو ـ تاريخية والثقافية في الوطن العربي. وهذا ما جعلنا نسمح لأنفسنا بالاستعمال النسبي لمفهوم المثقف الأكاديمي العربي في معناه الواسع والبعيد.

وفوق هذا، تبقى حصيلة ما اجتمع لدينا من المعلومات المستخلصة من الاستمارات والمقابلات، تحمل طابع مؤشر دلالي أكثر مما تحمل طابع محدد نهائي، إذ سيكون من قبيل التجريد الذهني استخلاص أقوال نهائية وتامة من مجرد إجابات سريعة يضعها شخص في مستوى المثقف الأكاديمي الذي يواجه في حياته العملية قضايا متعددة المفاهيم. إذ من المتوقع أن تكون للأكاديمي ـ بما يمتلكه من رأس مال معرفي ـ ردود فعل وتصورات للقضايا وصياغات للمفاهيم بالغة التعقيد في إشكالياتها وتلويناتها أكثر مما تتسع له الإجابة عن الأسئلة التي تطرحها عادة الاستمارات. ومع هذا الاحتياط، فإن التقويمات الفعالة، التي قوّم بها الأكاديميون الموضوعات والقضايا المطروحة في الاستمارة (المهيأة سلفاً) تحمل في نظرنا قيمة كبرى عند التحليل واتخاذ الحجة والمرجع، وذلك لما يتمتع به الأكاديميون من مستوى ثقافي عالٍ ومن «علمية». ولهذا السبب بالذات، سنستعمل في هذه الدراسة استعمالاً موسعاً، أقوال الأكاديميين الواردة في المقابلات، إذ سيلحظ القارىء كيف أن بعض الأجوبة التي قد تبدو لأول وهلة بسيطة ووحيدة البعد، تتخذ طابع التعقيد عندما يسلّط عليها الضوء وتلوَّن بتلوينات أخرى.

إضافة إلى هذا، تنمّ أقوال المشاركين، في الحوارات المجراة معهم، عن إدراك أصحابها القضايا المطروحة وتنمّ عن حدة ذلك الإدراك وجدليته وتعدد أبعاده. ورغبة منا في تجنب الفصل الآلي بين النظرية والتحليل الأمبريقي للمعطيات، فإننا سنجمع بينهما حيثما كان ضرورياً الربط بين الحجة والتوضيح في عملنا هذا. وبعبارة أخرى، فإن منهجنا في تحليل المثقف الأكاديمي العربي يسير وفق الجمع بين المنظورين النظري والأمبريقي.

لقد اعتبرنا في تحليلنا المعطيات وفي تسيير حوار المقابلات وفي وضع أسئلة الاستمارة خمس مقاربات: أولاً المقاربة السانكرونية ـ الدياكرونية (Synchronic.- Diachronic)، التي

تهدف أساساً إلى تحديد العوامل السوسيو - تاريخية المرتبطة بالزمان والمكان والمؤثرة في الوظائف المتأصلة النوعية التي يقوم بها المثقف. ثانياً، المقاربة الوظيفية المهنية: (Function- al - Occupational)، التي يُرى من خلالها الأعضاء الاجتماعيون أشخاصاً يقومون في المجتمع بوظائف مسؤولة ومحددة تحديداً دقيقاً. إذ من المتوقع في هذا الصدد أن يكون للدوافع الشخصية، تأثير في حث الشخص على تحسين وضعيته والوصول بها إلى وضع يكون في الوقت نفسه ملائماً للمصالح الخاصة ومسايراً للميول المهنية. ثالثاً، مقاربة الصراع، والغاية من هذه المقاربة تحليل الصراع والتنافس بين الأكاديميين، على أساس أن الأكاديميين يعيشون في وضع انصهار وتفاعل (Flux)، وأن العلاقة بينهم يطبعها التنافس والصراع من أجل السلطة والنفوذ. رابعاً، مقاربة رأسمال المعرفة، التي تنطلق من أن مكانة المثقفين والاحترام الذي يتمتعون به يتحددان بنوعية الخبرة والمعرفة التي يمتلكونها وبمدى مصداقيتها وكثرتها أو قلتها، أي بمدى ما ينطبق عليها من قانون العرض والطلب. إضافة إلى أنه يمكن أن يحدد من خلال هذه المقاربة صنف القنوات والوسائل التي يستعملها المثقفون لاكتساب النفوذ والسلطة والحفاظ عليها وحمايتها والزيادة من قوتها وتأثيرها. خامساً وأخيراً، مقاربة إدراك الذات الثقافي، وهي مقاربة يُنظر من خلالها إلى المثقفين كأشخاص محددين ثقافياً، ويُرَوْن من خلالها أيضاً أنهم يدركون ذواتهم ووجودهم على أساس أنهم أصحاب معرفة في مجتمع تطبعه ازدواجية القيم والثقافة.

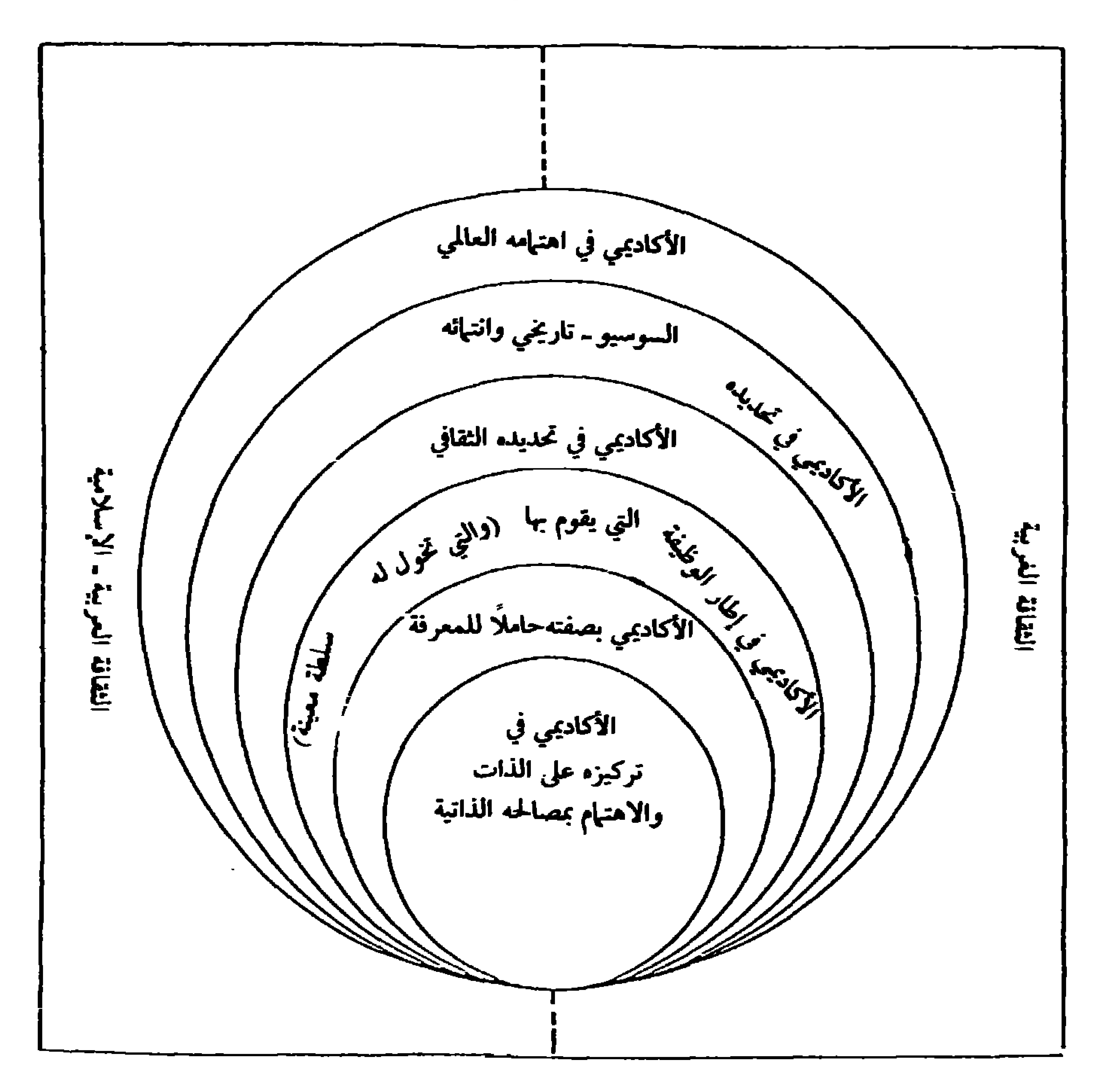
إن الغاية من هذه الدراسة هي تحليل موقع الأكاديميين العرب ومكانتهم وسلطتهم تحليلاً ثقافياً واجتماعياً. ويدخل في السؤال المطروح اعتبار ضمني دقيق لتمثل الأكاديميين موقعهم وتقويمهم إياه، وكذا تمثّلهم وتقويمهم الصراعات السائدة في المجال الأكاديمي والاستراتيجيات التي يتخذونها للتعامل مع هذه الصراعات.

لقد انطلقنا في هذه الدراسة، بغية الإجابة عن سؤالها الأساس من فرضية أن الرجل الأكاديمي مرتبط بسياقه عبر علاقات متعددة ومتنوعة. فهو يدرك نشاطه، مثلاً، وفق متطلبات الظروف المهيمنة في وجوده، ووفق الإدراك الذي اكتسبه واستوعبه تاريخياً من الواقع الجدلي الذي ينتجه سياقه. وهو في تمثّله نشاطه في هذا السياق ومن خلاله يحاول تعديله وتنظيمه حتى يستجيب لتطلعاته ويرضي رغباته في الوصول إلى المكانة الاجتماعية (Status) المتميزة وإلى اكتساب أهلية الاحترام (المحترمية).

ولهذا، فقد اعتبرنا ستة مستويات، على الأقل، في دراستنا الأكاديميين العرب، وهي: أولاً، دراسة الأكاديمي بصفته فرداً يركز على الذات، وتحركه، إلى حد ما، المصلحة الذاتية. ثانياً، باعتباره فرداً حاملاً معرفة وخبرة معينتين ويسعى بصورة نشيطة إلى استثمار معرفته والحصول على الفائدة من مهاراته. ثالثاً، دراسة الأكاديمي في إطار السلطة المؤسساتية الممنوحة له أو المخولة له ضمن الوظيفة المحددة التي يقوم بها. رابعاً، دراسته كنتاج لثقافة أو لثقافات. خامساً، دراسته في نشاطه في حقل معرفي معين، وفي حدود ما هو مطلوب منه من مؤهلات حتى يتسنى له امتلاك خبرات ذلك الحقل، والمساهمة بعمله، بكيفية مباشرة أو غير

مباشرة، في القضايا السوسيو ـ ثقافية المرتبطة بوطنه. وأيضاً في حدود ما هـو مطلوب منـه من تمـاهٍ واضح مـع موقـع معيّن من تلك القضـايا. وأخيـراً دراسته في إطـار الـطرق التي تصله بخطاب الثقافة العالمية (أي في توجهاته خارج سياقه المحلي) وذلك بما يكـون له من علم ومن إنتاج علمي (أو استهلاك له). الشكل رقم (١ ـ ١) يوضح هذه المستويات الستة.

شكل رقم (١ ـ ١)
العوامل النفسية والثقافية والسوسيو ـ ثقافية التي تحدد سياق الأكاديمي المحلي والسياقات الأخرى المحيطة به



هذه العوامل المختلفة بإمكانها مجتمعة أو متفرقة أن تؤثر في الصورة التي يكوّنها الأكاديمي لنفسه وعلى تمثله ذاته ومكانته. ولهذا فهي تمثل نشاطه المهني والثقافي والسوسيو ـ ثقافي كما لو كان ذلك النشاط انعكاساً لها وتحت تأثيرها. وهذه العوامل متبادلة التأثير في ما بينها ومتداخلة. أما التقسيم الخطاطي الذي وضعناه فيها فهـو نظري أكثر مما هو واقعي. وفي حالة السياق الأكاديمي العربي، فإن هذه العوامل تكون محدَّدة بالثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية معاً.

جدول رقم (١ - ١)
وصف عام للمشاركين ووظائفهم في الجامعة وحقولهم المعرفية

الحقول المعرفية	أساتذة (العدد = ٣٣)		أساتذة مساعدون (العدد = ٣٢)		محاضرون مساعدون (العدد = ٤٥)		المجموع
	ذ	أ	ذ	أ	ذ	أ	
العلوم التقنية والهندسة المعمارية	٣	-	٤	-	٤	٢	١٣
العلوم الطبيعية والطب	٦	١	٣	١	٢	٢	١٥
الحقوق والاقتصاد	٩	-	٥	-	٧	٢	٢٣
العلوم الإنسانية والاجتماعية والثقافة والفنون	١٢	٢	١٤	٥	١٦	١٠	٥٩
المجموع	٣٠	٣	٢٦	٦	٢٩	١٦	١١٠

ملاحظة: تشير العلامة (ذ) إلى الذكر والعلامة (أ) إلى الأنثى.

جدول رقم (١ - ٢)
وصف عام للمشاركين في هذه الدراسة

	مصر (العدد = ٤٤)		المغرب (العدد = ٢٦)		سوريا (العدد = ٣٥)		الإمارات العربية المتحدة (العدد = ٥)	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
السن								
ـ ٣٠	-	-	-	-	١	١٠	١	٢٠
٣١ - ٣٥	٣	٧	٣	١١,٥	١	٣	٢	٤٠
٣٦ - ٤٥	٢٩	٦٦	٢٣	٨٨,٥	٢٣	٦٥,٥	٢	٤٠
٤٦ -	١٢	٢٧	-	-	١٠	٢٨,٥	-	-
	٤٤	١٠٠	٢٦	١٠٠	٣٥	١٠٠	٥	١٠٠
الجنس								
الإناث	٩	٢٠,٥	٦	٢٣	٨	٢٣	٢	٤٠
الذكور	٣٥	٧٩,٥	٢٠	٧٧	٢٧	٧٧	٣	٦٠
	٤٤	١٠٠	٢٦	١٠٠	٣٥	١٠٠	٥	١٠٠
الأصل الطبقي (مكانة الأب)								
عليا	١٤	٣٤	٨	٣٢	٧	٢٢	٢	٥٠
متوسطة	٢٢	٥٤	١٥	٦٠	١٨	٥٦	٢	٥٠
دنيا	٥	١٢	٢	٨	٧	٢٢		
	٤١	١٠٠	٢٥	١٠٠	٣٢	١٠٠	٤	١٠٠
مستوى ثقافة الأب								
غير متعلم	١	٢	٢	٨	٤	١١	-	-
تعليم قرآني	٣	٧	٩	٣٦	٤	١١	١	٢٥
مستوى ابتدائي	٨	١٩	٨	٣٢	١٢	٣٤	١	٢٥
مستوى ثانوي أول	١١	٢٥	٥	٢٠	٧	٢٠	-	-
مستوى ثانوي ثان	١٠	٢٢	١	٤	٥	١٤	-	-
مستوى جامعي	١١	٢٥	-	-	٣	١٠	٢	٥٠
	٤٤	١٠٠	٢٥	١٠٠	٣٥	١٠٠	٤	١٠٠

(يتبع)

تابع جدول رقم (١ - ٢)

	مصر (العدد = ٤٤)		المغرب (العدد = ٢٦)		سوريا (العدد = ٣٥)		الإمارات العربية المتحدة (العدد = ٥)	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
التخصص المعرفي								
العلوم التقنية والهندسة المعمارية	٦	١٣,٥	٤	١٥	٣	٨,٥	-	-
العلوم الطبيعية والطب	٤	٩	٥	١٩	٦	١٧	-	-
الحقوق والاقتصاد	١٤	٣٢	٥	١٩	٢	٦	٢	٤٠
العلوم الإنسانية	٢٠	٤٥,٥	١٢	٤٦	٢٤	٢٨,٥	٣	٦٠
	٤٤	١٠٠	٢٦	١٠٠	٣٥	١٠٠	٥	١٠٠
الوظائف الأكاديمية								
أستاذ	١١	٢٥	٧	٢٧	١٢	٣٤	-	-
أستاذ مساعد	١٥	٣٤	٧	٢٧	٩	٢٦	٢	٤٠
محاضر ومساعد	١٨	٤١	١٢	٤٦	١٤	٤٠	٣	٦٠
	٤٤	١٠٠	٢٦	١٠٠	٣٥	١٠٠	٥	١٠٠

ملحوظة: اثنان لا تتوفر عنهما معلومات في هذا الباب.

الفصل الثاني

التفاعل والهابتوس والتمثّل

«إن صورة الذات التي يتمتع بها الإنسان والتي يثمّنها تقوده إلى اختيار أولئك الذين يؤكدون هذه الصورة الذاتية ويولونها اهتماماً، أو يقدّمون إليه تصوُّراً ذاتياً هو بَعْدُ أفضل حتى وأكثر جاذبية من التصوُّر الذي يمتلكه. . .

إن نوع المجتمع الذي نتخيَّل فيه صوراً مختلفة للذات تتضارب، يتميَّز بحقيقة أن كلاً من منصب الشخص أو عمله ينطوي على توقّعات متضاربة وتقييمات من قِبل أشخاص ذوي شأن بالنسبة إليه.

في مثل هذا المجتمع. ووفقاً لمبدأ تأكيد الآخر، فإن الأشخاص، سيقدّمون أنفسهم بطريقة ما إلى مجموعة من الناس، وبطريقة أخرى إلى مجموعة أخرى. والأساليب التي يقدّم بها المرء ذاته ستختلف بحسب ما يعتقد أنه رأي مختلف هؤلاء الآخرين فيه. عموماً، إن نهجه في التقديم الذاتي سيكون جسراً من صورة الذات التي يعتقد أن الآخرين يكوّنونها عنه، إلى الصورة الذاتية التي يودّ شخصياً أن يؤكدوها.

إذا توفّرت لديه السلطة. . . قد يجبر الشخص الآخرين على الإذعان لصورة ذاته التي يرغب فيها، ثم يترجم إذعانهم كتأكيد لصورته. . .»(١).

يعدّ سيمل (Georg Simmel) من علماء الاجتماع الرواد الذين اهتموا بإشكالية التفاعل بين الأفراد، والكيفية التي يكون بها هؤلاء صورة لأنفسهم، أو يعملون على خلق تغييرات في مجتمعهم من جهة، ومن جهة أخرى الكيفية التي يعمل بها المجتمع كمؤسسة على تشكيل الأفراد. وهذا ما أطلق عليه سيمل «العشرية» (أو المخالطة الاجتماعية) (Sociability) وبعبارة

---

(١) Charles Wright Mills and Hans Heinrich Gerth, *Character and Social Structure: The Psychology of Social Institutions* (New York: Harcourt, Brace and World, 1953), pp. 86 and 94 - 95.

أخرى، فإن سيمل اهتم بالتعرف إلى الكيفية التي تؤثر بها كل من الطبقة والأسرة والمجموعة والقيم المرتبطة بها في تفاعلات الأفراد في المجال الاجتماعي. وفي هذا الصدد يرى سيمل أن التفاعلات تتحدد خلال عملية بناء الأفراد لتصورهم العالم المحيط بهم أو تصورهم مجال حياتهم القريب والبعيد(٢).

وقد وضع جورج ميد(٣) التفاعلات بين الأفراد، بطريقة أكثر تنسيقاً من سيمل، ضمن منظور ثلاثي يشمل العقل والذات والمجتمع. أما الفرضية الأساس التي بنى عليها ميد منظوره، فتتمثل في أن الأفراد محكوم عليهم بأن يتعاونوا في ما بينهم إن هم أرادوا الحفاظ على وجودهم وبقائهم. وتعدّ الرموز، في هذه الفرضية، الوسيلة الرئيسية التي تُستخدم في تحقيق التفاعلات بين الأفراد، بحيث يصبح بإمكان العقل، عند استخدامه تلك الرموز أن يدرك إدراكاً موضوعياً ما يحيط به. وهكذا عندما يتمثل الفرد نشاطه في عالمه الموضوعي (المحيط به) يكون قد استخدم كل الرموز المتوافرة هناك، وعلى أساس استخدامه ذاك يختار النشاط الملائم منها (أو الأكثر ملاءمة منها) ويطرح جانباً الأنشطة غير الملائمة منها.

وهذا ما اصطلح عليه ميد بـ «الاجترار المتخيَّل» (The imaginative rehearsals) الذي يستخدم اللغة والرمز. فتصور العقل هنا، هو سيرورة من العمليات أكثر مما هو بناء وتنظيم. ويمثّل هذا الاجترار المتخيَّل، في نظر ميد، دوراً مهماً في نشاطات الفرد، وذلك بما له، من تأثير في علاقات الفرد بالمجموعة أو بالمجتمع أو بمجموعة رموز القيم المحيطة به. وبذلك يكون هذا الاجترار المتخيَّل إحدى الوسائل التي توجه سلوك الفرد وتعدّل منه حتى يصبح بإمكان الفرد تكييف نفسه وتكييف نشاطه. ومع ذلك لا يتطور هذا الاجترار المتخيَّل بنضج الفرد وحده، أو بتأثير ذلك النضج في مجال حياته وحده، ولكن يتطور بتفاعل هذين العنصرين معاً، وبما ينتج من تفاعلهما من تعديل ومعنى مشترك. ولهذا، فإن قدرة الفهم والتأويل المتضمَّنة في مجموعة الرموز وشبكتها تدل في رأي ميد، على درجة التطور التي بلغها العقل والذات والمجتمع.

ذلك أنه عبر امتلاك الفرد ملكة (أو قدرة) فك الرموز وفهمها والاستجابة لها في إطار شبكة الحس المشترك، يطور الفرد الملكة على تقبُّل دور الآخرين. فعندما يكون الأفراد (الذين سمّاهم ميد الممثلين (Actors)) على وعي تام بنتائج نشاطهم، تتم التفاعلات في أكبر قدر من التعاون (بين الأفراد) يستجيب لحاجات الناس الآخرين.

ومن هذا المنظور، يكون لهاته العملية الذهنية دور هام في تقويم التفاعل. ذلك أن ميد يرى في العملية الذهنية تنظيماً تاماً لعدد من الصور الانتقالية المأخوذة من مواقف تفاعل

---

(٢) Georg Simmel, «Sociability,» in: Kurt Heinrich Wolff, ed., *The Sociology of Georg Simmel*, translated, edited and with an introduction by Kurt H. Wolff (Glencoe, Ill.: Free Press, [1950]), pp. 40 - 57.

(٣) George Herbert Mead, *Mind, Self and Society from the Standpoint of a Social Behaviorist*, edited by Charles W. Morris (Chicago, Ill.: University of Chicago Press, 1934).

الآخرين التي أصبحت واضحة وجلية في التصورات الذاتية. وعند ظهور هذه التصورات الذاتية، فإن ذلك يعني أن نشاطات الفرد، كما يتصورها ويعدّها بنفسه، يفترض فيها الفرد وجود تناسق بينها وبين النتائج المتوخاة، بحيث تتم تلك النشاطات عبر وساطة عدد من المقتضيات والمواقف المنسوبة إلى الفرد كشخص معيّن.

ويمثّل المجتمع العنصر الثالث في المقاربة الثلاثية لميد. فالمجتمع، كمؤسسة، يتكون من مجموعة من التفاعلات المنظّمة والمنمّطة (أو المنمذجة) بين الأفراد أو بين «الممثلين» كما يسميهم ميد. ويتعلق تنظيم التفاعلات هذا بالعقل وبقدرته على القيام بأدوار مختلفة في مستويات متعددة ومواقف متباينة.

يبدو مما رأينا، أن ميد اهتم في المقام الأول بالكيفية التي يحافظ بها المجتمع، المتمثل في مؤسساته، على بقائه، أو الكيفية التي يتغير بها، وذلك باعتماده في الحالتين معاً على القدرات الذهنية للفرد، وعلى ذات الفرد. وبعبارة أخرى، فإن المجتمع ما هو إلّا «أنماط منظّمة» من نشاطات متناسقة، يتم الحفاظ عليها أو تغييرها عبر التفاعلات الرمزية. ذلك أن ما يعرفه المجتمع من حفاظ أو تغيّر يتم عبر العمليات الذهنية للأفراد وذواتهم (أو العملية الذهنية والذات).

وهكذا، فإن العلاقات الانسانية، من منظور ميد وغيره من أتباع المذهب التفاعلي الرمزي المتمحور حول الفرد، يُنظر إليها كما لو كانت خطاً مستقيماً منعكساً يسير في اتجاهين. ويبقى الأفراد، من هذا المنظور، مجرد ممثلين في أنشطتهم وتفاعلاتهم[4] بحيث يمكن القول إن الأفراد يكونون مدفوعين ومسحوبين بقوى اجتماعية سيكولوجية، وهم في ذلك يكيّفون أنفسهم لمسايرة بنية المجتمع، ويوجهونها تبعاً لمقتضيات الأدوار الاجتماعية (المعطاة لهم) في إطار الوظيفة أو الإسقاط. والغالب في هذا المنظور أن العلاقات (الانسانية) هي إما علاقات تساكن وإما علاقات تفادٍ واجتناب، في حين تكون علاقات الرفض والنزاع والتناقض قليلة، مما يعني بعبارة أخرى أن العلاقات الجدلية غير موجودة. ذلك أن هذا المنظور لا يؤكد على الأفراد كأعضاء مبدعين ونشيطين في العالم الذي يوجدون فيه، ولا على قدرتهم على الذهاب أبعد مما يتيحه لهم عالمهم بكيفية مضمونة (أو ما هو محدد بكيفية مسبقة)، ولا على استطاعتهم إعطاء هذا العالم شكلاً جديداً أثناء تكيّفهم معه. بينما نجد في المعنى نفسه، تأكيدات على هذه الجوانب عند عالِم النفس الفرنسي هنري والون (Henri Wallon)[5]، المتأثر

---

(٤) انظر: Herbert Blumer, *Symbolic Interactionism: Perspective and Method* (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice - Hall, 1969), and Joan Huber, «Symbolic Interaction as a Pragmatic Perspective: The Bias of Emergent Theory,» *American Sociological Review*, vol. 38 (April 1973), pp. 274 - 284.

(٥) انظر: M'hammed Sabour, *Yksilökehityksen Dialektiikka: Henri Wallonin Kehityspsykologia (The Dialectics of Development: The Psychology of Henri Wallon)* (Joensuu: University of Joensuu, 1987). (Finnish).

بـالمذهب الجـدلي، وعند عـالِم النفس الفنلندي هـايرنـين (Y - P. Häyrynen)[٦]، إذ في رأي هذين العالِمين أن الفرد يستجيب للمواقف والظروف التي يوضع فيها بتطويره قدرات التعامل معهـا والتغلب عليهـا. ويتـطلب تـطويـر القـدرات هـذا، كـما أوضـح ذلـك ڤيكـوتـاسكي (Vygotasky)[٧]. في ما بعد، القيام بعمليتَيّ استبطان واستظهار خـارجي. ويرى هـذا الأخير أن الفرد، في نشاطه في العالم المادي والرمزي المحيط به وإعادة تنشيطه له، يكون متأثراً بعالمه ومؤثـراً فيه ومشكّـلاً به ومشكّـلاً له، بكيفيـة جدليـة تتم بشكل آني ومتعـاقب، وذلـك عـبر علاقات مطبوعة بالتغير المستمر، تـرتبط بمجموعـة المهارات المكتسبـة من الوضـع الاجتماعي الثقافي أو المسقطة عنه. ويدخل في هذه العملية التفاعلية والتفاعلية الداخلية ميكانـزم (آلية) منظم اصطلح عليه بورديو بـ «الهابتوس»[٨]. ويتشكل الهـابتوس عـبر ما يـتراكم في الزمن من الخطاطات التي يـوظفها الأفـراد، إما فـردياً وإمـا جماعيـاً عن وعي أو عن غير وعي، لإدراك واقعهم والتعامل مع ظروف وجودهم وفق ما تقتضيـه مواقعهم في المجـال الاجتماعي. وعـلى عكس أتباع الاتجاه التفاعلي الرمزي الذين ينطلقـون أساسـاً من الفرد (ممثـل اجتماعي Social actor)، يعتـبر بورديـو أن «العضو الاجتـماعي» (Social agent) هو أيضـاً الفرد الـذي يعمل (agi) بالتأثـير الخارجي من الآخـرين وبالتـأثير فيهم. ذلـك أن هابتـوس «العضو الاجتـماعي المتشكـل دياكـرونيـاً، مـا هو إلاّ نتـاج التاريـخ الذي ينتـج ممارسـات الفرد والمجمـوعـة وفق خطاطات متولدة من التاريخ (ذاته)»[٩]. ولهذا يستطيع الفرد بوسيلة الهابتوس استبـطان تجارب الماضي استبطاناً فعّالاً عبر خطاطات الإدراك والتفكير والعمل.

وبـالإضافـة إلى هذا، فـإن الهابتـوس هو عبـارة عن مقتضى من المقتضيات الـدائمـة، والقابلة للنقل من بنية إلى أخرى، أي بمثابة بنى منظّمة (Structures structured) تتـوافر عـلى استعـداد قبلي لكي تعمـل كبنى منـظِّمـة (Structures structurant). وبعبـارة أخـرى، فـإن الهابتوس بنية تقوم بتنظيم أشكال من الممارسات والتمثـلات وتعميمها. والهـابتوس أيضـاً هو نتاج العضو الاجتماعي ونتاج ظروف حياته النابعة من مواقعـه وظروفـه الخاصـة. وفوق هـذا يعدّ الهابتوس قدرة خلاّقة، فـالأعضاء الاجتـماعيون، المحـدَّد وجودهم بمـواقعهم الاجتماعيـة والتاريخية وظروفها، يستطيعون خلق أفكارهم وإدراكاتهم وأشكال تعبيرهم وأنشطتهم وبناءها

---

(٦) Y. - P. Häyrynen: *Henkisten Kykyjen Tuottavuus (The Productivity of Intellectual Abilities)*, Research Reports; no. 17 (Jyväskylä: University of Jyväskylä, Institute of Social Policy, 1977) (Finnish), and «Formation and Use of Abilities as a Psychological and Social Phenomenon,» *Acta Psychologica Fennica* (Helsinki) (1977), pp. 7 - 42.

(٧) Lev Semenovich Vygotsky: *Mind in Society: The Development of Higher Psychological Processes*, edited by Michael Cole... [et al.] (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1978), and «The Genesis of Higher Mental Functions,» in: J.V. Wertsch, ed., *The Concept of Activity in Soviet Psychology* (New York: M.E. Sharpe, 1979), pp. 173 - 188.

(٨) Pierre Bourdieu, *Le Sens pratique* (Paris: Minuit, 1980), pp. 87 - 109.

(٩) المصدر نفسه، ص ٩١ و ٨٩.

من خلال الهابتوس. ولهذا، فإن بورديو يعتبر الهابتوس حساً عملياً ويقول عنه: «يقوم بإعادة تنشيط المعنى الذي أصبح موضوعياً داخل المؤسسات، أي نتاج عملية (مجهود) التلقين والتملك اللذين يكونان ضروريين حتى تتمكن نتاجات التاريخ الجماعي المتمثلة في البنى الموضوعية من أن تعيد انتاج نفسها على صورة مقتضيات أو مؤهلات دائمة ومتلائمة، التي تصبح تمثل شرط نمط سيرها، أي الهابتوس الذي يتشكل على امتداد تاريخ خاص، ويفرض منطقه الخاص بالتمثل والتملك، والذي يتمكن بواسطته الأعضاء الاجتماعيون من المشاركة في التاريخ الذي أصبح تاريخاً موضوعياً في إطار المؤسسات؛ وهذا المنطق هو الذي يسمح بالعيش داخل المؤسسات وتملكها عملياً والمحافظة عليها ـ بواسطة هذا التملك ـ في حالة نشاط وحيوية وقوة، وحفظها باستمرار من أن تصبح مؤسسات متحجرة، أي بمثابة لغة ميتة، كما يسمح بهذا المنطق في إحياء المعنى المختزن فيها لكي يفرض عليها جملة من المراجعات والتعديلات التي تمثل المقابل والشرط الضروري لإعادة التنشيط هذه...»[10].

ومع هذا يبقى تساؤل آخر حول الهابتوس، فهل في اعتبارنا الهابتوس نسق من المؤهلات الدائمة القابلة للنقل من بنية إلى أخرى، ويكون (الهابتوس) شكلاً من أشكال الفهم التوفيقي الحامل خصائص عامة يشارك فيها كل الأعضاء الاجتماعيين كيفما كانت خصوصياتهم ومحدداتهم التاريخية؟ أو بصيغة أخرى، هل يكون لكل الأعضاء المنتمين إلى فئة معينة أو التابعين منها، الهابتوس نفسه؟ أم أن الهابتوس يحمل خصوصيات فردية؟ حسب بورديو، هناك اختلاف موضوعي بين الهابتوس الجماعي والهابتوس الفردي، وهو اختلاف خاص بكل موقف. إذ لا يمكن، في المقام الأول، أن يكون لكل الأعضاء المنتمين إلى الفئة الواحدة، أو حتى إلى الاثنتين معاً، التجربة نفسها أو أن يكونوا عاشوا التجربة وخبروها بالطريقة والترتيب نفسهما. ومع هذا التحفظ يضيف بورديو أنه يمكن الأعضاء المنتمين إلى الفئة الواحدة أن يعيشوا تجارب متماثلة وأن يواجهوا مواقف متشابهة «فكل نسق من المؤهلات الفردية يشكل متغيراً بنيوياً من الأنساق الأخرى، حيث يكون التعبير عن الخصوصية داخل الفئة وفي إطار مسارها»[11]. وتتخذ هذه الخصوصية سماتها من المحدِّدات التاريخية والظروف (الشروط) المادية والثقافية. ولهذا السبب، فإن تلك المحدِّدات تشكّل خصوصيات المسارات الاجتماعية التي ترسم بدورها الفروقات بين هابتوس الأفراد. فالهابتوس الذي ينظّم كل المواقف الناشئة في مختلف مراحل المسار هو الذي تتولد عنه «التجارب التي يشارك فيها، حسب المعطيات الإحصائية، كل أعضاء الفئة الواحدة»[12].

ومهما كانت تفسيرات الهابتوس، فإن المفهوم السوسيولوجي الذي أعطاه إياه بورديو وتطبيقاته له، لم يحظَ بالقبول العام عند الباحثين. فعلى سبيل المثال، يأخذ هيران (Héran)[13] في تحليله التاريخي لمفهوم الهابتوس، على بورديو تصوره لهذا المفهوم بطريقة غير مباشرة وبمعانٍ موازية أو غامضة، وهذا أمر متأصل في الفلسفة الظاهراتية، كما يقول هيران. ويدّعي

---

(١٠) المصدر نفسه، ص ٩٦.

(١١) المصدر نفسه، ص ١٠١ ـ ١٠٢.

(١٢) Pierre Bourdieu, *Choses dites* (Paris: Minuit, 1987), p. 20.

(١٣) François Héran, «La Seconde nature de l'habitus,» *Revue française de sociologie*, vol. 28, no. 3 (juillet - septembre 1987), pp. 385 - 416.

جوبكي (Joppke)[14] من جهته، أن تحديد بورديو للهابتوس أظهره على «شكل إبداع مفاهيمي مشوه» (A conceptual monster) ولا يطبّق إلّا بشكل ضبابي ومجازي. وأخيراً، أكدت الباحثة براديز (Paradeise)[15] أن الهابتوس اتسم في كتابات بورديو الأولى (على سبيل المثال كتابه **إعادة الإنتاج**) برؤية حتمية، ذلك أنه ـ كما تقول براديز ـ عند تحليلنا المسار التاريخي لمدرسة بورديو، نجد أن الهابتوس اتسم بنوع من عدم قابلية التراجع فيه. ومع هذا لاحظت براديز، أن بورديو أدخل، في كتاباته الأخيرة، جانب الابتكار على الهابتوس الشيء الذي غيّر من مساره (أي الهابتوس).

وبما أن الهابتوس شكّل حجر الزاوية في التحليلات النظرية عند بورديو، فإن هذا الأخير لم يترك واحدة من كتاباته دون الإشارة أو التحديد لما يقصده بالهابتوس وطريقة استخدامه. ولم يخفِ بورديو، في كتاباته، المصدر الابيستيمولوجي للهابتوس وبداياته التاريخية، التي ترجع في نظره إلى أرسطو مروراً بهوسيرل (Husserl) وميرلو بونتي (Merleau - ponty)[16]. وقد حذّر بورديو قراءه من مغبة الحديث عن هذه المفاهيم كما هي (per se)[17] وبطريقة شكلية ومختزلة، وفي المقابل حث على أنه عند التفكير في مثل هذه المفاهيم، يجب أن يكون ماثلاً في ذهن القارىء ما تقدمه من توضيحات وما تساهم به في التحليل، وهي عناصر تدخل في صميم حل كثير من القضايا العلمية، في رأي بورديو. أما عن النقاد الذين أثاروا قضايا مثل أصل مفاهيمه وأصالتها، أو ما يوجد من شَبَه بينها وبين ما هو وارد عند مفكرين آخرين، فإن بورديو ردّ على هؤلاء[18]، بأنه إذا وجد تشابه ما أو صلة ما بين مفاهيمه ومفاهيم الآخرين، فإن مفاهيمه الخاصة خالية من الإتّباع والتقليد، فهو، كما يؤكد، يستعمل الأفكار والمفاهيم ويوظفها كأدوات للتحليل، بالطريقة نفسها التي يستخدم بها الباحث في العلوم البحتة ما تراكم قبله من معارف في حقله العلمي. والواقع أن بورديو قام بذلك بطريقة أصيلة خاصة به.

ونعتقد، في ما يخص بحثنا هذا، أن الهابتوس يمثّل دوراً أساسياً في تحليل الأكاديميين العرب. ذلك أن البنى الذهنية التي يدرك بها الأكاديميون العرب وضعهم الثقافي والاجتماعي والتاريخي، يشكّل فيها الهابتوس حصيلة تقاليد ثقافية مزدوجة المصدر: التقاليد العربية الإسلامية، والتقاليد الغربية. وهذه الازدواجية ليست خاصة بالبلدان العربية، فهي موجودة

---

(١٤) Christian Joppke, «The Cultural Dimensions of Class Formation and Class Struggle: On the Social Theory of Pierre Bourdieu,» *Berkeley Journal of Sociology*, vol. 30, no. 31 (1986), pp. 53 - 78.

(١٥) Catherine Paradeise, «Note de lecture sur le sens pratique,» *Revue française de sociologie*, vol. 4, no. 22 (octobre - décembre 1981), pp. 636 - 642.

(١٦) Bourdieu, *Choses dites*.

(١٧) Bourdieu, *Le Sens pratique*, p. 89.

(١٨) M'hammed Sabour, «Bourdieu: Uusimmat asiat,» *Sosiologia*, no. 2 (1988). (Finnish).

في سياق المجتمعات النامية التي لا تزال فيها المؤسسات العصرية (بالمعنى الغربي للكلمة) في مراحل تطورها الأولى، وحيث لا توجد فواصل واضحة بين سلطة رجل المعرفة، وسلطة رجل السياسة. ومن هذا المنحى، فإن هابتوس الأكاديميين يتخذ قاعدة له عملية استيطان تندرج فيها التنشئة الاجتماعية والمثاقفة اللتان خبرهما الأكاديميون في مسار حياتهم كأفراد وجماعات. وبالإضافة إلى هذا، يكون الهابتوس عند هؤلاء (الأكاديميين) - الذي هو في الواقع نتيجة تأثير الواقع الإجتماعي - عبارة عن نسق من الخطاطات تمكّنهم من إدراك مواقعهم في الواقع الاجتماعي من جهة، وتمكّنهم من بناء تمثلاتهم له من جهة ثانية. والواقع أن تمثلات الأعضاء الإجتماعيين تختلف من شخص إلى آخر، تبعاً لموقع العضو والمصالح المرتبطة بذلك الموقع. ولهذا يقول بورديو: «إن الهابتوس هو نتاج الممارسات والتمثلات المتوافرة عليها للقيام بعملية التصنيف. وهذه التمثلات والممارسات تختلف موضوعياً، لكن لا يكون باستطاعة كل الأعضاء الإجتماعيين إدراك اختلافاتها إلّا من توافر منهم على الراموز (Code) (لفك رموزها) وعلى الخطاطات المصنفة الضرورية لفهم مدلولها الإجتماعي. ولهذا، فإن الهابتوس لا يندرج فيه إحساس الفرد بمكانه الخاص فقط، ولكن يندرج فيه إحساسه بأماكن الآخرين أيضاً»(١٩).

وهذا سيؤدي بنا إلى التعامل مع المجال الذي يحدد خلفية الواقع الإجتماعي للأكاديميين ويحدد خلفية تمثلاتهم ومواقعهم.

أولاً: تمثُّل الأكاديمي لموقعه

«يكون التمثل الذي يقيمه الأعضاء الاجتماعيون لموقعهم الخاص بهم ولموقع الآخرين في المجال الإجتماعي (هذا التمثل يقام، بوعي أو بغير وعي، عبر ممارساتهم الخاصة وخصوصياتها) نتاجاً لأنساق من التقويمات أو لخطاطات من التقويمات، أي يكون بمثابة إدراك هو عينه نتاج مدمج لشرط (أو نتاج لموقع محدَّد في توزيع الممتلكات المادية والرأسمال الرمزي) مبني لا على دلالة الأحكام المجمعة فقط، ولكنه مبني أيضاً على المؤثرات الموضوعية للموقع المحتمل فعلاً في التوزيعات التي تكون قد أخذت في اعتبارها تلك الأحكام المجمعة»(٢٠).

كيف يتمثل الأكاديمي موقعه بالمقارنة مع مواقع الآخرين داخل المجال الأكاديمي وخارجه؟ تعدّ الصيرورة التاريخية للمجتمع العربي وشروط وجوده ومساره الثقافي عوامل ذات تأثير في الأكاديمي العربي وفي الطريقة التي يقيم بها تمثّله وتشكّله. ذلك أن عملية التمثل هاته يدخل فيها عمل الفرد في موضعة ذاته في وجود حقيقي ونشيط، وهذا الوجود هو الذي يضبط ذاتياً وموضوعياً، إدراك الفرد وتقويماته. وهذا الضبط أو هذا التنظيم، يمكن أن يتم، حسب كون (Kon)(٢١) في بُعدين سيكولوجيين منفصلين ولكن متكاملين. البُعد الأول، بُعد

---

(١٩) Bourdieu, *Choses dites*, p. 156.

(٢٠) Bourdieu, *Le Sens pratique*, p. 241.

(٢١) Igor S. Kon, «The Self as a Historical - Cultural and Ethnopsychological Phenomenon,» in: Lloyd H. Strickland, *Directions in Soviet Social Psychology* (New York: Springer - Verlag, ©1984), pp. 29 - 44.

الذات الخالص، ويتعلق بالفكرة والمفهوم اللذين يكوّنهما الفرد عن ذاته. والبعد الثاني، هو تجربة الذات، ويتمثل في وعي الفرد الذي اكتسبه من خلال مختلف إحساساته بوجوده وتفاعلاته مع ذلك الوجود. وفي هذه العملية، تكون المظاهر الذاتية والموضوعية لأي عمل تقويمي كما شدّد على ذلك بورديو[٢٢] وأكدها كوفمان (Goffman)[٢٣] في سياق آخر، متداخلة ومتشابكة، وفوق هذا تكون متبادلة التأثير.

وانطلاقاً من هذا المنظور، فإن التمثلات التي يكوّنها الأكاديمي عن نفسه، تشكّل صيغة من صيغ التماهي المعرفي والثقافي والإجتماعي للفرد مع المثل والقيم والمصالح ونمط العيش التي يشاركه فيها أفراد (أو مجموعة أفراد) يجمعهم وإياه عدد من الخصائص المشتركة. وقد تتخذ هذه التمثلات مجرد تصنيف ذاتي وظرفي، يأخذ مصدره من التشابه الحاصل في نوعية النشاط والمواقف والثقافة والرموز. ومن البديهي أن هذا التشابه لا يمنع الفروق والتعارضات التي تطبع عادة تطلعات الأفراد وطرق صياغتهم المفاهيم. وهنا يكون الهابتوس عبارة عن مجموعة من المقتضيات يتصور من خلالها الأكاديمي ويدرك ويقوّم ظروف عالمه وتمثلاته التي يكوّنها عن نفسه كعضو في جماعة أو مجموعة، وفقاً لتجاربه الخاصة ومسار حياته الخاص. وفي هذه الحالة تكون تمثّلات الأكاديمي عملاً توليفياً تطبعه العفوية والرمزية، يوظف فيه ما هو اجتماعي في الذات وما هو ثقافي فيها. كما يكون في الوقت نفسه عملاً واعياً يتم فيه الاندماج والتماهي (اللذان يميزان الفرد)، وفيه تقوّم الذات العقلانية للمثقف موقعه ضمن الجماعة أو المجموعة التي ينتمي إليها وترسم حدودها.

ثانياً: المجال الأكاديمي: المواقع والمقتضيات

يتميز عادة المجال الذي يعمل فيه الأعضاء الاجتماعيون (فرادى وجماعات) وينشطون، بأصناف مختلفة من علاقات العمل والتبادل، وبأصناف من السلطة والصراع والتنافس... إلخ. ويتحدد المجال الذي يحيط بالأفراد بعوامل تاريخية، بينما تنتجه وتعيد إنتاجه الظروف الإجتماعية التي هي حصيلة عمل الأفراد أنفسهم.

وبعبارة أخرى، وحسب ما جاء عند ماركس وانغلز[٢٤]. فإن الأفراد هم نتاج الظروف المادية القبلية التي يغيّرها الأفراد بعملهم. وهكذا يكون نتاج الأفراد «شكلاً محدداً من نشاطهم، وطريقة محددة من التعبير عن حياتهم، ونمطاً محدداً من عيشهم. فكما يعبّر الأفراد عن حياتهم يكونون، وما يكونون يوافق ما ينتجون والكيفية التي ينتجونه بها. ولهذا فإن طبيعة الأفراد تتعلق أساساً بالشروط المادية التي

---

(٢٢) Pierre Bourdieu, *Questions de sociologie* (Paris: Minuit, 1984).

(٢٣) Erving Goffman, *Interaction Ritual: Essays on Face - to - Face Behavior* (Garden City, N.Y.: Anchor Books, 1967), and Jason Ditton, ed., *The View from Goffman* (London: Macmillan Publishing Press; New York: St. Martin's Press, 1980).

(٢٤) Karl Marx and Friedrich Engels, *The German Ideology* (Moscow: Progress Publishers, 1976), pp. 348 - 349.

تحدد إنتاجهم». ويمكن أن نضيف إلى هذه الشروط المادية (أو الظروف) الرموز الثقافية والروحية والإيديولوجية. كما يمكننا، من جهة أخرى، أن نموضع الشروط المادية في مجال مادي محسوس، كالجامعة بالنسبة إلى الأكاديمي، أو الكلية التي يعمل فيها إن رمنا تحديداً أكثر دقة. ويندرج في هذا التحديد الدقيق اعتبار خصوصية المجال، فالأفراد الذين يعملون وينشطون في مجال معيّن، يتحددون هم أيضاً وينتجون وفق خصوصيات ذلك المجال.

وباتخاذنا الجامعة كمثل في هذا الباب، يمكن القول إن مجال الجامعة له رموزه وقيمه ومكاناته التي لا يتمكن من الاندماج فيها والتماهي معها إلاّ صنف خاص من الأفراد توافرت فيه قدرات معينة واستعدادات خاصة. ومن المفروض أن يكتسب مجال الجامعة من وراء الوظائف التي يضطلع بها هذا الصنف الخاص من الأعضاء، ومن وراء نشاطهم فيه، أصنافاً من الوجاهة والاحترام والتشريف والامتياز. وتنطبع المواقع التي يحتلها الأعضاء في المجال الأكاديمي بعلاقات تبادل وتمايز خاصة، وتنطبع حتى بوجود مسافات تفصل بين الأفراد العاملين في المجال. ذلك أن كل العاملين في هذا المجال يرتبطون بعلاقات تراتبية تسير في البُعدين الأفقي والعمودي. وتشمل هذه العلاقات، علاقات الهيمنة والتبعية والشعور بالدونية أو بالفوقية. كما تتميز المواقع بطابع الازدواجية، إذ إن الأفراد يقوّمون مواقعهم ويدركونها، يدركون وجودهم فيها من خلال المسافة (أو المسافات) التي تربط موقع الواحد منهم بمواقع الآخرين أو تفصله عنها. ولهذا، فإن موقع العضو في هذا المجال يحدد أساساً بمقارنة مع مواقع الآخرين في المجال نفسه. أما المسافة التي أشرنا إليها بأنها تربط أو تفصل الأفراد، فيمكن أن تدلنا من جهة أخرى على درجة التميز أو درجة السلطة التي يتمتع بها العضو في المجال الأكاديمي.

وفي ما يخص السياق العربي، فإن أوضاع الأكاديميين فيه تتأثر، إضافة إلى العوامل المتأصلة المشار إليها، بعوامل خارجية يمكن أن نجدها في القيم الثقافية وفي النموذج الإيديولوجي والظروف الإقتصادية. فالمجال الأكاديمي هو مجال «نسق من التمايزات ونسق من المواقع»[25]. ويتحدد نسق المواقع هذا، أيضاً، بالقيم الخاصة بكل حقل من حقول المعرفة في إطار المجال الأكاديمي الواسع (مثلاً نوعية المعرفة، والرموز السائدة فيها، وقواعدها. . .). ولهذا، فإن مواقع الأفراد لا تكون لها قيمة معتبرة خارج نسق مواقع الحقل المعرفي الضيق الذي ينشط فيه الفرد. ولهذا أيضاً عندما يقع تغيير في النسق المرجعي، يقع تبعاً لذلك، تغيير في قيم المواقع. نستخلص من هذا أن نسق المواقع الأكاديمي هو نسق من التمايزات ونسق من المراجع. ويبقى أمامنا سؤال مطروح، إذ كيف يمكننا قياس المسافات التي تفصل أو تربط بين مواقع الأفراد في المجال الأكاديمي؟ وكجواب تقريبي أولي، يمكن قياس تلك المسافات بناءً على تقويمنا السلطة التي يمنحها إياها موقع صاحبها أو يمنعه من الوصول إليها. وسنعود إلى التفصيل في موضوع السلطة في مكان آخر من هذه الدراسة.

---

(٢٥) Pierre Bourdieu, *Homo académicus* (London: Polity Press, 1988).

يمكن أن تنبني الاختلافات بين المواقع في المجال الأكاديمي على الفروق في السلطة التي يمنحها إياها كل موقع من المواقع، سواء أكانت تلك السلطة سلطة علمية محضاً أم سلطة إدارية أم سلطة تنظيمية أم غيرها من السُلَط التي تفوَّض للفرد في إطار الموقع الذي يحتله. إضافةً إلى هذا، قد توجد مسافات من نوع آخر تفصل بين العاملين في الحقل الأكاديمي، كالمسافة الاجتماعية أو المسافة الثقافية الفكرية الناتجة عن الدرجة العلمية ونوعية المعرفة ومصدرها. وكثير من المواقع تتأثر بالقرارات الرسمية حيث تصبح مواقع مؤسساتية بفضل الإجراءات التي تقرّها الجهات الرسمية (على سبيل المثال التعيينات الرسمية، والترتيب الهرمي للعاملين في الحقل الأكاديمي)، بينما تتأثر مواقع أخرى بعوامل ولادية (أو متأصلة) وغيرها كالتنشئة الاجتماعية والتعليم (والانتماء الطبقي، والإنتماء الديني والذكورة أو الأنوثة).

ومن بين القوى الفاعلية في تحريك دوافع العمل والنشاط عند الفرد الأكاديمي، تطلعات هذا الأخير إلى الامتياز بكل ما يحمل من مظاهر، كالامتياز في الوظيفة، والامتياز الناتج عن الصيت المعرفي، والامتياز الوجودي. وبعبارة أخرى يشكّل الامتياز، بالنسبة إلى الأكاديمي، نوعاً من الاحترام المتميز ونوعاً من التفرد الخاص. فالأكاديمي يسعى من وراء الحصول على الاحترام المتميز تحقيق موقع ينال فيه احترام الناس واعتبارهم، بينما يروم من وراء التفرد التأكيد على الخصوصيات التي لا يشاطره فيها أحد. ويمثل الإمتياز، من جهة أخرى، تعبيراً ذاتياً عن ضرورة موضوعية للفرد الأكاديمي.

تداخل العلاقات في المجال الأكاديمي

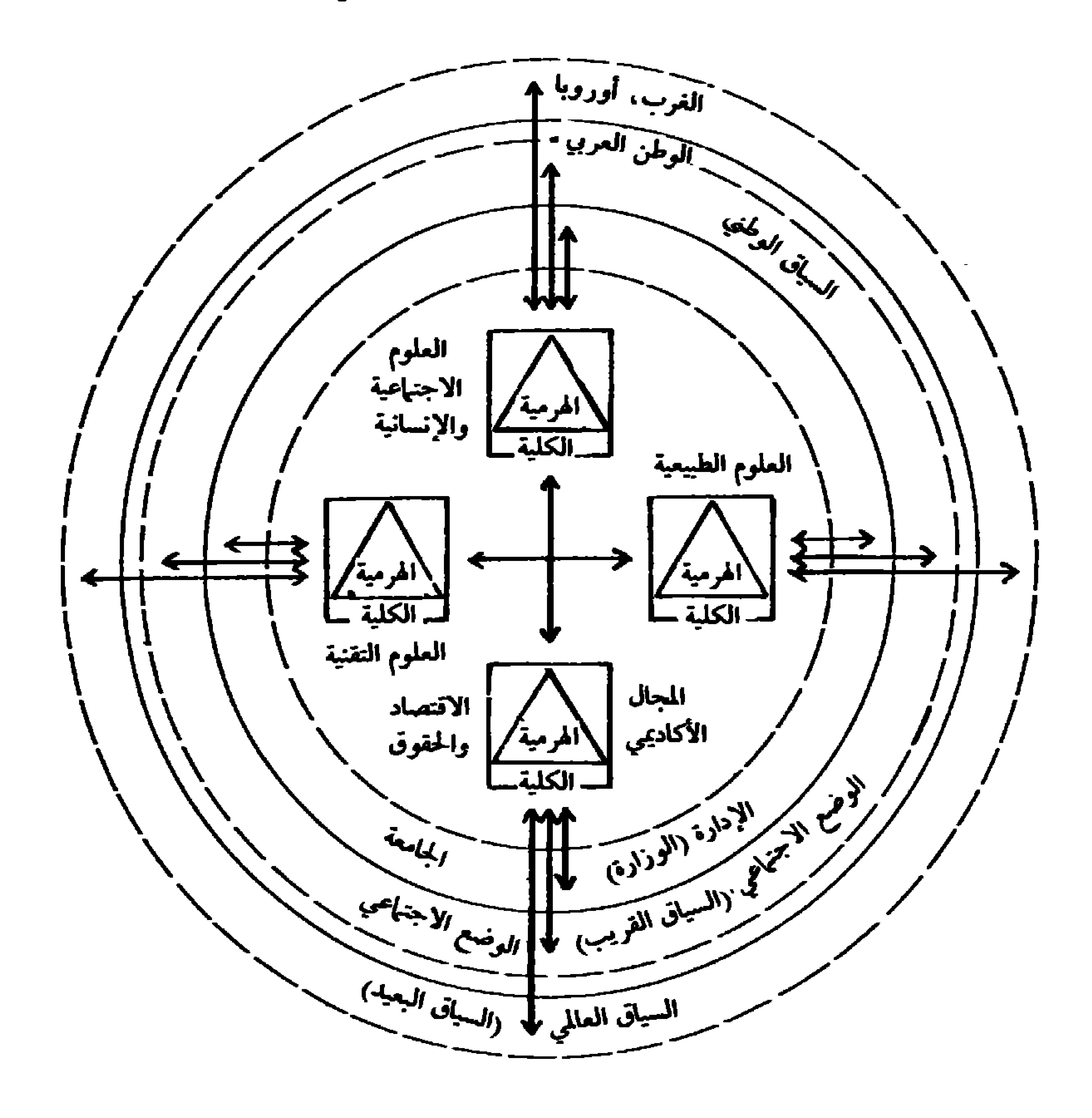
تداخل العلاقات بين مختلف المجالات العلمية (على سبيل المثال، مختلف الكليات) في المؤسسة الأكاديمية العربية. إن الفصل بين هذه الحقول المعرفية لا يعني أن كل حقل منها منعزل، بل ما يفيد أن لكل منها خصوصية. فكل حقل له مجموعة من الرموز وقواعد اللعب. وهناك ترابط بنيوي حيث يوجد تعارض المصالح وتشابهها. ويتعزز هذا بالسياق الاجتماعي أو بالرموز والقيم المهيمنة عالمياً. وفي كل حقل توجد هرمية عمودية من المواقع.

ومع أن الأكاديمي يحاول أن تكون له هوية اجتماعية وأكاديمية تمكّنه من الانضمام إلى عضوية جماعة معينة، فإنه يرغب في الوقت نفسه في المحافظة على تفرّده وتميزه الذاتي. ومن هنا يمكننا القول إن الأكاديمي يرغب في أن يكون معترَفاً به ومعترَفاً له من قبل الآخرين كعضو يحمل سلطة ما ويمارسها داخل المجال الأكاديمي وخارجه.

وإذا كان نيل احترام الآخرين يمكّن العضو الأكاديمي من تحقيق موقع متميز ومختلف عن مواقع الآخرين في المجال الأكاديمي، فإن نيله ذاك يلزمه بالانضمام، في الوقت نفسه، إلى جماعة ما أو أن يصنّف نفسه ـ حسب تعبير ترنر[٢٦] ـ أو أن يتماهى مع أعمال الآخرين

(٢٦) John C. Turner, *Rediscovering the Social Group* (Oxford: Basil Blackwell, 1987).

شكل رقم (٢ ـ ١)
تداخل العلاقات في المجال الأكاديمي



وفلسفاتهم (على سبيل المثال التماهي مع طبقة أو فئة اجتماعية معينة، أو النشاط في جمعية مهنية، أو الإنتماء إلى مدرسة فكرية أو فلسفة ما) أو أن يكوّن لنفسه صورة علمية خاصة به يحقق بها شخصية متميزة في مجاله المعرفي. ومن البديهي أن نيل الاعتراف عن طريق التماهي مع أفكار الآخرين أو فلسفاتهم، أسهل بكثير من نيله عن المجهود الذاتي والابداع الفكري الشخصي. ولعل في هذا مصدراً من المصادر الشائعة للصراع بين الأكاديميين والنزاع في مجالهم الذي يصعب التميز فيه بين ما هو إبداع وما هو تقليد.

والواقع أن الصراع والتنافس الناتجين عن احتلال المواقع والاختلافات في المجال الأكاديمي يُعدّان من الأمور المتأصلة في المجال وفي طبائعه. إذ يحاول كل عضو فيه، حسب رأسماله المعرفي واختصاصه العلمي ونشاطه فيه، أن يدافع ويحمي موقعه بغيرة وشراسة. وسيبقى هذا الصراع والتنافس من ثوابت المجال الأكاديمي، وذلك بسبب خصائص سياقه الذي يفرّق بين أعضائه ويفرض عليهم شكلاً مؤسساتياً معيناً. وفي ما يخص السياق

الأكاديمي العربي، وممارسة الأكاديميين فيه الثقافة والخبرة وبخاصة ممارسة المعرفة، يمكن أن نميز بين أربع مجموعات على الأقل، يُفترض أن يكون لكل واحدة منها هابتوس خاص. وهذه المجموعات هي: مجموعة العلوم الإنسانية، ومجموعة الحقوق والاقتصاد، ومجموعة العلوم الطبيعية، وأخيراً مجموعة العلوم التقنية(٢٧). ولكل مجموعة خصوصيات تميزها عن الأخرى وتعطيها رموز اختلاف وتمايز خاصة بها، كما تعطيها ابتعاداً معيناً وموقعاً خاصاً ضمن مختلف حقول المعرفة.

ويتبع هذا أن لكل فئة أكاديمية وظائف تختلف عن وظائف الفئات الأخرى، وكذا تكون لها وجاهتها ومسؤولياتها الخاصة التي تجد اعتباراً عند أعضاء الفئة نفسها وعند الأعضاء المنتمين إلى حقول معرفية أخرى. . . وبداخل كل فئة توجد هرمية مواقع، تجعل الفئة ذاتها تنقسم إلى فئات فرعية صغرى. وهذه الفئات الصغرى ليست بقارّة أو ساكنة بل تعيش في سيرورة دينامية، إذ توجد فيها حركة داخلية تشمل كل العلاقات في بُعديها العمودي والأفقي: ذلك أن هذه الفئات تتعاون وتتنافس وتتصارع في ما بينها وتعمل على الرفع من مواقعها. ويتطلب منا الإدراك الدقيق لهذه العلاقات وللتفاعلات التي تسود بين الأعضاء في هذه الحقول الأكاديمية ـ سواء أكانت حقول معرفة إنسانية أو علمية طبيعية. . . إلخ ـ اعتبار الدينامية الموجودة في الوضع السياقي. ويعني هذا اعتبار المناخ الداخلي للكليات وهيكل تسييرها وبنيتها و«قواعد اللعب» المهيمنة فيها.

ومن البديهي أنه لا يمكن فهم النمط المهيمن في علاقات حقل معرفي معينّ داخل الجامعة، دون الأخذ في الاعتبار علاقات الحقل الخارجية التي تكون له مع الحقول المعرفية الأخرى، لأن هذه الحقول تتبادل التأثير في ما بينها بطرق شتى. هذا إضافةً إلى أن هناك عوامل ومحددات خاصة، تتمثل على صعيد كل حقل في السيرورة الدينامية المتأصلة فيه وفي المنطق الذي يسود في مستواه. فعلى سبيل المثال، لا بد من التمييز بين هذه الحقول على أساس السمات الخاصة بكل صنف من المعرفة، أي بكل ما يتعلق بتلك المعرفة من ممارسة وإبداع وإنتاج وإعادة إنتاج واستهلاك، وأيضاً على أساس كفاءة الحقل الذي ترتبط به تلك المعرفة. ولكي نعطي مثالاً ملموساً في هذا الباب، سنأخذ نموذج أستاذ علم الأحياء. فلكي نقوّم إنتاجه العلمي ومساهمته العلمية بدقة، لا بد أن نموضعه أولاً في نشاط الحقل الذي ينتمي إليه، وهو العلوم الطبيعية. إذ إن لهذا الحقل ثوابته وقواعده وبناه ونمطه العلميّ المتميز وسلطته ونفوذه الخاصين. فكما أكد ذلك بورديو(٢٨)، لا يمكننا أن نتعامل مع حقل الفلسفة بمعايير وقواعد حقل الجغرافيا. أي ما نريده هو أنه لفهم أستاذ علم الأحياء وتقويمه التقويم

---

(٢٧) على سبيل المثال، تضم العلوم الإنسانية، علم الإجتماع وعلم النفس، والأنثروبولوجيا، واللغات والتاريخ والآداب والثقافة؛ وتضم العلوم الإقتصادية والقانونية: القانون والشريعة والاقتصاد والإدارة والتجارة؛ وتضم العلوم الطبيعية علم الأحياء والفيزياء والكيمياء والرياضيات والطب؛ وتضم العلوم التقنية الهندسة والهندسة المعمارية والهندسة الفلاحية.

(٢٨) Bourdieu, *Questions de sociologie*, pp. 113 - 116.

المناسب لا بد أن نموضعه في حقله الخاص به، وبما أن هذا الحقل يتموضع بدوره في المجال الأكاديمي العام، فإن بالإمكان مقارنته، على أساس، الشهادات والألقاب العلمية، مع أساتذة آخرين ممن يحتلون مواقع مشابهة في حقول معرفية أخرى.

ومن هنا، فإنه لفهم موقع الأكاديمي، يتعينّ علينا دراسة طبيعة وخصائص العلاقات التي تربطه بالبنية السوسيو ـ ثقافية التي يتموضع فيها، وذلك بصفته ممثلاً لصنف معيّن من المعرفة. إضافة إلى هذا لا بد من دراسة الرساميل التي يتوافر عليها وقيمتها ونوعها، سواء أكانت تلك الرساميل ثقافية أم رمزية أم اقتصادية. ولا بد من أن يشمل هذا الاعتبار أهمية تلك الرساميل في حقله المعرفي وبالنسبة إلى النموذج الإيديولوجي المهيمن. وقبل متابعة تحليلنا، سنوضح بإيجاز المقصود بهذه الرساميل ومحتواها.

رساميل الأكاديمي

«أندرشافت: ـ ولكن، يا سيد كوزان، هذه عملية تجارية جادة، وأنت ليس معك رأسمال يمكن أن يُعتبر فيها.

كوزان: ـ ماذا؟! ليس لي رأسمال؟! وإجادتي الإغريقية، أليست برأسمال؟ ومعرفتي بالفكر الراقي، وبأروع ما أنتجه الإنسان من شعر، أليست برأسمال؟ وشخصيتي وذكائي وحياتي وعملي أو ما تقول عنه بربارا إنه روحي، أليس كل هذا برأسمال؟ تفوّه بكلمة أخرى وسأضاعف من أجري»[٢٩].

يستعمل بورديو مفهوم رأس المال كأداة نظرية يقارب بها ويدرك من خلالها هذا الصنف من الملكية الذي يكون رهن تصرف الفرد أو المجموعة. وعلى الرغم من أن هذا المفهوم ارتبط أصلاً بميدان الإقتصاد. إلاّ أن بورديو استعمله ووظفه في سياقات أخرى ليدل به على ما يمتلكه ويراكمه الأفراد من رساميل رمزية واجتماعية وتعليمية وثقافية ولغوية... إلخ. وما يهمنا في هذه الدراسة هي تلك الرساميل الثقافية والتعليمية والاجتماعية والرمزية منها. وفي هذا الصدد طوّر بورديو [٣٠] مفهوم الرأسمال الثقافي ليحلل به الإنجازات الأكاديمية التي يحققها الطلبة من مختلف الفئات والطبقات الإجتماعية. وبصفة تقريبية ومجملة، يمكن أن يتجلى هذا الرأسمال في ثلاثة مظاهر رئيسية: مظهر مندمج (Incorporated) يتخذ شكل تنظيم دائم من المؤهلات (أو المقتضيات) (Dispositions) ومظهر مشيّأ (Objectivised) يتمثل في الأشياء المرتبطة بالثقافة (كالكتب والرسومات الفنية والآلات...)، وأخيراً مظهر مؤسساتي (Institutionalized)، ويبدو في الألقاب والشهادات العلمية التي تعطي هذا الصنف من الرأسمال أصالة يتفرد بها.

---

(٢٩) George Bernard Shaw, *Major Bárbara* (Harmondsworth, Eng.: Penguin Books, 1960), p. 137.

(٣٠) Pierre Bourdieu: *The Distinction of Social Critique of the Judgement of Taste* (London: Routledge and Kegan Paul, 1980), pp. 53 - 54, and 80 - 83, and *Le Sens pratique*, pp. 94, 214 - 215, 200 - 201, et 205 - 206.

ويرتبط هذا الرأسمال بتنظيم معيّن ويتطلب نوعاً من الاندماج فيه، إذ يتم هذا الاندماج عبر سيرورة التلقين والاستيعاب التي تنتج منها مراكمة الرأسمال الثقافي. مع التأكيد على أن عملية الاكتساب هاته لا يمكن لشخص أن ينوب فيها عن آخر، إذ يتعين على الشخص المعني أن يقوم بها بنفسه وأن يستثمر فيها ماله ووقته وطاقته. وهو ما يمكن تسميته تثقيف الذات (Se cultiver). وبهذا يكون الرأسمال متجسداً في الشخص، ومظهراً مندمجاً في صاحبه أو حامله، أي بمثابة نوع من الهابتوس(٣١).

ويحدد بورديو الرأسمال الاجتماعي بأنه «مجموعة مصادر، راهنة أو متوقعة، ترتبط بملكية شبكة من العلاقات تحمل، بشكل أو بآخر، طابعاً مؤسساتياً وذلك عبر «التعارف المتبادل» (Interconnaissance) و«الاعتراف المتبادل» (Interreconnaissance)»(٣٢). وبعبارة أخرى الانتماء إلى فئة مكونة من الأعضاء الاجتماعيين. هذا، إضافةً إلى أن الرأسمال الاجتماعي يتمثل في مجموعة علاقات قابلة للتنشيط، يمكن تحريكها وتوظيفها، وهي عند الحاجة تعطي دعماً وسنداً يتمثل في أهلية الاحترام (المحترمية) والتشريف(٣٣). وعلى أي حال، فإن حجم الرأسمال الإجتماعي (الذي يمتلكه الفرد) وأهميته يرتبطان بشبكة الارتباطات والعلاقات التي تكون فعالة عند تحريكها وتوظيفها، كما يرتبطان أيضاً بأهمية الرساميل (الإقتصادية والثقافية والرمزية) التي يمتلكها الآخرون الموجودون في شبكة علاقات الفرد(٣٤).

أما الرأسمال الرمزي، فيتمثل في أشكال تتمظهر في السمعة والصيت والوجاهة والشهرة والموهبة... إلخ، التي عندما تقام ويُعرف بها الشخص ويعترف الآخرون له بها، تشكّل نوعاً من الدعم لصاحبها يتمثل في المصداقية والاعتبار والتشريف. وتتعلق قيمة هذا الرأسمال أساساً باعتراف الآخرين، أو كما قال جوبكي (Joppke)(٣٥) «الرأسمال الرمزي يوجد في أعين الآخرين». إضافة إلى أن اعتراف الآخرين هذا يحقق للمعترف له نوعاً من السلطة والنفوذ والتأثير، وبذلك يكون حامل الرأسمال الرمزي أو المستفيد منه تجسيداً للمزايا المتضمّنة في رأسماله، أي أن تلك المزايا تصبح مجسدة فيه وشخصية وطبيعية، أو حتى فطرية تولد معه.

وفي تقديرنا الخاص، تشكّل هذه الرساميل الثقافية والتعليمية والرمزية أدوات ملائمة موضوعياً وإجرائياً لهدف هذه الدراسة. فهي تمثل وسائل فعالة لتحليل المجال الأكاديمي، وتمثّل في حدود ما، وسائل ناجعة في تحليل ثوابت هذا المجال وما يجري فيه من صراعات وتنافسات بين الأعضاء الاجتماعيين العاملين فيه. وعلى الرغم من أن المجال الأكاديمي الذي

---

(٣١) Pierre Bourdieu, «Le Trois états du capital culturel,» *Actes de la recherche en sciences sociales*, no. 30 (1979), pp. 3 - 6.

(٣٢) Pierre Bourdieu, «Le Capital social,» *Actes de la recherche en sciences sociales*, no. 31 (1980), pp. 2 - 3.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٢ ـ ٣.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٢ ـ ٣.

(٣٥) Joppke, «The Cultural Dimensions of Class Formation and Class Struggle: On the Social Theory of Pierre Bourdieu,» pp. 53 - 78.

وظف فيه بورديو هذه الرساميل شبيه في مظاهر عدة بالمجال الأكاديمي العربي، إلاّ أن هذا الأخير يختلف أصلاً ونوعاً في تشكيله التاريخي وديناميه سياقه وبنيته وجدلياته. وهذا يعني أنه إن كان الأعضاء الاجتماعيون (في المجالين المشار إليهما) يتشابهون معيارياً ووظيفياً، فهم يختلفون، ولهم بصفة فردية أو جماعية هابتوس مختلف وخلفيات مغايرة في كيفها. فالجامعة في البلدان العربية، بصفتها جماعة علمية، تحمل سمات عالمية يمكن أن توجد في كل المؤسسات التعليمية العالية، خاصة إذا ما نحن أخذنا المجال الأكاديمي العربي في بُعده الواسع الذي استوعب الكثير من النموذج الغربي (في المحتوى العلمي والمناهج وطرق تلقين المعرفة والراموز الموحد. . .) إذ من هذا المنظور، تبنّينا مؤشرات الرساميل والسلطة المستعملة عند بورديو[٣٦] في دراسته الأكاديميين الفرنسيين، مع إدخال بعض التعديلات عليها. وبما أنه لم تتوافر لنا في هذه الدراسة المعلومات والمعطيات الإحصائية الكافية لأن عدد المشاركين قليل نسبياً، فإن النتائج التي خلصنا إليها باستعمالنا هذه المؤشرات تبقى بالتالي ذات قيمة دلالية محدودة.

هذا إضافة إلى أن نشاط هاته المؤشرات وتفاعلاتها محدود بمجال محمّل رمزياً وثقافياً وتنظيمياً بكل ما يخص المجتمع العربي من صراعات واستراتيجيات وثوابت وقواعد لعب خاصة. مما يعني أننا عند استعمالنا، الضمني أو الصريح، هذا الهيكل النظري (على سبيل المثال الهابتوس، والرساميل، والتفاعلات، والتمثل، والمجال. . .) الذي بيّناه سلفاً، في المجال الأكاديمي العربي، سنحاول التأكيد على خصوصية الأعضاء الإجتماعيين وعلى خصوصية السياق والثقافة المرتبطة بهم. وفي هذا الصدد، أدخلنا مفهوم «أهلية الاحترام» «المحترمية» (Respectability) الذي أخذ في اعتقادنا في الاعتبار هذه الخصوصية. ولكن قبل الشروع في تحليل الأكاديميين وسياقهم، سنعطي أولاً خطوطاً عامة للطبقات الاجتماعية وبكيفية خاصة الطبقات الاجتماعية في المجتمع العربي.

---

(٣٦) Bourdieu, *Homo académicus*, pp. 39 - 47.

الفَصْل الثَالِث

الطّبقَاتُ الاجْتماعيّة

أولاً: تصنيف عام

«إن تقسيم البشر إلى طبقات، وفقاً للتنظيمات الاقتصادية التي يشكّلونها، سيكون ولا ريب جدّ علمي: إن مثل هذا التصنيف سيقارب تصنيفات التاريخ الطبيعي؛ غير أن هذه المنظمات الاجتماعية الخاصة نادرة، والطبقة هي مادة تمثيل اجتماعي، مع أنها غير عضوية»[1].

- «إن الطبقة ليست معلومة مطلقاً في الأشياء؛ انها كذلك تمثيل وإرادة ولكن ليس لها أي حظ في التجسد في الأشياء إلا إذا هي قرّبت ما هو قريب موضوعياً وباعدت ما هو بعيد موضوعياً»[2].

اقترح الباحث المغربي عبدالله العروي في تحليل له للبلدان النامية (والوطن العربي من ضمنها) ولمشاكل التخلف فيها وخطابها الإيديولوجي وفئاتها الإجتماعية، الماركسية كأداة مناسبة في أيدي مثقفي تلك البلدان لمعالجة مشكل التخلف. ويرى العروي أن على مثقفي تلك البلدان أن يعيدوا صياغة الماركسية صياغة تأخذ بعين الاعتبار ظروف بلدانهم التاريخية واختلافها الثقافي مع المرجع الأصلي للماركسية. ويضيف في هذا الصدد قائلاً إن مثقفي الدول النامية «محكوم عليهم بأن يجدوا ماركس في طريقهم، ولكن عوض أن يجدوا الفكر الماركسي الحقيقي، سيجدون - في كل كتب التاريخ والسياسة وعلم الإجتماع التي تهمهم - أفكاراً ماركسية مبسطة ومختزلة أو مقنّعة»[3].

والواقع أنه كلما أثيرت مسألة الطبقات وكيفية التعامل معها، كان الفكر الماركسي

---

(١) Maurice Halbwachs, *Classes sociales et morphologie*, présentation de Victor Karady, collection le sens commun (Paris: Minuit, 1972), p.44.

(٢) Pierre Bourdieu, *Choses dites* (Paris: Minuit, 1987), p. 93.

(٣) Abdallah Laroui, *The Crisis of the Arab Intellectual: Traditionalism or Historicism?*, translated from French by Diarmid Cammell (Berkeley, Calif.: University of California Press, 1976).

حاضراً، ولم يكن هناك مفر من أخذه في الاعتبار. ويعتبر ماركس، بكيفية عامة، كل الأفراد الذين يعيشون في ظروف اقتصادية مماثلة أو يوجدون في مواقع متماثلة، يشكّلون موضوعياً طبقة، سواء كانوا واعين بذلك أو غير واعين. «فهم يشكّلون طبقة عندما يكون باستطاعتهم التضامن في صراع موحد ضد طبقة أخرى»[٤].

يضاف إلى هذا أن كل من يعيشون في ظروف اقتصادية معينة، تميز نمط عيشهم ومصالحهم وثقافتهم عن طبقات أخرى، وتضعهم في تعارض معها، يشكّلون طبقة». ذلك أن ماركس يميز بين الطبقات وحددها على أساس معايير اقتصادية نخص بالذكر منها «نمط الإنتاج». ويدخل في نمط الإنتاج قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج المتبلورة في واقع سيطرة طبقة واحدة على وسائل الإنتاج وتملكها لها، وفي واقع ما تقدمه طبقة أخرى من عمل، فهناك إذن، طبقة مهيمنة وطبقة مهيمَن عليها.

وينعكس هذا التمييز الاقتصادي في مستوى أعلى اصطُلح عليه في الفكر الماركسي بـ «البنية الفوقية». فبما أن الطبقة المهيمنة توجد في وضع اقتصادي مؤثر، فإن باستطاعتها التحكم من ذلك الموقع، في معظم المؤسسات الإجتماعية، وفرض أفكارها ومُثُلها فيها، بحيث تبرز «من أشكال الملكية ومن ظروف الحياة الاجتماعية، بنية كاملة من أنماط الفكر والنظر إلى الحياة ومن الأوهام والمشاعر المتميزة المكوّنة بكيفية خاصة. فكل هذه الأنماط تخلقها الطبقة المهيمنة، وتشكّلها من تقاليدها وطرق تنشئتها»[٥] وبعبارة أخرى، «فإن الأفكار المهيمنة في كل عصور التاريخ هي افكار الطبقة السائدة» «(ولتوضيح أكثر، تكون الطبقة المسيطرة على القوى المادية في المجتمع هي الطبقية المسيطرة في نفس الوقت على القوى الثقافية فيه)»[٦].

ويضع ماركس، بين هاتين الطبقتين الرئيسيتين الموجودتين في تعارض وثنائية، طبقة ثالثة وسطى اصطلح على تسميتها «البورجوازية الصغيرة أو الطبقة الوسطى». وتتشكل هذه الطبقة من فئات تشارك في خصائص الطبقتين الرئيسيتين معاً. وعلى الرغم من الوضع الخاص لهذه الطبقة في تقسيم العمل، فهي تصوَّر في الأدبيات الماركسية على أنها تتشكل أساساً من «أولئك الذين يملكون وسائل إنتاجهم ويستغلونها بأنفسهم... ومن أولئك الذين يعملون لحسابهم الخاص دون اللجوء لعمل مأجور... ومن أولئك الذين يملكون وسائل الإنتاج بقدر متواضع...»[٧]. ومن ثم، يتضح أن درجات الثروة والامتلاك مهمة في رسم الحدود بين البورجوازية الصغيرة والطبقتين الأُخريين (الرأسمالية والبروليتاريا). ومع هذه الأهمية، فهي لا ترسم تلك الحدود بدقة كما يمكن أن ترسمها الأدوار الإجتماعية «كالعلاقة بوسائل الإنتاج والعمل والعمل المأجور»[٨].

---

(٤) Karl Marx and Friedrich Engels, *The German Ideology* (Moscow: Progress Publishers, 1976), pp. 348 - 349.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦٤.

(٦) Karl Marx, «The 18th Brumaire of Louis Bonaparte,» in: Karl Marx and Friedrich Engels, *Selected Works* (London: [n.pb.], 1968), vol. 1, p. 64.

(٧) Stanislaw Ossowski, *Class Structure in the Social Consciousness* (New York: Free Press, 1963), p. 77.

(٨) المصدر نفسه، ص ٧٨.

ولهذا، فإن هـذه الطبقـة المتوسـطة (البرجـوازية الصغـيرة أو الطبقـة الوسـطى) ـ التي تتحدد بعلاقاتها الخاصة بوسائل الإنتاج وتوجد في وضع بين الطبقتين الرئيسيتين ـ تتشكل من أفـراد يرتبطون بطرق مختلفة بكلتا الطبقتين.

وقد قام باحثون ماركسيون متأخرون، بصيـاغة مفـاهيم أخرى عن الـطبقة الـوسطى، بـطرق تختلف عن تلك المشار إليهـا وحتى وإن بقي هؤلاء أوفياء للمبـادىء الماركسيـة، فإنهم أكدوا في تحديـداتهم هذه الـطبقة عـلى مظاهـر أخرى من غـير التي أكد عليهـا ماركس. ومن هؤلاء عـلى سبيل المثـال بولنـتزاس (Poulantzas)[٩]، الذي قسم هـذه الطبقـة إلى مجموعتـين «البرجوازية الصغيرة التقليدية» و«البرجوازية الصغيرة الجديدة»، إذ تتشكل الأولى، في نظره، من الـذين يملكون رأس المـال ويراقبـون بأنفسهم سـير عمليـة الإنتـاج دون لجـوء إلى عمـل مأجور، في حين يمثل المجموعة الثانية أولئك الذين يتحكمون نسبياً في عملية الإنتاج، ولكن يكونون في الوقت نفسه عـرضة لاستغـلال ما، حتى وإن قلّت درجتـه عن الاستغلال الـذي تتعرض له البروليتاريا. ومن هؤلاء، مدراء الأعمال والتقنيون وغيرهم وموظفو الإدارات.

وقد أخذ إيريك رايت (E.O. Wright)[١٠] مفاهيم بولنتزاس وطوّرهـا قليلاً؛ فهـو حين يوافقه على المفهوم الذي أعطاه للبورجوازية الصغيرة التقليـدية، ينتقـد مفهومـه للبورجـوازية الصغـيرة الجديـدة. ففي نظره (أي رايت)، تستقـطب هذا المفهـوم اتجاهـات متعددة، عنـد اعتباره «طبقة واحدة»، مجموعات تحركها دوافع ومصـالح مختلفـة، مبعث اختلافهـا المهارات والخبرات والمواقع في توزيع العمل. فهذه المجموعات غير متجانسة من منظور الوعي الطبقي وصراع الطبقات والتشكل الطبقي. ولهـذا فإن مفهـوم بولنـتزاس غير مقنـع ـ في نظر رايت ـ ويحوي عدداً من الالتباسات. وكبديل لمعـالجة هـذه الالتباسـات، يقترح رايت «رؤيـة بعض الأوضاع في احتلالها مواقع متناقضة موضوعياً في إطار العلاقات الطبقية»[١١].

وهكـذا أعطى رايت، من جـانبه خـطوطاً عـريضة لثـلاث طبقـات إجتـماعيـة وهي: البرجوازية الرأسمالية والبرجوازية الصغيرة والبروليتاريا. أما عن علاقات هاته الـطبقات فـإنها لا تلتقي كما يمكن أن تلتقي أضلاع المثلث، بـل تفصل زوايـا تلاقيهـا مجموعـات (أو فئات) أخرى من أصناف العاملين، من أمثال مـدراء الشركات ومسـيّريها، وصغـار أرباب العمـل، والمستقلين في كسب عيشهم. وقد جاء وضـع هذه الفئـات على هـذا النحو، نـظراً لما يحـويه وضعهـا الطبقي من تنـاقضات. مما يعني في الـواقـع، أن مهـام المنضـوين في هـذه الفئـات وأعـمالهم، تجمع بـين مظاهـر، تربط البعض بـالبورجـوازية (كـالمديـرين والمنفذين العـاملين

---

(٩) Nicos Poulantzas, *Political Power and Social Classes* (London: Free Press, 1973).

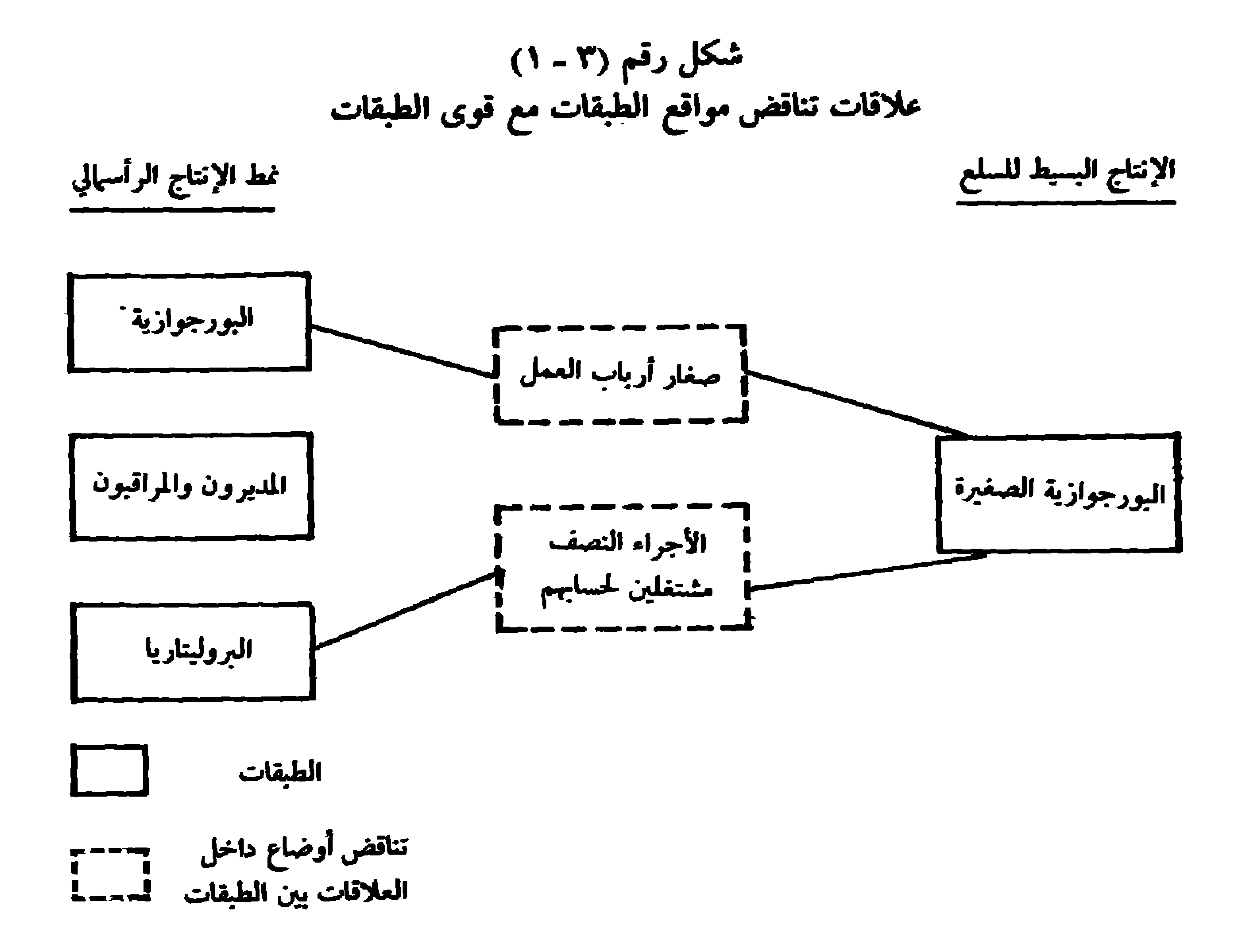
(١٠) Erik Olin Wright, *Classes* (Norfolk, U.K.: Thetford Press, 1985), p.40.

(١١) Erik Olin Wright, «Class Boundaries and Contradictory Class Locations,» in: Anthony Giddens and David Held, eds., *Classes, Power and Conflict: Classical and Contemporary Debates* (London: Macmillan Publishers; Berkeley, Calif.: University of California Press, 1982), p. 112.

بالشركات)، وتربط البعض الآخر بالبرجوازية الصغيرة (كصغار أرباب العمل)، وتربط الباقي إما بالبروليتاريا وإما بالطبقة الوسطى. وهذا ما جعل وضعهم متأرجحاً، يضعون رجلاً في طبقة ورجلاً في طبقة أخرى (أنظر الشكل رقم (٣ - ١)).

شكل رقم (٣ - ١)

علاقات تناقض مواقع الطبقات مع قوى الطبقات



المصدر: Erik Olin Wright, *Classes* (Norfolk, U.K.: Thetford Press, 1985).

ويؤكد رايت في تحليله الطبقات على عوامل أخرى، إضافة إلى العامل الاقتصادي، كالعامل السياسي والعامل الإيديولوجي. والواقع أن رايت يقول عن تناقض الوضع الطبقي إنه كلما وُجد تطور في الوعي السياسي عند العمال، وساوقته عناصر متناقضة ومتناقضة فيما بينها.

وعلى الرغم من أهمية مساهمة رايت في تحليل الطبقات الإجتماعية، بما أسهم به من تصنيف وتمييز بينها، فإنه لم يسلم من النقد. فمما أخذ عليه، مثلاً، تعميمه غير الموضوعي، كتعميمه هذا الذي وضع فيه الحرفيين ونخبة الجامعيين ومالكي محطات البنزين في طبقة واحدة (أو على الأصح أعضاء في شريحة طبقية). وهذا أمر غير مقبول، نظرياً و«أمبريقياً».

وأيضاً طريقته في وصف العلاقـات الطبقيـة، التي تبدو، بشكـل غريب، كـما لو كـانت قارة وساكنة[12].

ومن بين المحددات الأخـرى التي استُعملت في مقاربـة الطبقـات الاجتماعيـة، توزيـع السلطة والنفوذ والشرف الاجتماعي، وغيرها من الوسائل التي يلجأ إليها الأفراد للوصـول إلى المكانة الإجتماعية المتميزة ولاكتساب المعرفة والخبرة والوجاهة والتماهي مع مصالح فئات معينة في المجتمع. ومن الواضح أن هذا يؤدي بنا إلى التعامل مع مفـاهيم ماكـس ڤيـبر الذي يعـدّ علماً في هذا الباب. فالطبقـات الاجتماعيـة، تتمثل، عنـد ڤيبر، في القـواعد التي ينـطلق منها الأفراد في نشاطهم الإجتماعي وتمكنهم من القيام به. ومن ثم يمكن الحديث عن الطبقة، مـن المنظور القيبري عندما: «يشارك عدد من الأفراد في عنصر سببي معيّن، يرتبط بحظوظ حيـاتهم، بحيث أن ذلك العنصر يتمثل، أساساً وبكيفية خاصة، في المصالح الاقتصاديـة المتعلقة بتملّك الأشيـاء وبفرص الـدخل، كما يتمثل هذا العنصر وفقاً لظروف سوق العمـل أو السلع»[13]. وهكـذا، فـإن الطبقـة عند ڤـبر، تحدّد بمعطيات سوق العمل، إضافة إلى تحديدهـا بتوزيـع السلطة والنفوذ في المجتمـع خاصـة تلك السلطة أو ذاك النفوذ الذي يمكّن الفرد من الوصول إلى السلع والخدمـات. أما فـرص الحياة عنـده، فتحدَّد بسلطة السـوق التي تكون سبباً في تحديـد الوضـع الطبقي. ذلـك أن الأفراد الذين يوجدون في مواقف متـماثلة ويشاركـون في مصالـح اقتصاديـة واحدة، ويتمـوضعون في مواقع اجتماعية متشابهة، يمكن أن نطلق عليهم طبقة في المفهوم الڤيبري.

ويعتبر تملُّك الأشياء الـذي يضمن للفرد إشبـاع رغباتـه، من الدوافـع المؤثرة في مـوقع الطبقة ومن العوامل المشكلة لها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تحدَّد الطبقة الإجتماعية تبعاً لصنف النشاط الذي يقوم به أفرادها وتبعـاً لنوع الملكيـة التي يمتلكونها، وحسب تـراكم تلك الملكية وكيفية تراكمها.

وقد أعطى ڤيبر[14] بعداً آخر في تقسيمه الـطبقي، إذ حدد الـتراتب الإجتماعي بـطريقة قريبة بشكل أو بآخر من ماركس. ومع ما قد يكون هناك من تشابه مع مـاركس، فإن «الميـزة الخاصة بڤيبر، تكمن في تبنّيه تعريفاً للطبقات مبنياً على أساس السوق وعلاقـات التبادل، في حـين تبنّى ماركس تعريفاً مبنياً على الانتاج»[15]. وعلى الرغم من هذا التشابه الـذي يأخـذ أصولـه من مفهوم الـطبقة المؤسس على الإنتاج، فإن ڤيبر يؤكد على الجـانب الثقافي في حـين يؤكد مـاركس على الجـانب المادي. إذ إضافة إلى المحدد الإقتصادي المتمثل في الملكية والسيطرة على وسائل الإنتاج الذي

---

(١٢) Gavin Mackenzie, «Class Boundaries and the Labour Process,» in: Anthony Giddens and Gavin Mackenzie, eds., *Social Class and the Division of Labour* (Cambridge: Cambridge University Press, 1982), p. 74.

(١٣) Max Weber, *Economy and Society: An Outline of Interpretive Sociology*, edited by Guenther Roth and Claus Wittich; translators Ephraim Fischoff... [et al.], 2 vols. (Berkeley, Calif.: University of California Press, °1978), p. 927.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٣٠٣.

(١٥) Wright, « Class Boundaries and Contradictory Class Locations,» p. 107.

يأخذ به ڤيبر أيضاً، فإن هذا الأخير، يستعمل وسائل أخرى كمهارات الفرد وقدراته (التقنيـة والإدارية) التي يمكن استغلالها في سوق العمل. ومن ثم، فإن «نظرية ڤيبر تتسع لتشمل أيضاً أرباب المهن والخبراء التقنيين والمقاولين وغيرهم وتضمّهم في إطار نـظرية الـتراتب الإجتماعي عنده»[١٦]. علاوة على ذلك، يتصور ڤيبر الصراع الإجتماعي خارج الثنائيـة الماركسيـة، أي بين من يملكـون ومن لا يملكون (الرأسمالية والبروليتاريا)، إذ إن ڤيبر أعطى الخطوط العريضة لـوجود مصـالح طبقيـة مختلفة وصراعات من أصناف أخرى. ولعل هذا أهم جـانب في نظريـة ڤيبر الـذي ذهب إلى أبعد من تحديد المصالح في جانبها المادي وحسب. والواقع أن ڤيبر أدخل عوامل أخرى كنمط الحياة والوجاهة والمكانة والشرف الإجتماعي.

ولهذا فعندما نقارن مفهوم الطبقة عند كل من ماركس وڤيبر، يتضح لنا أن مفهوم ڤيـبر متعدد الأبعاد يأخذ في الاعتبار ثلاثة عناصر أساسية وهي: الطبقة (class)، والمكانة (Status) والسلطة (Power). ولهذا أيضاً، فإن التراتب الإجتماعي عند ڤيبر يتخذ بعداً سيكولوجياً أكثر من اتخاذه بعداً نظرياً. أي أن هناك نوعـاً من التصنيف (Taxonomy) للمجموعـات والفئات المكوِّنة للمجتمع. ومع كل هذا، يبقى تحليل ڤيبر متجـذراً في تحليله للسوق، فـالطبقـة تبقى ظـاهرة لتـوزيع النفـوذ والسلطة في المجتمع، خـاصـة تلك السلطة التي تمكّن أصحـابهـا من الوصول إلى السلع والخدمات المتوافرة في السوق. أما سلطة السـوق، فهي التي تحدد فـرص حياة الفرد ووضعه الطبقي.

لقد اتّبع ڤيبر خطوات ماركس في اعتباره الـطبقة مجموعة من الأفـراد يجمعهم الوضـع الطبقي المتشابه. إذ يعطي ڤيبر، في هذا، أهمية قصوى للملكيـة الفرديـة في تشكيل الـطبقة، بحيث يمكن القـول إن الملكية هي العنصر الأسـاس في تقسيم الطبقـات، لأنها تمنح الأفـراد امتيـازاً معيّناً. إلا أن هـذا الامتياز لا يتعلق، في رأي ڤيـبر، بالملكيـة وحدهـا، ولكن يتعلق أيضاً بكَمّها وكيفها، وفي هذه الحال لا توجـد في المجتمع طبقـة واحدة مـوحدة، بـل توجـد طبقات وشرائح طبقات. وما يستحق الذكر في تحليل ڤيبر للطبقات، هو إشـارته إلى الفـروق بـين الطبقـات أو الحدود الـطبقية عنـد مختلف شرائح السكـان وفئاتهم. وفي رأي ڤيـبر، فإن غالبية الجماهير هي إما محرومة من الإمتيازات، وإما أن امتيازاتهـا محدودة، لهـذا فهي مضطرة إلى بيـع عملها في الســوق. ومن هنا تبـدو أهمية كفـاءة الفـرد وأهليتـه، إذ تجعـل المؤهـلات التعليمية والمعرفة العلمية صاحبها في وضع امتياز في ميكـانزم العـرض والطلب، وفي مختلف المواقع التي توجد في بنية السوق أو تتعلق بسلطته.

ويضيف ڤيبر بأن من متطلبات الرأسمالية أن يكون هناك مجتمع بيروقراطي عقـلاني، مما يدخل فيه الحاجة إلى معرفـة بيروقـراطية. وبـالتالي، فـإن أصحاب تلك المعـرفة، ستمنحهم معرفتهم تلك نفوذاً وهيمنة كبيرين في المجتمع الرأسمالي. ومع هذا يُعتبر مفهوم ڤيبر من قِبـل

---

(١٦) Reece Jerome McGee, *Sociology: An Introduction*, 2nd ed. (New York: Holt, Rinehart and Winston, ©1980), pp. 165 - 166.

البعض أنه مفهوم تصنيفي فقط(١٧). إذ بقيت في تحديداته الطبقية أشياء ناقصة، لأن هذه التحديدات في النسق الڤيبري هي تصنيفية أكثر مما هي تحليلية. ذلك أن الحدود الطبقية التي تفصل بين فصائل الطبقات، رُسمت من قبل ڤيبر على أساس حجم السوق وسلطته، أي ذلك السوق الذي يؤثر، في نظر ڤيبر في التباعد الطبقي وفي التشكل الطبقي. ويرجع هذا في رأي ماكنزي (Mackenzie)(١٨) إلى أن ڤيبر كان أول المهتمين بـ «تعقيدات انعدام المساواة في المجتمع الرأسمالي في القرن العشرين، أي بعد ظهور الطبقة الوسطى والتقسيمات الجديدة للعمل ولرأس المال».

يستخلص من الخطوط العريضة السابقة، أن نظريتي ماركس وڤيبر تأخذان أصولهما، إلى حد ما، من الحتمية الاقتصادية. ومن هنا يرى بورديو أن بناء الطبقات الاجتماعية يتطلب إحداث قطيعة جزئية مع النظرية الماركسية، خاصة إحداث قطيعة مع كل النزعات التي لا تدرك الفئات الاجتماعية إلا من خلال أعدادها أو مواقعها الاقتصادية، الأمر الذي ربما يضرّ أكثر مما يفيد في إدراك واقع العلاقات داخل الفئة وبين الفئات. ذلك أن بورديو يعتبر هذه العلاقات عنصراً مهمّاً في التحليل الطبقي. ومن هذا المنظور، ينتقد بورديو كل المقاربات المبنية من قبل العلماوي (Scientist) التي لا تتلاءم مع الواقع الاجتماعي المحسوس، كأن يتعلق الأمر بـ «الطبقات المتحركة والقابلة للحركة»(١٩). فهذه الحال تكون مقاربة «العلماوي» مجرد تصور على الورق للطبقات الاجتماعية.

ويجب أن تبدأ هذه القطيعة المقترحة بالنزعة الاقتصادية التي تزيل عن العلاقات الاجتماعية أبعادها وتُنقص من قيمة القوى الفاعلة في المجتمع وتختزلها في مجال الاقتصاد الوحيد البعد. إضافة إلى هذا، يرى بورديو من المحتم إحداث قطيعة مع تلك النزعة الموضوعية أو الموضوعاتية (Objectivism) التي يحركها تصور مثقفين (Intellectual mind) يستخفون بالمجال الاجتماعي والصراع الرمزي السائد فيه.

وفي المقابل، يرى بورديو أن معرفة مواقع الأشخاص ومعرفة مجالهم تعطينا طريقة ملائمة للتحليل. ومن هنا يرى بورديو أن الطبقة يمكن أن ترى على أساس أنها «مجموعة من الأشخاص يحتلون مواقع متماثلة تجعلهم في مواقف متشابهة، وهم من مواقعهم تلك يخضعون لنفس «الإشراط» الظروف المكيفة (Conditionnements) ومن ثم يمكن أن تكون لهم نفس المؤهلات (dispositions) أو نفس المصالح عند إنتاجهم لنفس الممارسات والمواقف»(٢٠).

وقد يبدو في بعض سمات هذا الوصف الذي قدّمه بورديو للطبقة، تشابه ما مع تعريف

---

(١٧) Jonathan H. Turner, *Societal Stratification* (London: Columbia University Press, 1984).

(١٨) Mackenzie, «Class Boundaries and the Labour Process,» pp. 65 - 66.

(١٩) Bourdieu, *Choses dites*, pp. 152 - 154.

(٢٠) Pierre Bourdieu, «Espace social et genèse des «classes»,» *Actes de la recherche en sciences sociales*, nos. 52 - 53 (1984), pp. 3 - 4.

ڤيبر، إلا أنه، في اعتقادنا الشخصي، أن بورديو ذهب إلى أبعد من التحديد أو الوصف المبني على نمط العيش والمكانة والاستهلاك. . . إلخ. والواقع إن بورديو، في مفهومه هذا، لم يهتم وحسب بما يحدد الطبقات الاجتماعية أو يصنفها، ولكنه اهتم أيضاً، وبكيفية خاصة، بما يميّز بعضها عن البعض الآخر، وبما يسبب تضادها: ذلك أن بورديو يقول إن رؤية الطبقات على أساس أنها «مجموعات متجانسة اقتصادياً وأفراد متميزون اجتماعياً، ومتشكلون في فئات» أمر قابل للنقاش والمساءلة. وفي الوقت نفسه يؤكد على وجود «مجال اختلاف مبني على أسس اقتصادية وتمايزات اجتماعية»[(٢١)].

ومن ثم تمكّننا دراسة المجال الاجتماعي من إدراك ملائم للفروق الموجودة بين خصائص الفئات والطبقات، مما يعني أن البناء الأمريقي لهذا المجال، في مجال مجتمع ما، يكون من أجل الكشف عن: «أشكال سُلَط رأس المال التي من الممكن أن تكون فعالة في الصراع (أو التنافس) من أجل تملّك الأشياء النادرة التي يكون هذا العالم موقعاً لها. ويتبع هذا أن بنية المجال تتم عبر توزيع الأشكال المختلفة لرأس المال، بحيث يكون توزيع الملكيات هذا نشيطاً في العالم (الاجتماعي) الموضوع قيد الدرس ـ وتتمتع هذه الملكيات بخاصية منح أصحابها السلطة والقوة والنفوذ، وما يتبعها من فوائد»[(٢٢)].

وتتمثل هذه السُلَط، عند بورديو، في الرساميل الاقتصادية والثقافية والاجتماعية. وهكذا يتم توزيع الأشخاص في المجال الاجتماعي على أسس ثلاثة أبعاد: حجم رأس المال الممتلك وتكوينه (وزنه وقيمته الاقتصادية والثقافية)، والمسار التاريخي للأعضاء الاجتماعيين في المجال الاجتماعي، وبعبارة أخرى، رأسمال العضو الاجتماعي في تطور حجمه وتكوينه عبر الزمن. ومن هنا يكون الأعضاء الاجتماعيون في هذا البناء النظري: «موضوعين في موقع معيّن أو مكان معيّن أو في طبقة محددة بجوار مواقع أخرى، أي يكونون موضوعين في مساحة خاصة داخل ذلك المجال بحيث يتحددون بموقعهم النسبي في إطار نسق متعدد الأبعاد ناشيء عن تلك القيم المتناسقة والملائمة لقيم المتغيرات الوثيقة الصلة بها. (وتعدّ المهنة هنا، بصفة عامة، مؤشراً اقتصادياً جيداً على الموقع في المجال، بالإضافة إلى أنها تعطي معلومات قيّمة عن تأثيرات المهنة، أي تأثيرات طبيعة العمل وتأثيرات الوسط المهني وما يسايرها معها من خاصيات تنظيمية)»[(٢٣)].

وإذا نحن أردنا أن نعيد صياغة أقوال بورديو بطريقة قريبة الفهم، فإن بورديو يقترح أن العالم الاجتماعي يمكن التعبير عنه وبناؤه وإدراكه، بكيفية عملية، عبر عدد من المناهج والمبادىء المرتبطة بالرؤى والتقسيمات. فالعالَم الاجتماعي ما هو إلا تمثل ورغبة (representa-tion and will). وبما أن التمثل والإدراك اللذين يكوّنها الأعضاء الاجتماعيون لأنفسهم وللفئات الأخرى، يساهمان بشكل كبير في تحديد الأعضاء الاجتماعيين وتحديد ما يقومون به، فإن هذا التمثل للعالم الاجتماعي ما هو إلا ثمرة نتاج عدد من النشاطات والبناءات التي

---

(٢١) Pierre Bourdieu, «What Makes a Social Class?: On the Theoretical and Practical Existance of Groups,» *Berkeley Journal of Sociology*, vol. 32 (1987), p. 3.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ٤.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٤.

يقول عنها بورديو[٢٤] إنها «يتم القيام بها دائماً، وسيستمر دائماً في القيام بها». ولهذا السبب فإنه يدافع عن رأي يقول فيه: «إن كل نظرية حول العالم الاجتماعي، يجب أن تضم التمثّل الذي يقيمه الأعضاء الاجتماعيون للعالم الاجتماعي، أو بصورة أدق، يجب أن تضم تلك المساهمات التي يساهم بها هؤلاء في بناء نظرتهم إلى هذا العالم. بحيث يجب أن تأخذ بعين الإعتبار العمل الرمزي الذي هو من صنع الفئات... إذ عبر هذا العمل أو هذه الصياغة اللامتناهية للتمثل (بكل ما يحمله من معنى) يحاول الأعضاء الاجتماعيون فرض نظرتهم (أو تصورهم) لهذا العالم، أو فرض نظرتهم (أو تصورهم) إلى موقعهم فيه، وأيضاً يحاولون منه تحديد هويتهم الاجتماعية»[٢٥].

ومن هنا، فإن البناء الاجتماعي يتحقق عبر عدد من النشاطات (المتعارضة في بعض الحالات) التي يستخدمها الأعضاء الاجتماعيون باستمرارٍ في صراعهم الفردي أو الجماعي، سواء بطريقة عفوية أو بطريقة منظمة - من أجل فرض تمثلهم الخاص للعالم الاجتماعي الذي يناسب مصالحهم ويتوافق معها. ويمكن أن تتسم صراعاتهم هاته بالتفاوت أو التباين الناتج، مثلاً، عن الاختلاف في الرساميل التي يمتلكونها ومواقعهم في الهرمية الاجتماعية وفي مؤهلاتهم وقدراتهم على المناورة، التي تمكّنهم منها السلطة والنفوذ المرتبطان بموقعهم الاجتماعي. والواقع أن الأعضاء الاجتماعيين إما أن يكونوا في وضع مؤاتٍ للدفاع عن مصالحهم، وإما أن يوجدوا في وضع غير ملائم للدفاع عنها[٢٦].

وكما بيّنا سلفاً، فإن الأعضاء الاجتماعيين يتماهون مع الطبقة أو الفئة التي يجمعهم وإياها هابتوس واحد. إلا أن خصوصية المسار الشخصي تعطي كل واحد منهم خصوصية في علاقته بالآخرين. وقد تعني خصوصية المسار وخصوصية الهابتوس هاتين أن هناك اختلافاً في نمط الحياة والبناء الرمزي والتصنيف (Classification)، كما قد تعني اختلافاً في الامتياز والسلطة[٢٧].

وفي هذا الصدد، يقول بروبيكر (Brubaker)[٢٨] إن نظرية بورديو أدخلت منظورات جديدة على مفهوم الطبقة. إذ إضافة إلى الشروط الاقتصادية والاجتماعية، أدخل بورديو عناصر أخرى كالصراعات الرمزية من أجل التميز أو من أجل المشروعية والهيمنة. ولهذه الصنوف من الصراعات أثر كبير في العلاقات بين الطبقات والفئات الاجتماعية. علاوة على أن هذه الصراعات ليست محدودة فقط في الطبقات والفئات، بل هي موجودة أيضاً داخل الفئة الواحدة أو الطبقة الواحدة.

---

(٢٤) Pierre Bourdieu, «Une classe objet,» *Actes de la recherche en sciences sociales*, nos. 17 - 18 (1977), p.2.

(٢٥) Bourdieu, «What Makes a Social Class?: On the Theoretical and Practical Existance of Groups,» p. 10.

(٢٦) Bourdieu, «Une classe objet,» p. 2.

(٢٧) Pierre Bourdieu, *Le Sens pratique* (Paris: Minuit, 1980), pp. 100 - 102.

(٢٨) Rogers Brubaker, «Rethinking Classical Theory: The Sociological Vision of Pierre Bourdieu,» *Theory and Society*, vol. 14, no. 6 (November 1985), pp. 745 - 775.

يضاف إلى هذا أن بورديو قد قام باستعارة نظرية، نقل فيها مفاهيم من مجالاتها العلمية الأصلية ووظفها في علم الاجتماع، (ومن هذه على سبيل المثال، رأس المال والسوق والاستثمار. . . إلخ). ومع أن هذه المقاربة مكنت التحليل السوسيولوجي من أدوات جديدة، إلا أن استخدامها المفاهيمي المتخطي الحدود بين حقول المعرفة والمدعم كثيراً بتفسيرات وبراهين فلسفية، أربك وحير عدداً من القراء، خاصة أولئك الذين تكوّن لديهم «هابتوس علم الاجتماع الأمريكي».

وفي رأينا الخاص أنه عندما يتعلق الأمر بدراسة الطبقات الاجتماعية في البلدان النامية، يجب أن يؤخذ في الاعتبار أيضاً عاملا المصلحة والمقاصد (أو القصد). ذلك أن الأفراد الذين يتماهون مع فئة ما أو طبقة ما ويعتبرون أنفسهم أعضاء فيها بسبب موقعهم ووضعهم، تكون لهم فردياً أو جماعياً مجموعة من المصالح والمقاصد. ونتيجة هذا أنه مهما بلغت القوة التي تجمعهم، ستكون هناك صراعات وقوى وتطلعات متناقضة تتخطى الحدود التي تفصل بينهم. وواقع الأمور هذا، يدفع الأفراد، إما سلباً وإما إيجاباً، إلى اتخاذ استراتيجيات ودعائم تناسب مصالحهم ومقاصدهم وتساير مداها. وهذا الاختلاف في المصالح والمقاصد يدعو أيضاً إلى أنماط مختلفة من التمايز لا على الصعيد الفردي أو الجماعي وحسب، ولكن يدعو إلى تمايز يتجسد في نزعة استعراض رأس المال، وفي الملكية أو عدمها، وفي التباعد الاجتماعي، على الرغم من أن المصالح والمقاصد تتسم بنوع من «التستر المرئي» (Visible invisibility).

والملاحظ أنه يصعب تحقيق وجود أشكال موحدة ومتشابهة من المقاصد والمصالح بطريقة واعية عند مجموعة من الأفراد أو عند طبقة أو شريحة طبقية، خاصة أن هناك درجات متفاوتة في التطلعات الفردية والجماعية. ولهذا، فإن ما يمكن أن نعثر عليه وحسب هو وعي طبقي أو فئوي نسبي مؤسس على «الإجماع» وعلى المصالح المشتركة النابعة من المواقف الموحّدة والتجارب المشتركة أو الغايات الجماعية. وهذا يعني أن الأفراد في المجتمع يتمتعون بمواقع متحركة وقابلة للحركة، وبالتالي، فإن هذا يشير إلى وجود جدلية متأصلة. وعلى الرغم من كل هذا، يجب علينا ألا نفترض عدم وجود وعي عند الطبقة أو الفئة أو أن وعي الواحدة منها مشيد بطريقة هزيلة. وفي المقابل، نسعى إلى أن نبرهن أن القوى الفاعلة والدوافع التي توحّد طبقة ما أو مجموعة ما من الأفراد وتحركها، تكون مشروطة ومحمّلة بعدد من التطلعات والمصالح والتمثلات وتحقيق المنافع التي يطبعها الاختلاف وعدم التساوي، وحتى التناقض في بعض الأحيان. وبالتالي، فإن هذه هي التي تحرك النشاطات المختلفة لأعضاء الطبقة أو المجموعة.

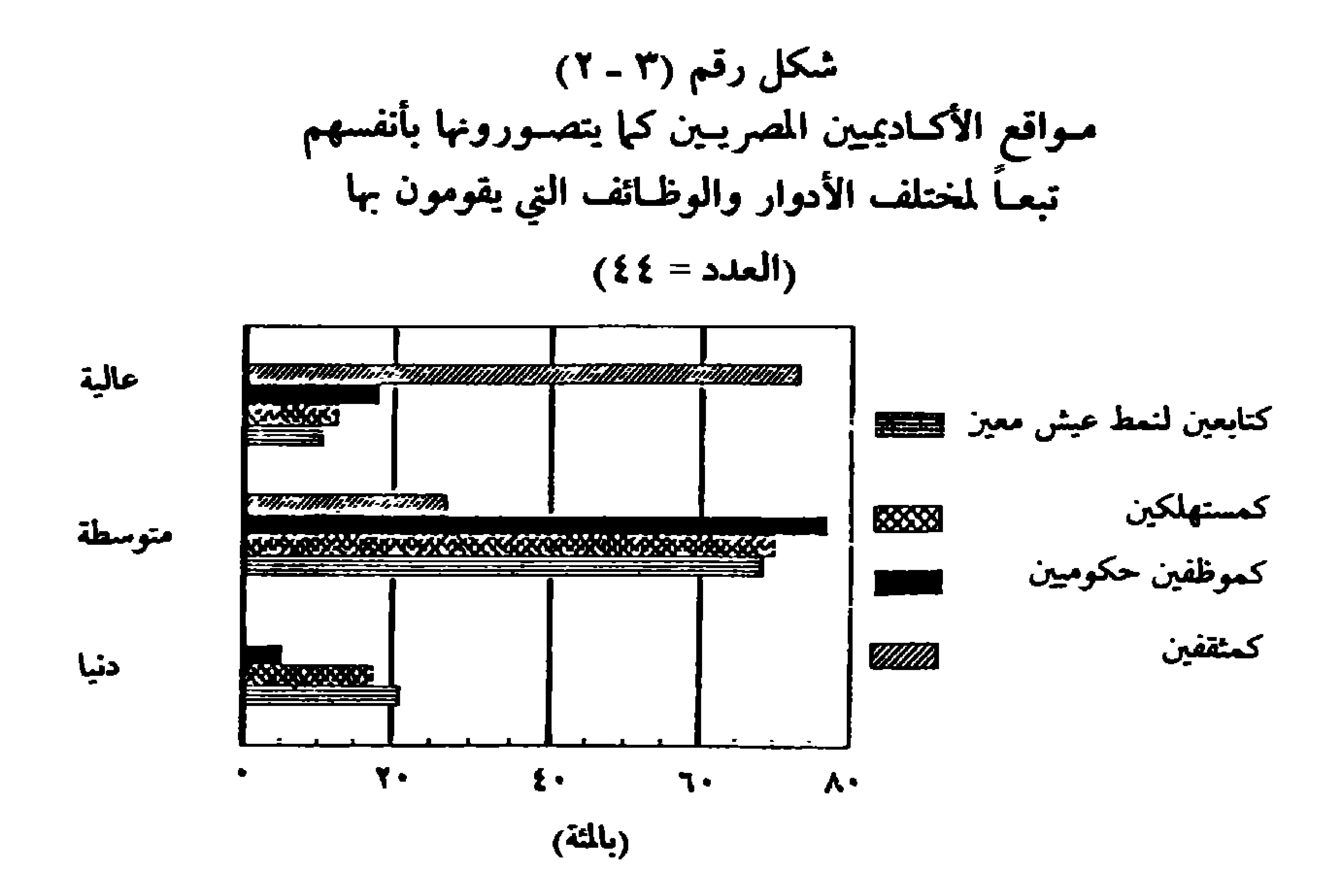
والأفراد الذين يوجدون في مواقع متقاربة في المجال الاجتماعي، بسبب النشاط الذي يقومون به أو بسبب الظروف المحيطة بهم، لا يحركهم في الواقع شعور متجانس. ذلك أن هؤلاء الأفراد يعيشون في الغالب حياة تطبعها الصراعات والمصالح المتناقضة، والتنافس بينهم. ولهذا، فإن صورة تجانس الطبقة ووعيها الصراع الاجتماعي التي حاول العلموي إعطاءها للطبقة، لا تشكّل سوى احتمال من بين احتمالات أخرى وتنظير أكثر مما تشكّل صورة للواقع، كما أكد على ذلك بورديو.

ولهذا يمكن أن نموضع ظاهرياً الأفراد أو مجموعة من الأفراد في خانة واحدة، لكن هؤلاء، قد يموضعون أنفسهم في خانات أخرى وفق تقويماتهم الخاصة وإدراكهم الخاص أهدافهم ونشاطهم في المجتمع وموقعهم فيه وتمثلهم ذلك الموقع. وعلى سبيل المثال، فإن الأكاديميين المشاركين في هذه الدراسة، يموضعون أنفسهم في مستويات مختلفة في سلّم الطبقات الاجتماعية والمكانات والاعتبارات، وذلك تماشياً مع النشاط الذي يتماهون معه والموقع الذي يضعون فيه أنفسهم: مثلاً، هل يعتبرون أنفسهم مثقفين أم موظفين حكوميين أم مستهلكين أم تابعين لنمط حياتي معين؟ . . . إلخ. (انظر الشكل رقم (٣ ـ ٢)). ولهذا، وقبل الشروع في تحليل موقع الأكاديمي العربي، نرى من المفيد أن نعطي نظرة وجيزة عن البنية الاقتصادية للبلدان العربية وعن تصنيف مختلف الطبقات والشرائح الاجتماعية المكونة لها.

شكل رقم (٣ ـ ٢)

مواقع الأكاديميين المصريين كما يتصورونها بأنفسهم تبعاً لمختلف الأدوار والوظائف التي يقومون بها

(العدد = ٤٤)



ثانياً: الطبقات في المجتمع العربي من خلال مقاربة وصفية

لا شك أن القارىء قد لاحظ أن مختلف التحاليل المقدمة سابقاً كانت تتعلق في المقام الأول بالمجتمعات الرأسمالية الصناعية أو «ما بعد الصناعية» الغربية. والدافع من وراء تقديمها هنا، هو أن معظم المفاهيم التي استعملت في تحليل الطبقات الاجتماعية في الوطن العربي أخذت وبنيت على تلك المفاهيم الخاصة بالغرب. فمثلاً، كثير من الباحثين الماركسيين العرب وغير العرب قاربوا الطبقات الاجتماعية في الوطن العربي من المنظور الماركسي، مع إضافة بعض التعديلات الطفيفة أو حتى من دون إضافتها .

عرفت البنية الطبقية المجتمعية في الوطن العربي، تغيرات مستمرة خلال العقود الأربعة الأخيرة. والتغيرات التي حصلت في الوظائف الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية وتداخل العلاقات بين مختلف الطبقات الاجتماعية وغيرها من التغيرات السوسيو ـ تاريخية، والتي نجد لها خصوصيات في كل قطر من الأقطار العربية، تجعل من الصعب ـ بسبب هذه الخصوصية ـ دراسة هذه البنية باستعمال مقاربة واحدة، وإذا استعملت فإن استعمالها سيكون نسبياً وحسب. ولهذا سنعطي في البداية وصفا عاما للطبقات التي تعنينا في هذه الدراسة. لكن قبل ذلك، نرى من الملائم إيجاز الخطوط العريضة للبنية الاقتصادية في أقطار الوطن العربي. يقول الباحث الاقتصادي المصري سمير أمين إن البنية الاقتصادية لكل أقطار الوطن العربي باستثناء مصر (التي كانت لها بنية زراعية) اتسمت في فترة ما قبل الاستعمار بنشاط اقتصادي مركنتيلي؛ ويميز سمير أمين بين مناطق الوطن العربي على النحو التالي: «هناك المشرق، أولاً وهو يضم الجزيرة العربية وسوريا (التي هي اليوم سوريا الحالية ولبنان والأردن وإسرائيل) والعراق، وهناك ثانياً بلاد النيل وتضم مصر والسودان، وهناك أخيراً المغرب ويمتد من ليبيا إلى المحيط الاطلسي أي الدول التي تعرف اليوم بليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا. ومن بين هذه الدول تميزت مصر وسط العالم العربي، بوجود حضارة زراعية استمرت فيها بدون انقطاع. أما في غير مصر، فقد كانت الحياة القروية في وضع مزر فتقنياتها غير متطورة، وإنتاجها ضعيف، ومردودية العمل الفلاحي فيها متدنية ومستوى الحياة في العالم القروي فيها قريب من مستوى الإنتاج الضروري للبقاء. ولهذا، فقط طُبعت أشكال التنظيمات الاجتماعية فيها بالضرورة بطابع الجماعية البدائية. ولذا لم تكن هناك أسس للتملّك الذي ينتج عند فائض الإنتاج الذي يمكّن من الازدهار الحضاري»[٢٩].

وقد عمل استعمار الوطن العربي وإدماجه التدريجي في فلك النسق الرأسمالي الذي أصبح هامشياً فيه، على إحداث تغيرات في البنية الاجتماعية والتشكيل الاجتماعي. ويدافع أمين عن فكرة تقول بأن الأنماط القديمة للإنتاج في الوطن العربي، بوصفها أنماطاً هامشية مهيمناً عليها، تم الحفاظ عليها والإبقاء عليها، في حين حصلت تغيرات في الطبقة المرتبطة بها. أو بعبارة أخرى هناك «تطور في البنيات الزراعية ما قبل الرأسمالية نحو رأسمالية زراعية»[٣٠]. وهكذا أصبح الإنتاج الزراعي في هذه البلدان موجهاً نحو السوق الأوروبي لتزويد الميتربول (المركز) بما يحتاجه من إنتاج. وبما أن البرجوازية المحلية لا تملك المؤهلات والقدرات الكافية للمساهمة في الصناعة التي أدخلها المستعمر، فإن هذه البرجوازية اندفعت نحو «الإنتاج الزراعي والمعدني»[٣١].

وقد وجدت البلدان العربية نفسها بعد حصولها على الإستقلال أمام تركة اقتصادية استعمارية غير موائمة لتطورها، منها، مثلاً، التبعية المستمرة للغرب سواء في التصدير أو الاستيراد أو في إقامة البنية التحتية أو الحصول على الخبرة. إضافة إلى أن كثيراً من البلدان

---

(٢٩) Samir Amin, *The Arab Nation*, translated from French by Michael Pallis, Middle East Series; no. 2 (London: Zed Press, 1978), p. 12.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٢٥.

(٣١) المصدر نفسه، ص ٢٦.

وجدت نفسها مقسمة إلى مناطق غير متساوية في تطورها وتنميتها، وذلك بسبب السياسة الاستعمارية التي اتبعت فيها. وتسبّب انعدام المساواة هذا في هجرة قروية مكثفة نحو المدن وساهم في خلق عدم استقرار في المخططات الاجتماعية والسياسية المتبعة.

ويمكن تقسيم الوطن العربي، في الآونة الأخيرة، بعد أن تم تثبيت دعائم «الأمة ـ الدولة» واكتشاف مصادر طبيعية جديدة إلى أربع مجموعات اقتصادية:

١ ـ مجموعة الأقطار المنتجة للنفط (ليبيا العربية السعودية والكويت وقطر والبحرين والإمارات العربية المتحدة وعُمان). وتتميز هذه البلدان بقلة عدد سكانها مما ينتج عنه نقص في العقول المدبرة واليد العاملة التي يتم استقدامها من الخارج. أما الإنتاج الرئيسي لهذه الأقطار فهو النفط الذي عمل على تشكيل البنية الاقتصادية فيها.

٢ ـ مجموعة البلدان نصف المنتجة للنفط (العراق والجزائر). ويمثّل هذان البلدان، من منظور اقتصادي وجغرافي، مجتمعين معقّدين، حيث يساهم النفط في الدفع بعملية التنمية إلى الأمام.

٣ ـ مجموعة البلدان غير المنتجة للنفط ونصف المصنعة (المغرب ومصر ولبنان وسوريا).

٤ ـ مجموعة البلدان الأقل تنمية وتصنيعاً (موريتانيا والسودان واليمن العربية واليمن الديمقراطية والصومال وجيبوتي والأردن والأراضي الفلسطينية المحتلة). وقد تم تصنيف هذه البلدان ضمن هذه المجموعة اعتباراً لظروفها الخاصة[٣٢].

وقد خلق هذا التغير الحاصل في البنية الاقتصادية في حدود ما، حاجات جديدة وعادات استهلاك وأنشطة جديدة وعلاقات من أصناف أخرى لم تكن من قبل. ومن المنظور نفسه يمكننا القول إن السياق الجديد أعطى ولادة تشكيلات جديدة من تجمعات الأفراد والفئات والطبقات في مجال اجتماعي مغاير نسبياً لما كان عليه في السابق. وفي هذا الصدد يصنّف عبد الفضيل[٣٣] مختلف الفئات والطبقات في الوطن العربي في ثلاث طبقات:

أ ـ البرجوازية الكبيرة، ويعني بها الطبقة الحاكمة أو المهيمنة.

ب ـ الطبقة المتوسطة أو البرجوازية الصغيرة.

ج ـ الطبقة العاملة أو البروليتاريا.

أ ـ البرجوازية الكبيرة (أو البرجوازية الجديدة) وتمثّل هذه الطبقة بفروعها الحاكمة أو المهيمنة، تلك الفئات التي تطورت خلال فترة الاستقلال (أو مرحلة ما بعد الإستعمار)، وذلك بما توافر لها من إمكانات التكوين التقني ـ البيروقراطي (المدني والعسكري أو

---

(٣٢) Samir Amin, *L'Economie arabe contemporaine* (Paris: Minuit, 1980), pp. 9 - 10.

(٣٣) محمود عبد الفضيل، «تضاريس الخريطة الطبقية في الوطن العربي: نظرة اجمالية ـ نقدية،» **المستقبل العربي**، السنة ٩، العدد ٩٥ (كانون الثاني/ يناير ١٩٨٧).

العسكري) في ظل منشآت الدولة. وقد شكّل تطور القطاع الخاص وازدهاره وكذا عمليات التأميم أرضاً خصبة أينعت فيها هذه البرجوازية. ويمكن تقسيم هذه البرجوازية بدورها إلى فصائل أو شرائح، منها، البرجوازية البيروقراطية وبرجوازية رجال الأعمال، حيث تهيمن الأولى على الوظائف الأساسية في جهاز الدولة، وتحتكر الثانية المجال الاقتصادي عبر استثماراتها ومضارباتها فيه. أما في دول الحزب الوحيد كالجزائر وسوريا والعراق، فيمكن الحديث عن «برجوازية الدولة» المتقلدة المسؤوليات الرئيسية في الدولة التي تمكنها من النفوذ والامتيازات ووسائل الإثراء[٣٤].

وقد هيأ الاستعمار الظروف الملائمة لنشأة برجوازية من صنف آخر، حيث ترعرعت البرجوازية الكمبرادورية نتيجة علاقاتها بالرأسمالية الغربية. ويعتبر ممارسة هذه البرجوازية التجارة واحتكارها النظام المالي ذا أهمية مثيرة في بعض الدول، كما هو الشأن في دول الخليج، مثلاً[٣٥]، حيث امتدت سلطة هذه البرجوازية لتشمل القطاعين الاقتصادي والسياسي ومجالات أخرى. وفي المغرب ظهرت، فضلاً عن البرجوازية الكبيرة، برجوازية السمسرة[٣٦] التي عرفت ازدهاراً كبيراً في العقود القليلة الأخيرة. وتعرف هذه البرجوازية في سوريا بـ «البرجوازية الطفيلية»، وفي الكويت بـ «برجوازية الوسطاء»[٣٧]. أما في بلدان الخليج، فإن الطبقة الجديدة فيها تعرف بـ«برجوازية النفط» أو «الأغنياء الجدد»، وذلك لخصوصيات البنية الاقتصادية في هذه الدول ودور النفط فيها[٣٨]. وإذا كانت هذه الفئات أو الشرائح التي نعتناها بالبرجوازية، تختلف من حيث تشكيلها وسياقها الذي ظهرت فيه، فهي تشارك في قاسم مشترك أدنى وهو نشاطها وطريقة اغتنائها. فمعظم أفراد هذه البرجوازية مضاربون وسماسرة يسعون إلى الربح والإثراء السريعين، إذ يصدق في حقهم الوصف الذي وصفهم به الحبيب المالكي، من أنهم «خليط من جماعات أصحاب المصالح، يتمحور سلوكهم في مراكمة «الأراضي والعمارات»[٣٩].

والبرجوازية العربية، ينقصها، على نقيض البرجوازية الغربية، الميزة الخاصة والوعي

---

(٣٤) Hugh Roberts, «The Algerian Bureaucracy,» in: Asad and Owen, eds., *Sociology of «Developing Societies»: The Middle East* (London: Macmillan, 1983).

(٣٥) س. هـ. طوري، «مظاهر الصفوة السياسية في سوريا،» في: **النخبة السياسية في الشرق الأوسط** (القاهرة: دار الموقف العربي، ١٩٨٧)، ص ١٨٩ - ١٩٩، وهاني حوراني، **التركيب الاقتصادي - الاجتماعي لشرق الاردن: مقدمات التطور المشوه، ١٩٢١ - ١٩٥٠** (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الابحاث، ١٩٧٨).

(٣٦) Habib El - Malki, «Interview avec H. El - Malki,» *Lamalif*, no. 106 (mai 1979).

(٣٧) Mohamed Al-Rumaihi «The Historical and Social Bases for Economic Complementarity in the Gulf,» paper presented at: Symposium on the subject, Kuwait, 29/ 4 - 2/ 5/ 1978.

(٣٨) Abdulkhaleq Abdulla, *Political Dependency: The Case of the United Arab Emirates* (Michigan: University Microfilms International, 1987), p. 137.

(٣٩) El - Malki, «Interview avec H. El - Malki».

الطبقي والتلاحم الفعال. وساعدت الدولة في كثير من البلدان العربية (كالمغرب ومصر وتونس) أصحاب رؤوس الأموال في تطوير صناعات محلية مستقلة (كالنسيج والصناعات التحويلية)، وذلك استجابة منها للاستهلاك المتزايد وسعياً منها نحو تحقيق سياسة عصرنة واكتفاء ذاتي، أو سعياً منها نحو التأميم. ويسمّي مهدي عامل[40] جماعة أمثال هؤلاء المقاولين «البرجوازية العربية الكولونيالية» لأنها تلعب الدور نفسه الذي لعبته فيما قبل البرجوازية الامبريالية العربية في هيمنتها على الطبقات الأخرى واستغلالها، وذلك دون سعي منها إلى تنمية البلاد التي توجد بها. وهذه البرجوازية الصناعية لها مصالح شبيهة بنظيراتها في الغرب، إلا أنها، مع الأسف، لا تمتلك الحس العقلاني والسلوك الذي تمتلكه البرجوازية الصناعية الغربية[41].

لقد أعطيت هذه البرجوازية الصناعية (العربية) فرصة الانقضاض على قطاع هي غير راغبة في تسييره السير الحسن الضامن الانتاج الجيد أو هي غير قادرة على القيام بذلك. فعلى الرغم من أنها «ورثت» أو «تبنت» طرق البرجوازية الغربية في العيش والثقافة وتزجية الفراغ، إلا أنها غير قادرة على تقليد أسلوبها الاقتصادي في الإنتاج. وبعبارة أخرى، فإن مفهومها المركنتيلي ما زالت تعترضه صعوبات في أن يتحول إلى مفهوم «المقاولة الصناعية»[42].

ب ـ وكما هو الحال بالنسبة إلى البرجوازية الجديدة، فإن الطبقة الوسطى تدين في وجودها لثقافة الغرب وتأثيره ولنظامه التعليمي. ذلك أن هذه الطبقة تطورت في مرحلة الاستقلال، أي في وقت زاد فيه الطلب كثيراً على حملة الثقافة الغربية لسد حاجات المجتمع العربي الذي بدأ يخطو نحو العصرنة والتصنيع ويبتعد عن التقاليد. ذلك أن الحاجة إلى إعادة تنظيم الاقتصاد والإدارة والجيش والدفع بالتنمية، أكدت على أهمية بيروقراطية الدولة، مما أدى بالتالي إلى زيادة كبيرة في أعداد الطبقة المتوسطة الأجيرة. وقد عرّف حنا بطاطو هذه الطبقة بأنها تتشكل من قطاع مركّب متعدد الوظائف، وما يشارك فيه أفراد هذا القطاع هو مكانتهم الاجتماعية المتوسطة أو احتلالهم مواقع بين من لا يملكون وكبار الملاّكين. ويضم هذا القطاع ضباط الجيش والموظفين الحكوميين وعدداً من أرباب المهن الحرة والتجار وملاّك الأراضي[43].

---

(٤٠) مهدي عامل، أزمة الحضارة العربية أم أزمة البرجوازيات العربية (بيروت: دار الفارابي، ١٩٨٥).

(٤١) John Galtung, «A Structural Theory of Imperialism,» *Journal of Peace Research*, vol. 13, no. 2 (1971), pp. 81 - 117.

(٤٢) A. Adam, «Les Classes sociales urbaines au Maroc,» *Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée*, tome hors série (1979), and M'hammed Sabour, *The Cultural Identification and Alienation of the Arab Intelligentsia: An Empirical Study on the Moroccan Educated*, University of Joensuu, Research Reports of the Faculty of Education, Sociology of Education; no. 9 (Joensuu: University of Joensuu, 1985), pp. 17 - 18.

(٤٣) Hanna Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes and of its Communists, Ba'thists and Free Officers*, Princeton Studies on the Near East (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1978).

وحتى وإن كان هذا التعريف نسبياً لإرتباطه أساساً بالمجتمع العراقي، فإنه يمكن تطبيقه بكيفية عامة على الظاهرة نفسها في مناطق أخرى من الوطن العربي. ومع ذلك يبقى هذا التعريف تعميمياً لأنه لا يميز بدقة بين مختلف العناصر التي تشكلّ الطبقة الوسطى.

والواقع أننا إذا أخذنا بالاعتبار المستوى التعليمي معياراً في تحديد أفراد الطبقة الوسطى، فيمكن أن نميز بين فئتين على الأقل: فئة الأُطر العليا (أي من تلقّوا تعليماً جامعياً) وفئة الأطر الوسطى (أي من تلقّوا تعليماً متوسطاً)، إذ أن مستوى التعليم هذا يضعهم في مواقع اجتماعية ووظائف مختلفة[44]. ومن ثم، فإن بعض الأفراد يمكن أن يوضعوا، بحكم الوظيفة التي يؤدونها، في موقع قريب من موقع البرجوازية البيروقراطية المشار إليها سلفاً، ولكن بما أنهم لا يتمتعون بالسلطة التي تمكّنهم من المشاركة في صنع القرار، فإنهم يكونون، في موقعهم ذاك، محرومين من الامتيازات التي تبقى حكراً على البرجوازية الحاكمة والمهيمنة. وباستثناء هذه الفئة القليلة، فإن الطبقة المتوسطة تتشكل من جيش عرمرم من الموظفين الحكوميين وغيرهم، الذين يصعب تمييز الكثير منهم عن البروليتاريا إلاّ بنوع الأنشطة التي يقومون بها، أما مكانتهم ودخلهم فهما في حضيض يبعد كثيراً عن دخل الطبقة المتوسطة ومكانتها في الأحوال العادية.

إضافة إلى هذا، هناك شرائح من الطبقة الوسطى، لا بد من وضعها في خانة «البرجوازية الصغيرة» (Petty bourgeoisie) بسبب نشاطها وموقعها الاجتماعي[45]. ويبدو أن اختلافات في الرأي تطبع تحليل البرجوازية الصغيرة في الوطن العربي. فالبعض يرى في إطلاق مصطلح البرجوازية الصغيرة قدحاً وتلميحاً لتقليد هذه الطبقة لنمط حياة البرجوازية الكبيرة، أو تطلعاً إلى بلوغها، في حين يرى آخرون أن المصطلح يدلّ على النخبة الواقعة في الشريحة العليا للبرجوازية الصغيرة (الطبقة المتوسطة) عموماً استناداً إلى ما تتمتع به من رأسمال معرفي وخبرة[46]. فمثلاً، يمكن اعتبار ضباط الجيش وأغلب الأساتذة الجامعيين (الفصل اللاحق متعلق بالأساتذة الجامعيين) والصحفيين والاقتصاديين والفنانين والخبراء التقنيين والموظفين الذين وصلوا إلى مواقع مجتمعية متوسطة أعضاء في نخبة البرجوازية الصغيرة. وغالباً ما يكون أصل هؤلاء من البرجوازية الصغيرة، لكنهم تميزوا عن الأُطر الوسطى لا بخبرتهم ونمط حياتهم وحسب، إنما تميزوا أيضاً بتكوينهم الإيديولوجي الذي

---

(٤٤) Jean - Paul Charnay, «Les Cadres moyens dans les pays musulmans,» dans: *Annales marocaines de sociologie* (Morocco, Rabat, 1968), pp. 31 - 57, et M. Kamel, «Le Role politique et idéologique de la petite bourgeoisie dans le monde arabe,» dans: Anouar Abdel - Malek [et al.], eds., *Renaissance du monde arabe* (Alger: Duclot, 1972).

(٤٥) عبد الفضيل، «تضاريس الخريطة الطبقية في الوطن العربي: نظرة اجمالية ـ نقدية».

(٤٦) Aziz Belal, «Quelques aspects fondamentaux socio - economiques du probléme de la renaissance et de l'unité du monde arabe,» dans: Abdel - Malek [et al.], eds., Ibid.

مكّنهم من تحقيق مواقع تساعد اندماجهم في الطبقة الحاكمة(٤٧). وبعبارة أخرى، يمكن تعريفهم بأنهم «برجوازية صغيرة أجيرة»، مما يعني ضمنياً أن هناك برجوازية صغيرة غير أجيرة يراد بها أصحاب المهن الحرة وذوو رؤوس الأموال الصغيرة وصغار ملاّك الأراضي، أو بصفة عامة كل أولئك الذين لهم امتيازات تمكّنهم من كسب عيشهم دون بيع عملهم. ويمكن اعتبار قسم من هؤلاء ملاّكاً صغاراً، بينما قسم آخر منهم ما يزال يعيش تحت ضغط الطبقة المستغلة ورحمتها، وذلك لتبعية ملكية هذا القسم لتلك الطبقة، وبذلك يكون هذا القسم في موقع قريب من موقع الأغلبية المستغلة.

ج - تضمّ هذه الأغلبية المستغلة الفلاحين والطبقة العاملة. ويشكّل الفلاحون في كثير من البلدان العربية قسماً من البروليتاريا، لما يتسم به العالم القروي من خصوصيات في تلك البلدان. وفي مقارنة قام بها حمدان (٤٨) بين برجوازية ملاّك الأراضي والفلاحين استنتج أن هناك «أقلية تملك ولا تعمل وأغلبية تعمل ولا تملك شيئاً» أي «من عندهم ومن ليس عندهم أي شيء» وبعبارة أخرى «هناك المالكون وهناك المملوكون». والواقع أن أغلبية الفلاحين في الوطن العربي، باستثناء أقلية صغيرة تملك قطعاً أرضية صغيرة تفي بحاجاتها الضرورية، وتوجد في أسفل درجات الهرم الاجتماعي. فهم (أي الفلاحون) دون أرض وأجورهم أقلّ من أجور العاملين في قطاعات أخرى، ويعيشون في وضع يرثى له. فهم في الواقع لا يعيشون بل يسدّون رمق الحياة بقبولهم الاستغلال والخضوع للآخرين. ولعل في هذا ما يفسر ظاهرة الهجرة القروية الكبيرة نحو المدن ونحو البلدان المصدرة للنفط وأوروبا في (الستينيات والسبعينيات). إضافة إلى فئة الفلاحين هناك طبقة العمال في المدن، التي تبيع عملها مقابل أجر زهيد. وتعمل هذه الطبقة عند أرباب عمل يستغلونها ويجنون من عملها أرباحاً طائلة، بسبب غياب التنظيمات التي تحدد شروط العمل من جهة، وبسبب غياب نقابات عمالية منظمة تنظيماً جيداً من جهة أخرى. ويرى حليم بركات(٤٩) في مقارنته الشروط التي يعمل فيها العمال في المدن وتلك التي يعمل فيها الفلاحون في البوادي، أن شروط العمال لم تتطور بسبب تخلّف صناعة الدولة (أو التي تشرف عليها الدولة). ومع هذا، توجد استثناءات نسبية، ففي بلدان المغرب وتونس ومصر، حيث يوجد قدر محدود من حرية ممارسة النشاط السياسي، فإنه نتيجة هذه الحرية وعوامل تاريخية أخرى، استطاع العمال في المراكز الحضرية وفي بعض القطاعات تنظيم أنفسهم ودعم مواقفهم إزاء أرباب العمل المستغلين.

أما في البلدان الأخرى حيث المبادىء الماركسية مهيمنة في الإيديولوجيات الرسمية التي تنهجها الدولة، فإنه من المتوقع أن يكون فيها للعمال وزن كبير ويتمتعون باعتبار أكبر مما يجدونه في

---

(٤٧) Mahmoud Hussein, *Class Conflict in Egypt, 1945 - 1970*, translated from French by Michael and Susan Chirman (New York: Monthly Review Press, 1973).

(٤٨) جمال حمدان، **شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان** (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٩)، ص ١٣٣.

(٤٩) حليم بركات، **المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤)، ص ١٣١ - ١٦٩.

البلدان الأخرى. إلا أن الأمور لا تسير حسب هذا التوقع، فعندما نتمعن في الكيفية التي تتملك بها السلطة الحاكمة الأشياء وتوزعها، سيبدو لنا واضحاً أن وضعية طبقة العمال لا تختلف كثيراً عن مثيلاتها في باقي الوطن العربي(٥٠). أما في بلدان الخليج، فإن طبقة العمال صنف خاص، لأن الأحزاب السياسية ممنوعة وغالبية البروليتاريا تتشكل من المهاجرين الذين لا يُسمح لهم بممارسة النشاط السياسي أو التجمع في نقابات عمالية.

لقد كان للنظرية الماركسية تأثير كبير في نظريات التراتب الاجتماعي في الدراسات التي وضعت عن الوطن العربي، حتى وإن كانت هذه النظرية قد صيغت في الأساس في سياق المجتمع الصناعي الغربي. وكما أشرنا سلفاً، فإن كثيراً من الباحثين العرب حاولوا تطبيق الماركسية في مقارباتهم البنية الاجتماعية العربية. وحتى وإن كانت هذه النظرية لا تغفل العوامل الذاتية والاجتماعية والسياسية، فهي في المقابل تشدد على النسق الاقتصادي والمحددات المادية في تحديد الوعي الطبقي وتشكل الطبقات والتحامها. فإذا حدث وكان للطبقات الاجتماعية في الوطن العربي بعض الملامح التي تشارك فيها طبقات المجتمعات الرأسمالية، فإن هذا كافٍ (في نظر البعض) لنقل الماركسية من سياقها الأصلي وتطبيقها في السياق العربي واستعمال مصطلحاتها. أو على الأصح إن ما يقوم به هذا البعض، هو أنه يضع من وجهة ثقافية الأعضاء الاجتماعيين الذين يشكلون الطبقات الاجتماعية في الوطن العربي، داخل خانات النظرية الماركسية وبناها، بعد أن يكون قد أزال عنهم كل ما لا يوافق الهيكل الذي تحدده النظرية الماركسية. ونعتقد أنه فيما يتعلق بالوطن العربي تبقى في هذا أشياء ناقصة، فمثلاً تختلف مجموعة الرموز والتمثلات (أو الهابتوس) التي يستعملها الأعضاء الاجتماعيون (في الوطن العربي) لفهم واقعهم الاجتماعي وتنشيطه، عن مثيلاتها عند الأعضاء الاجتماعيين في الغرب. مثلاً، في العقلانية الثقافية والتحالفات العائلية والعلاقات الزبونية والسلوك الاقتصادي... إلخ. والواقع أن سلطة العلاقات في الوطن العربي تتحدد بعوامل أخرى من غير المحددات الاقتصادية. وفي هذا الصدد يقول بيل(٥١) «إن النفوذ السياسي والتحكم الشخصي والأصل المرابطي والتعليم التقليدي، في العالم العربي، تفوق الثروة والمال في تأثيرها على البنية الاجتماعية» إضافة إلى هذا، يلاحظ بيل أن المجتمعات التي تقل فيها الثروة ويغلب عليها اقتصاد القلة، تسود فيها قيم أخرى (بجانب الثروة) وتصبح مصدراً لتنافس الناس وتراتبهم. فالعلاقات الأساسية تدخل فيها أنماط المناورة أكثر مما تدخل فيها أنماط الإنتاج(٥٢).

وقد حاول حليم بركات(٥٣)، في نظريته حول الطبقات الاجتماعية في المجتمع العربي،

---

(٥٠) David Roberts, *The Ba'th and the Creation of Modern Syria* (London: Croom Helm, 1987), and

طوري، «مظاهر الصفوة السياسية في سوريا،» ص ١٨٩ - ١٩٩.

(٥١) J.A.Bill, «Class Analysis and the Dialectics of Modernization in the Middle East,» *International Journal of Middle East Studies*, vol. 3 (1972), p. 425.

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٤٢٥.

(٥٣) بركات، المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي، ص ١٤٨.

أن يتخطى حدود المظهر الاقتصادي. فهو يؤكـد، مثلاً، عـلى النسب والأصل والـولاء القبلي والتـوزيع الإقليمي والـولاء العشائـري التي يرى فيهـا قوى فـاعلة في تحديـد مواقـع النـاس وتماهيهم. وفي هذا السياق يرى أن الطبقة في المجتمع العربي تتحـدد بعناصر متـداخلة (أنظر الجدول رقم (٣ ـ ١))، منها موقع الأفراد والأسر والفئات في البنية الاقتصادية، ومنها انعـدام المسـاواة في الملكية: ملكيـة الأرض ورأس المال ووسـائل الإنتـاج، أي تلك التي ينتـج عنهـا مواقع النفوذ والمواقع الاجتماعية. ومنها التناقضات الموجودة بين الأفراد والأسر والفئات بسبب اختلاف المواقع الاقتصادية المضاف إلى انعدام المساواة في الملكية والمكانة والنفوذ.

وإذا ما نحن تمعّنا قليلاً في آراء حليم بركات المبينة في الجـدول المرفق، سيبـدو لنا أنـه على الرغم من أن بركات يستعمل «النسب» كمحدد، فهو يبقى منغمساً في المنظور المركّز على الاقتصاد ويستخدم الصور المفاهيمية الماركسية. وتصنيفه هذا يذكّرنا إلى حد ما بـأولين رايت (Wright)[٥٤].

وتضم مقاربات ماكس ڤيبر للطبقـات الاجتماعيـة مظاهـر كثيرة يمكن أن تنـاسب تحليل الطبقات الاجتماعية في البلدان النامية، التي من بينها، بالطبع، البلدان العربية. وعلى الرغم من أن نسبية تطبيق مقاربات ڤيبر لا جدال فيها، فإنها مع ذلك تبقى ظـاهريـاً وفي حدود مـا مناسبة عند مقاربة البرجوازية والبرجوازية الصغيرة والطبقة العـاملة أو البروليتـاريا، حتى وإن كان ڤيبر وأمثاله من المفكـرين ينطلقـون من مسلّمات التطور التـاريخي لثقافـة الغرب وتجـربته ونفسيته وفهمه الرمزي ونمط العلاقات الإنسانية فيه. وبالتالي، فإن هذا يحدّ من محاولة تطبيق أمثال هذه الأنماط في ثقافات أخرى وشعوب أخرى التي تكوّن نتاج واقع ايكولـوجي آخر لـه عالمه الاجتماعي المختلف ورموزه وعـلاقاتـه المغايـرة. إذ في هذا العـالم تسود محـددات أخرى حـول اكتساب الـوسائـل الماديـة وعقلنتها، وكـذا حول هـرمية السلطة وتـوزيـع النفـوذ التي تستجيب للبنيات الخاصة لهذا العالم[٥٥].

ويمكن أن نأخذ مثلاً ملموساً في هذا البـاب، البرجـوازية الصغـيرة المشتغلة لحسابهـا. فأصحاب الدكاكين المشتغلون لحسابهم الخاص (الذين يمكن أن نسميهم مقاولين صغـاراً) في الوطن العربي كـالمغرب، مثـلاً يمكن أن يُعتبروا من منـظور الملكية والـوظيفة والمـظاهر المـادية والأرباح، أن لهم بعض القسمات يشاركون فيهـا المقاولـين الصغار في أوروبـا. لكن إن نحن حاولنا أن نرى كيف يشغّل صاحب الدكان المغربي رأسمـاله ويستعمله وكيف يستثمـره وكيف يعقلن توزيعه، وما هي طبيعة علاقاته بأسرتـه وكيف يعمل وغـيرها من أسئلة الكيف التي لا تنتهي، سنلاحظ أن هناك فروقاً جوهرية وواضحة بينه وبين نظيره الأوروبي[٥٦].

---

(٥٤) Wright, «Class Boundaries and Contradictory Class Locations».

(٥٥) Bill, «Class Analysis and the Dialectics of Modernization in the Middle East,» p. 427.

(٥٦) وقد نعثر على صاحب دكان ما تزال أسرته تعيش في البادية وتمارس الفلاحة، إذ في بعض الحالات =

وما قلناه عن صاحب الدكان يمكن أن يصدق على المثقف العربي في حدود ما. فموضوعياً، هناك قسمات متشابهة بين المثقفين العرب ومثقفي الغرب: في تكوينهم العلمي ونشاطهم الثقافي وإنتاجهم العلمي. لكن، مع ذلك، هناك اختلافات في المسار التاريخي والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد وفي أنماط التحكم والاستراتيجيات المستعملة للعيش في المجال الاجتماعي. وهذا يعني أنه عندما يتعلق الأمر بمقاربة الطبقات الاجتماعية في الوطن العربي، نكون ملزمين بأخذ الخصوصيات الثقافية لمجتمعاته في الإعتبار. ولهذا السبب وجدنا مثلاً، أن بعض الباحثين دافع عن رأي يقضي بالتخلي النهائي عن مفهوم التراتب الاجتماعي عند تحليل المجتمع العربي(٥٧)، وفي المقابل يجب التركيز على الوصف الدقيق لكل أنماط التمفصل المهيمنة في المجتمع، وربما كان دافع هؤلاء إمكانية اعتبار التراتب التنظيري غير مناسب لواقع المجال المجتمعي في الثقافة العربية.

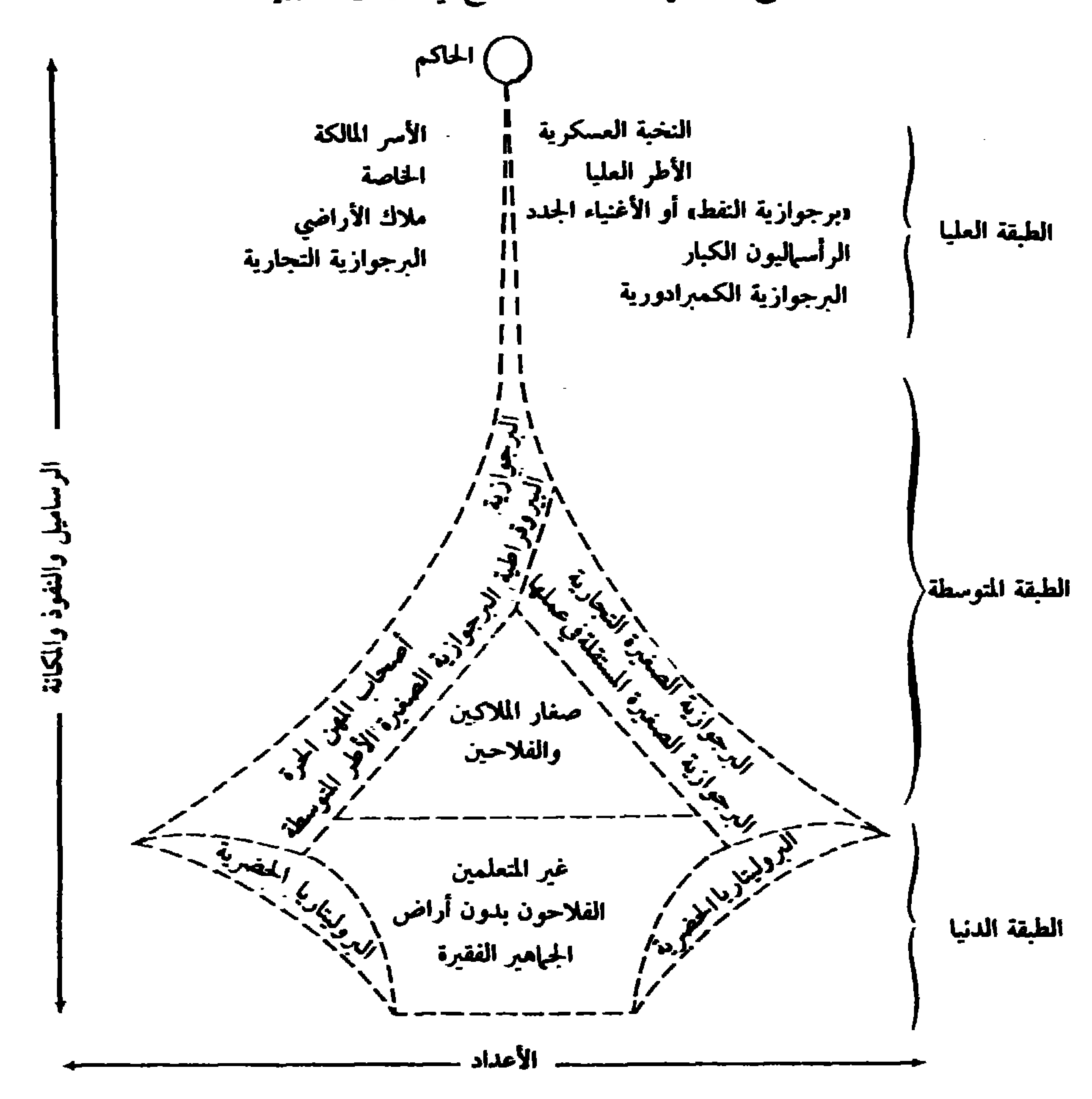
ومسايرة لما بيّناه، عندما يتعلق الأمر بدراسة المجتمع العربي، فإن ما يمكن أن نتحدث عنه هو: مجموعة من الأعضاء الاجتماعيين تتسم بأنشطة متشابهة وبامتلاك أشكال متماثلة من النفوذ والسلطة، وبعيشها في ظروف وتجارب متضاربة، وبوجودها في مواقع متشابهة في مجال اجتماعي معيّن، بحيث أن كل هذا التشابه والتقارب يمكّن المجموعة من الحفاظ على شبكة علاقات داخلية يمكّنها من تغييرها، أي تكون بمثابة مجموعة محددة وتبدو كذلك خارجياً للمجموعات الأخرى التي تشاطرها المجال. وبما أن هذه العلاقات تؤسس على قوى مختلفة ومتقلبة وتنظّم هيكلتها قيم الرساميل الاقتصادية والاجتماعية والرمزية أو الثقافية الممتلكة والمعترف بها، فإنه من المتوقع أن تُطبع هذه المجموعة، على الرغم من انسجامها الظاهر، بطابع تناقضات غير ظاهرة. بحيث يمكن القول إن هذه العلاقات متقلبة ومواقع الأعضاء المرتبطين بها غير ثابتة على حال واحد. (أنظر الرسم الشكل رقم (٣ ـ ٣)).

= يعمل الرجال من الأسرة أو القبيلة بصفة جماعية، ولا يعودون لرؤية أسرهم إلا مرة واحدة أو مرتين في السنة (وفي بعض الحالات يعملون في وظائف حكومية).

ولهذا عندما نعتبر أسس الملكية وقيمة الثروة، في دراستنا للبورجوازية الصغيرة في المغرب ومقارنتها بنظيرتها في أوروبا، سنجد أن هناك سمات كثيرة مشتركة، لكن عندما نمعن النظر فيهما وبمنظوراتٍ أخرى، سنجد أنهما تختلفان في المستوى الثقافي، مثلاً في ممارسة النشاط ونمط العقلنة المتبع في الملكية المادية، وفي العضوية وتقديم المساعدة، وفي تقسيم العمل وفي الاستراتيجيات المتبعة في تسيير رؤوس الأموال وتقويتها، وفي العلاقات مع العملاء، وأن لها تطلعات ومتطلبات مختلفة. علاوة على أن صاحب الدكان المغربي يعمل مع أقاربه: فهم في أغلب الأحيان يعملون وينامون في الدكان وليس لهم وقت فراغ يتمتعون به، بحيث قد يعملون سبعة أيام في الأسبوع و١٦ ساعة كل يوم، والبعض منهم يمتلك أرضاً بالبادية ويمارس الزراعة بواسطة عمال مأجورين.

(٥٧) Christoffel Anthonie Olivier van Nieuwenhuijze: *Social Stratification and the Middle East: An Interpretation* (Leiden: E.J. Brill, 1965), and *Sociology of the Middle East: A Stocktaking and Interpretation*, Social, Economic and Political Studies of the Middle East; v.1 (Leiden: E.J. Brill, 1971), vol. 2.

شكل رقم (٣ ـ ٣)
التوزيع النظري للطبقات والمواقع في الوطن العربي



يوضح هذا الرسم التقويم النظري لتوزيع المواقع والطبقات الاجتماعية («أي على الورق») في الوطن العربي[١]. لقد وضع هذا التوزيع الهرمي للطبقات والفئات المهنية وجعلها بجانب بعضها البعض، على أساس النزاعات الناشئة عن مراكمة الرساميل (الاقتصادية أو التعليمية أو الثقافية أو الرمزية أو الاجتماعية) وتوظيفها، والتي تؤدي إلى خلق أشكال مختلفة من السلطة، وبالتالي تلك التي تؤدي إلى الحصول على أصناف معينة من المكانات في المجال الاجتماعي، وهذا التوزيع المعطى في الرسم ما هو إلا توزيع تقريبي. ولذا، فإن الحدود الموضوعة حول المجموعات أو الفاصلة بينها، غير ثابتة، وعدم ثباتها هذا يتبع اختلاف السياقات في الأقطار العربية في تاريخها وواقعها.

(١) هذا الرسم مأخوذ بتعديل عن نمط لينسكي:
Gerhard Emmanuel Lenski , *Power and Privilege: A Theory of Social Stratification*, McGraw - Hill Series in Sociology (New York: McGraw - Hill, 1966), p. 284, and Bill, Ibid., p. 428.

ويعتقد بيل[٥٨] (J.Bill)، إستناداً إلى ڤيبر (Weber) ولينسكي (Lenski) وبلو (Blau)، أن استعمال السلطة وتوزيعها في المجتمع العربي يعتبران عاملاً محدداً في موضعة الأعضاء الاجتماعيين في مواقعهم وإزاحتهم عنها، وأنها يشكلان أيضاً مصدراً للتناقضات داخل المجموعة المشار إليها أعلاه. ويتضمن هذا الإنتباه التام والنشيط (من طرف الأعضاء) لاكتساب السلطة والنفوذ والقدرة على التأثير في الآخرين ومراقبة سلوكهم بوسائل، منها الردع اللغوي، والمناورة والإغراء المادي.

والملاحظ أن مواقع السلطة في المجتمع العربي ارتبطت دائماً بالوظيفة والمهنة أو الموقع في الهرمية التراتبية، أي ارتبطت بتلك العناصر التي من شأنها توسيع أو تضييق مجال العمل في المجال الاجتماعي. وقد كان تملك السلطة في تاريخ المجتمع العربي عنصراً دائماً ومهماً في العلاقات الداخلية للمجموعة، وبين المجموعات، وفي العلاقات بين الأشخاص. ومن ثم، فإن دراسة الطبقات الاجتماعية يرغم الباحث على أخذ تملك السلطة في الاعتبار. ويمكن أن ينطبق هذا على فئة المثقفين في مستوى الشريحة التي ينتمون إليها حيث يمكن تجسيد ذلك وتحقيقه في هذا المستوى، إذ يصدق ذلك بكيفية خاصة على فئة الأكاديميين منهم.

---

(٥٨) Bill, «Class Analysis and the Dialectics of Modernization in the Middle East».

جدول رقم (٣ - ١)
تصنيف الطبقات الاجتماعية

الطبقة	ملكية الأراضي	ملكية رأس المال	النسب الرفيع	استقلالية المنصب: مشرف لحسابه الخاص	يعمل لحسابه الخاص	مشرف لحساب غيره	يعمل لغيره لقاء أجر
١ - الارستقراطية التقليدية							
كبار ملاكي الأرض	ملكيات كبرى	على الأغلب	على الأغلب	ربما	لا	لا	لا
كبار الرأسماليين	ربما	ملكيات كبرى	على الأغلب	نعم	لا	لا	لا
شيوخ القبائل	على الأغلب	على الأغلب	نعم	نعم	لا	لا	لا
السادة	على الأغلب	على الأغلب	نعم	ربما	ربما	لا	لا
الأغنياء الجدد	ربما	نعم	لا	ربما	ربما	لا	لا
٢ - البرجوازية أو الطبقات الوسطى							
البرجوازية القديمة الصغيرة	متوسطة	متوسطة	لا	على الأغلب	نعم	لا	لا
البرجوازية الجديدة الصغيرة	ربما متوسطة أو صغيرة	ربما متوسطة أو صغيرة	لا	ربما	ربما	على الأغلب	على الأغلب
غيرهم	ربما متوسطة أو صغيرة	ربما متوسطة أو صغيرة	لا	ربما	ربما	ربما	ربما
٣ - الكادحون							
الفلاحون	على الأغلب «لا»	لا	لا	لا	لا	لا	نعم
العمال	لا	لا	لا	لا	لا	لا	نعم

المصدر: حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤)، ص ١٤٨.

الفصل الرابع

حول الاكاديميين وتحولاتهم

«يسير العالم في الشارع، خافض البصر، متأبطاً سجادة الصلاة. خطوته المطواع تعبّر عن احتقاره مشاهد العالم حواليه. إنها بالحري تبحث عن تبجيل الجماهير المؤاتي وتحصل عليه. هذا المعلّم المخلص قد ارتبط دوماً بواسطة تقليد عمره ألف سنة، بشؤون المدينة. نادراً جداً ما استسلم إلى التقشّف القاسي أو الحكمة العلمية غير المهذّبة. إن أستاذ علم الدين هو في الآن نفسه أستاذ الأسلوب الصحيح. إن لطفه الغامض، وأعصابه التي هي من أعصاب قاطني المدينة القدامى، وحيلته كأحد رجال الحاشية الملكية السابقين، وتعلّقه بالمخمليات الزخرفية والمنحوتات الجصّية في البيوت الضخمة، كل ذلك يجعله البطل الفكري لثقافة تعبّر عن نفسها بكيفية جيدة بمعرفة السكولاستي الواسعة، أو يد الحرَفي الدقيقة، أو حيوية مطبخه. كل شيء عدا ذلك ليس غير بربرية. إن هذه الشخصية تشكّلت داخل آفاق المدينة... وقد أضحت جدّ معبّرة عن طابع متميّز ـ واحد في موقف دفاع وتحت هجوم الزمن ـ بحيث إنها غدت تقريباً غامضة بالنسبة إلى الغريب»[1].

ما هي وظيفة الجامعي كمثقف وكمولّد للثقافة. أعتقد أن له وظيفتين: الوظيفة الأولى هي حماية الجامعة أو المشاركة في حمايتها من تدخّل السلطات وغيره من المؤثرات السلبية ومعنى هذا أن يكون المثقف مناضلاً، لا مفكراً فحسب، وهذا النضال قد يذهب به إلى السجن أو إلى النفي، أو إلى التشريد، أو إلى غير ذلك. إن الجامعي يجب أن يتميز عن غيره من المواطنين بنوع القيم التي يسعى إليها، ويتميز بها، ونوع السلوك المفروض عليه... ولما كان المثقف في طليعة المطالبين بالحرية: الحرية الجامعية والوطنية، فحري به أن يكون أول المتحلّين بحس المسؤولية، إذ لا حرية صحيحة من دون مسؤولية[2].

---

(1) Jacques Berque in: Kenneth Brown, «Profile of a Nineteenth - Century Moroccan Scholar,» in: Nikki R. Keddie, ed., *Scholars, Saints and Sufis: Muslim Religious Institutions in the Middle East Since 1500* (Los Angeles; Berkeley, Calif.: University of California Press, 1972), p. 127.

(٢) انظر قسطنطين زريق في: «ندوة المستقبل العربي: المثقف العربي ومهامه الراهنة،» شارك في الندوة سليم الحص [وآخرون]؛ أدار الندوة خير الدين حسيب، **المستقبل العربي**، السنة ٦، العدد ٥١ (أيار/ مايو ١٩٨٣)، ص ١١٠ ـ ١٣٠.

أولاً: العلماء

يمكن تعريف الأكاديمي وتحديده في إطار عدة عوامل، **أولها**، رأسماله المعرفي والعلمي، **وثانيها**، السياق الأكاديمي الذي يمارس فيه نشاطه ويقوم فيه بالوظائف المناطة به في حقله الأكاديمي أو المتعلقة به. **وثالثها**، نوعية المؤسسات التي تحدد موقعه والتزاماته وحقوقه. **ورابعها**، علاقة رأسماله المعرفي (الخبرة والمهارات العلمية والفكرية) بنقل المعرفة إلى الآخرين ومسؤولياته في تلقين تلك المعرفة كمّاً وكيفاً للمستهلك (المستهلك هنا هو الطالب)، **وأخيراً** يمكن تحديده في قابليته للتماهي مع نشاطه الفكري في إطار انتاجه العلمي والفكري وعلاقة ذلك الانتاج بمصالح مجتمعه (وهذه الخاصية الأخيرة تكون ضمنية).

وبعبارة أخرى، فإن تعريف الأكاديمي يتحدد بالسياق الذي يؤسس ويهيكل رأسماله العلمي والفكري والرمزي. يضاف إلى هذا عاملان اثنان يتمثل **أولهما** في درجة الاقبال والطلب على المعرفة النظرية والتجريبية، **وثانيهما** في الظروف الاقتصادية، بحيث يُعتبر هذان العاملان محدِّدين أساسيين. وقد يكون السياق الخارجي (أي خارج السياق الأكاديمي) عاملاً مهمّاً في تحديد الأكاديمي وتعريفه، مثلاً في نشاطه الفكري والعلمي خارج الجامعة وفي «محترميته» سواء في وطنه أو على الصعيد العالمي.

ويمكن أن يُعرَّف الأكاديمي بطرق أخرى، من غير التعريف البنيوي الذي أوردناه، كأن يعرَّف من خلال أصله الطبقي ونمط حياته ونشاطه خارج المجال الأكاديمي. فمنذ العصور القديمة، كان في مختلف الحضارات والثقافات تقريباً، أناس مثقفون يمارسون وظائف يمكن وضعها في خانة النشاط الأكاديمي. ففي الحضارة العربية الإسلامية، أصبح النشاط الأكاديمي مؤسساتياً، ومتبلوراً بطريقة محددة في مؤسسات أكاديمية، منذ القرن التاسع الميلادي (على سبيل المثال، بيت الحكمة، وجامعة القرويين، وجامعة الأزهر)[٣]. وقد عيّن الخلفاء رجال الفكر والعارفين بالعلوم الدينية (مَنْ أُطلق عليهم في ما بعد مصطلح العلماء) لتعليم الأمراء في البلاطات وللتدريس في الجوامع، حيث أصبح نشاط هؤلاء مقصوراً على إنتاج المعرفة وتأويلها ونقلها وإذاعتها بين الناس. ومن المعارف التي نالت حظاً موفوراً من العناية، علوم الشريعة بفروعها. فالعلماء أو محبو الحكمة، كانوا في أغلب الأحايين في رعاية السلطان وفي كنفه، إذ مارس الكثير منهم نشاطه الفكري والعلمي في القصور السلطانية، التي كان فيها السلطان أول المستهلكين لإنتاجهم. ولم يتخلّ الأمراء والسلاطين عن العلماء، إلا في النادر، بل أكرموهم وكانوا من محبي الحكمة والمعرفة والعلوم ورجالها. وكان منهم الراعي للعلم والعلماء ومن استقطبت موائده وخزائنه أهل العلم الذين جمعوا في ذاك بين الحسنين: إرضاء الفضول العلمي للأمير أو السلطان، ورعاية معرفتهم، ونيل الاحترام والتقدير والجزاء

---

(٣) C. A. Qadir, *Philosophy and Science in the Islamic World* (London: Croom Helm, 1988).

المادي[4]. والغالب أنه لم يكن الإنتاج المعرفي لهؤلاء العلماء يجد رواجاً خارج سوق الأمير ودائرة محدودة من المثقفين. وهذا ما جعل العلماء مرتبطين اقتصادياً واجتماعياً بأرباب السلطة وجعل أيضاً ازدهار معرفتهم مرتبطاً بموقف هؤلاء منها. ومن البديهي أنه حينما وجد وضع مثل هذا في ربوع العالم الإسلامي، كان عاملاً حاسماً في تطور المدارس الفكرية والعلمية وازدهارها أو عاملاً على انحسارها ومنعها. ففي عهود الأمراء المتنورين ومن أحاط بهم من نخبة متنورة، حظي الأكاديميون العلماء بأجور ثابتة من خزينة الدولة وعُيِّنوا في المناصب المناسبة لمعرفتهم ولحاجات السياق المجتمعي.

والملاحظ أن العلماء، في الماضي، قصروا نشر معرفتهم في عدد محدود من الأفراد المهيأين لتقبل تلك المعرفة، وربما رموا من وراء قصر معرفتهم في دائرة محدودة، إلى نيل اعتراف الناس وتقديرهم معرفتهم وضمان الاحترام والحماية الاقتصادية والتقرب من أولي الأمر، إذ غالباً ما كتب العلماء في تمجيد الأمراء وتعظيمهم الشيء الذي كان له تأثير منعكس عليهم. ذلك أن تضمين المدح والتقريظ في الكتابة، ربما حرّكته دوافع الرغبة في التميز على الأقران والإعراب للسلطان عن أن معرفة العالم يمكن أن تُهدى (تقدم هدية) أو حتى أن ينتفع السلطان بقراءتها[5]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، ربما كان إهداء المعرفة هذا تحسُّباً من مكروه محتمل من السلطان، لأن هذا الإملاء كان بالفعل أمراً إرادياً وواعياً للحصول على رضى السلطان وضمان حمايته ورعايته، وربما كان فيه أيضاً تثبيط لعزائم المنافسين (للعالِم) من تحدي عمله ومعرفته[6].

ونتج من علاقة الأكاديمي العالِم بالأمير أو السلطان نتيجتان على الأقل، **أولاهما** الخضوع والاستعباد المضافين إلى صنف من الرقابة الذاتية التي يقصد بها العالِم إرضاء الرغبات العليا وتطلعات السلطان أو من هم في منزلته. **ثانيهما** أنه كان على العالِم أن ينتقي من مصادره ومراجعه ما هو ملائم منها للسلطان. وبالطبع كان في هذا حد من حرية العالِم واستقلاليته الضروريتين لحياته ومصداقيته العلمية ومحترميته. وفي هذا الصدد يصف الجابري[7] أنشطة العلماء، بأنها انحصرت، منذ القرن التاسع الميلادي، في العلوم الدينية والوظائف القضائية وتأويل الرموز المقدسة، وتأويلات القضايا الدينية والأنماط المهيمنة، وفي إعطاء الحلول والفتاوي لما يستجدّ من مسائل في حياة الجماعة الإسلامية. ولا بد من التذكير هنا بأن الحقيقة أصبحت أمراً مسلَّماً، وما على العالِم سوى أن يحدد موقفه منها لا كناقد ومقوم لها ولكن كمؤوِّل لنموذجها وسند له. ولهذا عمل العلماء باستمرار، وفي أغلب الأحايين،

---

(٤) Stevan Dedijer, « Early Migration,» in: W. Adams, ed., *Brain Drain* (New York: Macmillan Company, 1968).

(٥) هارون الرشيد ولويس الرابع عشر، عرف عنهما أنهما كانا من رعاة العلم والعلماء.

(٦) على سبيل المثال حالة ابن سينا، وحالة ابن خلدون، وأيضاً حالة ماكيافلي:

Niccolo Machiavelli, *The Prince*, translated, with an introduction by George Bull,The Penguin Classics; L 107 (Harmondsworth, Eng.; Baltimore, Mad.: Penguin Books, 1961).

(٧) محمد عابد الجابري، **الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية** (بيروت: دار الطليعة؛ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٢).

على تبرير رسالة الحق، بتعليم مبادئها والتشديد على المظاهر التي لا تخالف النموذج المهيمن في الدولة التي يعيش في كنفها. وهم في هذا عملوا على ألا يفقدوا موقعهم أو مكانتهم. وكما بيّنا سلفاً، فإن العلماء كانوا تابعين للسطان أو لعلية القوم المتعلمين، لأن تلك التبعية فتحت في وجوههم المدارس وخلقت لهم كراسي التدريس ودعتهم إلى موائد السلطان وبسطت لهم يد العطاء[٨].

وهناك عامل آخر لا بد من التشديد عليه، في ما يتعلق بأنشطة الأكاديميين العلماء، وهو أن العلماء لم يكونوا مهيأين فكرياً ولا علمياً لتجاوز العقلية الدينية التي طبعتهم. فهم محدودون، تاريخياً وفكرياً، بكيفية مسبقة، وأي زوغ عن قيم الحق، المحددة والمعترف بها، يعدّ بدعة وفي غير مكانه التاريخي[٩]. ذلك أن تاريخية العالم موجهة أساساً نحو الماضي، وفي أغلب الأحيان نحو مصادر الماضي، أما قضايا الحاضر والمستقبل، فيجب أن تجد تفسيراتها في ما هو شبيه لها في الماضي أو بمقارنتها بحلول طوّرت وطبّقت في القرنين الأولين من تاريخ الإسلام.

ومن نتائج هذا النموذج وهذا النشاط الفكري الموجهين نحو الماضي، حصول ندرة في العلماء ذوي المبادرة الفكرية، في وقت أُعطي فيه الدور الأول لأولئك المنشّطين (Animateurs) الذين عززوا بين الناس هذا الصنف من المعرفة المعرّض عليه. كما كان هناك صنف آخر من المحافظين المذيعين أفكار المدارس السالفة. وفي الواقع، كان هؤلاء مسؤولين عن تحويل اجتهادات مؤسسي تلك المدارس إلى أيديولوجيا في الصراعات القائمة[١٠].

وإضافة إلى وظيفة التدريس التي اضطلع بها العلماء، قام هؤلاء أيضاً بوظائف أخرى، كالإفتاء والقضاء والعدالة، والإمامة بل والإدارة أيضاً، إذ كلّف بعض العلماء القيام بمهمات الوزارة والسفارة. وقد بنيت هذه الوظائف التشريعية والإدارية والدينية على معرفة العلماء المتجذرة في تكوينهم الديني والتشريعي. وبما أن العلماء شكلوا في الماضي الشريحة المثقفة، فإن وظيفتهم الدينية هاته كانت أساسية في مجتمعاتهم. أو بعبارة أخرى: «كانت التقاليد الفكرية للعلماء متعددة الأوجه، تجمع بين مناهج الدراسة والتأويل وقواعد التصديق أو الرفض ومعايير الامتياز، وغير ذلك كثير... مما يجعلنا نقول بإنها كانت تجمع قانوناً مستمَداً من نصوص مقدسة، يعتقد في حقها أنها المصدر لكل المعرفة الدينية. وقد حافظ العلماء على معاهد تعليمية خاصة ـ كالمدارس والجوامع ـ لنقل معرفتهم وتطوير تقاليدهم الفكرية[١١].

---

(٨) Maxime Rodinson, *Marxisme et monde musulman* (Paris: Seuil, 1972), p. 572.

(٩) M'hammed Sabour, «The Creative Activity of Intellectuals and Its Socio-Cultural Context: The Arab Case,» in: J. - P. Sarola, ed., *Uria ja Ulottuvuuksia* (Joensuu: University of Joensuu Publications, 1983).

(١٠) Mohammed Arkoun, *La Pensée arabe*, que sais - je?; 915 (Paris: Presses universitaires de France, 1975), pp. 50 - 51.

(١١) Menahem Milson, «Medieval and Modern Intellectual Traditions in the Arab World,» in: *Intellectuals and Change, Daedalus*, vol. 101, no. 3 (Summer 1972), pp. 17 - 37.

وهكذا كانت المعرفة الدينية تطغى في معرفة العلماء، حتى وإن كانت علوم أخرى، غير دينية، تدرَّس ويتأهل فيها العلماء. ذلك أن العلوم الدينية حظيت بمكانة خاصة بين العلوم الأخرى: كالفلسفة مثلاً، بسبب هيمنة النمط الإيديولوجي الذي هو نمط ديني إسلامي في الأساس[١٢]. فالغزالي (١٠٥٩ ـ ١١١١) الملقب بحجة الإسلام، وهو سلطة علمية في زمانه، يحدد المعارف ويصنفها صنفين، صنف محمود وصنف مذموم. ويفاضل بين العلوم المحمودة ذاتها ويرتّبها بحسب أهميتها. وفي مقدمة ترتيبه تأتي العلوم الدينية، والشريعة منها خاصة، لأنها أساس حياة الأمة الإسلامية، ولهذا السبب فإنه يطلب من كل مسلم أن يتلقاها ويكتسبها. وبعد الشريعة رتبت علوم أخرى اعتبرها الغزالي ذات نفع عام للأمة، ولذا وجب أيضاً تعلّمها، كالطب الذي ينفع في حفظ صحة الأمة، والرياضيات التي تنفع في تطبيق مقتضيات الشريعة في الميراث والمعاملات على سبيل المثال[١٣].

أما الفلسفة، فقد صُنِّفت ضمن العلوم المذمومة، ولم تحظَ بوجاهة كبرى بين العلوم الآخرى، بل اعتُرِضَ عليها وذُمَّت في بعض الأحيان عندما اعتبرت أنها تتدخل في الأمور الدينية. وتساوقاً مع ما رأيناه، فإن الوجاهة والامتياز كانا يُمنَحان للمعرفة الدينية التي وفرت لحامليها الاحترام الزائد والمكانة الاجتماعية المتميزة، وأمدتهم بنفوذ قوي نابع من كونهم أعطوا المشروعية للنظام الأخلاقي والرمزي في المجتمع، وحموا ذلك النظام بكونهم القادرين على تأويله.

ومن هذا المنظور أيضاً، كان العلماء في الغالب، هم المتكلمون باسم الشعب في أوقات الشدة والأزمات والصراعات، إذ كانوا الملاذ لكل من أحسَّ بظلم الحاكمين أو شعر أنه ضحية ظلمهم[١٤]. وقد كانت مثل هذه المواقف مبعثاً للنزاع بين أرباب السلطة السياسية وأصحاب السلطة الدينية في مسائل تأويل الشريعة المقدسة وتطبيقها. ومع ذلك يرى عنبتاوي[١٥] أن مجال المناورة أمام العلماء كان محدوداً جداً، خاصة عندما يتعلق الأمر بنزاع بين العلماء والسلطات العليا، لذا نُظر إلى العلماء، إما كمتعاونين مع أرباب السلطة السياسية، وإما كأشخاص أفسدتهم تلك السلطة (وأرشتهم).

وتجدر الإشارة، هنا أيضاً، إلى أن موقع العلماء وأهميتهم اختلفا من عصر إلى آخر ومن دولة إسلامية إلى أخرى، واختلفا أيضاً تبعاً للمذهب الديني الذي يعيشون فيه. ففي المذهب السنّي الذي تتبعه غالبية الأمة الإسلامية، كان العلماء وما يزالون تابعين اقتصادياً وسياسياً للزعامات السياسية في بلدانهم، على الرغم مما يتمتعون به من نفوذ. أما في المذهب الشيعي فإن العلماء، نظراً لما يتمتعون به من استقلال نسبي عن السلطة، كانوا أكثر قوة من نظرائهم

---

(١٢) المصدر نفسه.

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) Rodinson, *Marxisme et monde musulman*, p. 572.

(١٥) منذر عنبتاوي، «دور النخبة المثقفة في تعزيز حقوق الإنسان العربي،» المستقبل العربي، السنة ٦، العدد ٥٢ (حزيران/ يونيو ١٩٨٣)، ص ٤ ـ ٣١.

السنين، في تحدي الزعامات السياسية (حالة إيران على سبيل المثال)، إضافة إلى أن علماء الشيعة كان لهم موقع مهم وسط أفراد الشعب، مما جعلهم في مكانة توازي مكانة الحكام[١٦]، لأسباب تاريخية معينة وللتفسيرات الدينية السائدة في المذهب الشيعي. وقد بينّ غرين (Green) بوضوح، في مقارنة له بين علماء الشيعة وعلماء السنّة، وضعية كل منهم في تطورها التاريخي، (ويمكن القارىء أن يتابع مقارنة غرين من خلال الشكل رقم (٤ ـ ١) المرفق). وبصفة عامة عزز العلماء مواقعهم ـ إضافة إلى رساميلهم الاقتصادية والفكرية ـ بادّعائهم أنساباً معيّنة ترفع مكانتهم الاجتماعية. ففي المغرب، مثلاً، عزز العلماء مكانتهم بادعاء النسب الشريف أو بالانتساب إلى بعض مؤسسي الزوايا أو بالتمذهب بمذهب تلك الزوايا. وفي كل هذه المصادر مرجع مهمّ يعضد «محترمية» العالم[١٧].

وفي هذا الصدد، ننقل مقتطفاً من مؤلف كنيث براون (K. Brown) يصف فيه الكيفية التي كتب بها محمد بن علي الدكالي (١٨٦٨ ـ ١٩٤٥) سيرة أستاذه وشيخه أحمد بن خالد الناصري، حيث يشدد في وصفه مزاياه، على رساميله العلمية والاجتماعية والرمزية: «يبدأ الدكالي بتقريظ للناصري يذكر فيه ألقاباً تعكس معرفته الدينية، فهو الشيخ المشارك، الأستاذ الفاضل... ثم يتبعه بذكر نسبه، فهو الناصري الجعفري سليل الولي الصالح ابن ناصر حفيد جعفر بن أبي طالب عم الرسول (ﷺ).. فهو من بيت جلالة ودين، عريق النسب والشرف... تناقل أفراده المجد والشرف أباً عن جدّ وورثوا الحسب والنسب... وزينوه في كل جيل وجددوه بما اكتسبوه... بعد هذه الإفاضة في تقريظ نبل الأصل، يتبع السيرة ويذكر عدداً من الخصال العلمية والأخلاقية، فقد كانت حياته مثالاً ونموذجاً يحتذى، فهو نموذج الذكاء ونبل الفكر والامتياز في العلم، وهو المدقق في العلم الذي أوقف عليه حياته وفكره.. فقد تفوق في العلوم كلها وأصبح مالكاً زمامها...»[١٨].

ويعدّ اكتساب الرساميل الاجتماعية والرمزية والثقافية وتملّكها ذا أهمية كبرى في تعزيز مكانة العالِم الأكاديمي. فمهما يكن أصل العالِم ونسبه، فإن شهرته الفكرية والعلمية ترتبط بتحالفاته وولائه ورأسماله المعرفي وحنكته. وقد حاول العلماء المدرسون أن يضيفوا امتيازاً آخر إلى رأسمالهم هذا، بربط معرفتهم بالعلماء والشيوخ الذين أخذوا عنهم تلك المعرفة. فإضافة إلى هذا، تتعزز وجاهة العالم بنقل المعرفة إلى تلاميذه ومريديه. فكما يقول العروي، فإن مهابة الأساتذة (العلماء) تعززت بالدور الذي مثلوه في حياة تابعيهم العملية، خاصة إذا انتسب إليهم هؤلاء في أخذ المعرفة. وفي الواقع، ارتبط هؤلاء التلاميذ المريدون ارتباطاً كلياً (بأساتذتهم) من أجل الحصول على الإجازة، والإجازة شهادة تؤهل حاملها لتدريس بعض

---

(١٦) Arnold H. Green, « A Comparative Historical Analysis of the Ulama and the State in Egypt and Tunisia,» *Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée* (Marseille), no. 29 (1980), p. 48.

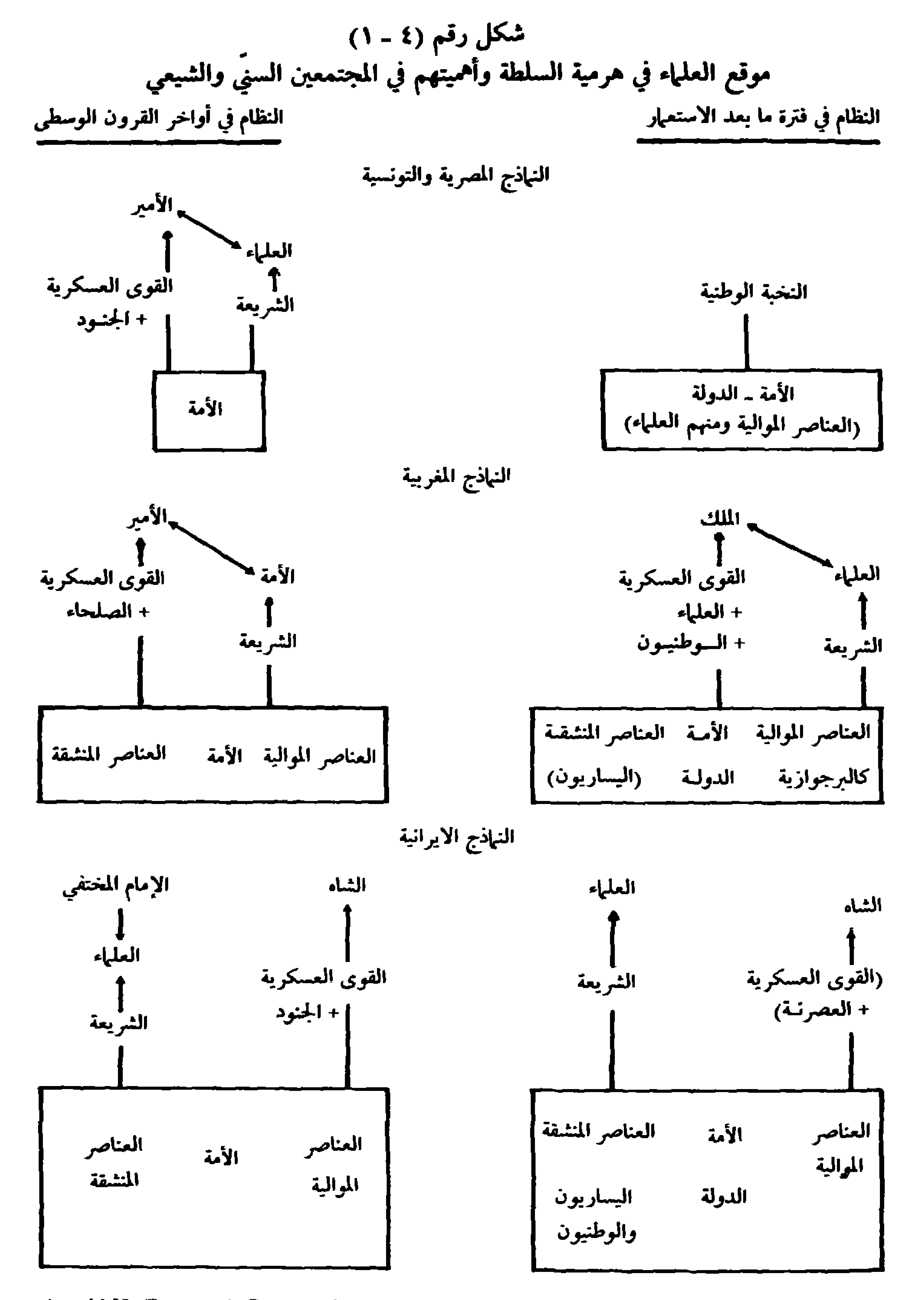
(١٧) لقد كان من بين العلماء المرموقين في المغرب، فقهاء (مدرسون) وشرفاء وأصحاب فتوى وملاك أراضي. انظر في هذا الاطار:

Michael Gilsenan, *Recognizing Islam: Religion and Society in the Modern Arab World* (New York: Pantheon Books, 1982).

(١٨) Brown, «Profile of a Nineteenth - Century Moroccan Scholar,» p. 131.

شكل رقم (٤ ـ ١)

موقع العلماء في هرمية السلطة وأهميتهم في المجتمعين السنّي والشيعي



المصدر: Arnold H. Green, «A Comparative Historical Analysis of the Ulama and the State in Egypt and Tunisia,» *Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée*, no. 29 (1980).

المواد، وتأخذ مرجعيتها من السلطة العلمية لمانح الإجازة، وهذا البند الأخير نقطة مهمة في الإجازة[19].

وقد كان من شأن هؤلاء التلاميذ المريدين ـ المؤمل نجاحهم في حياتهم العملية والوصول إلى مواقع مهمة ـ أن يفتحوا بنجاحهم أبواب أخرى في وجه شيوخهم ربما ما كانت لتفتح لهم لأسباب متعددة. وهكذا كان الاستثمار للمستقبل، عبر تطوير نوع من المدارس يؤمن للعلماء حماية في أوضاع اجتماعية غير قارة وأكيدة، ويخلق حولهم شبكة من الأتباع والمريدين تنحاز لهم فكرياً وتؤيدهم عند الحاجة. ولكن كان العلماء والمثقفون أيضاً غيورين على معرفتهم، فهم يفضلون احتكارها وعدم إشاعتها ونقلها بعيداً عن حلقة معينة مكونة من جماعات معينة أو أسر بذاتها. فكلما قل عدد العارفين، زادت مكانة المعرفة وقيمتها. وهكذا، رفع قصور المعرفة في فئة معينة من قيمة المعرفة وأعطى حامليها أهمية نسبية في سياق اجتماعي حاجته إلى المعرفة متزايدة. وبإمكاننا الاستدلال عليها بأسر فاسية متعلمة. ففي أواسط القرن الماضي عندما لم تعد الرياضيات، من جبر وهندسة وفلك، تدرّس ضمن البرامج التعليمية في جامعة القرويين ـ ربما لقلة الأساتذة في هذا الباب، أو لعدم الاهتمام بها ـ عمدت بعض الأسر الفاسية إلى احتكار هذا الصنف الثمين من المعرفة وعلى توارثه في الأسرة أباً عن جد. وبما أن الحاجة زادت في نهاية القرن لتعلّم الرياضيات (لاستغلالها، مثلاً، في المدفعية وصناعة الخرائط وقراءتها، وفي مسح الأراضي التي كان الجيش في حاجة إليها، وكذا في الحسابات الإدارية. . .) فقد تدخل السلطان وأرغم علماء تلك الأسر على إشاعة معرفتهم وإذاعتها. ولكي يقضي على احتكارها، أنشأ مدرسة جديدة بجانب جامعة القرويين تختص في تعليم الرياضيات وما يدخل في حكمها[20].

وقد حاول أرباب المعرفة، من جهة أخرى، تطوير استغلالهم معرفتهم في وظائف متعددة وفي سياقات أخرى من غير السياق الأكاديمي. فكما أشرنا سلفاً، شكّل العلماء الشريحة الوحيدة المتعلمة تعليماً عالياً في المجتمع، وكانت معرفتهم تغطي فروعاً واختصاصات متعددة. ومردّ هذا التعدد الوظيفي، إلى التعليم الموحّد الذي كان العلماء يتلقّونه وإلى الخبرات المتعددة التي يتطلبها منهم القيام بمهامهم. غير أن دخول الثقافة الغربية وما تبعها من علمانية، كان له آثار سلبية على موقع العلماء، بحيث أضعف ذلك الدخول موقعهم ومكانتهم، وألحق ذلك تغيرات في بنية المجتمع العربي وفي نمطه الإنتاجي، وفي رموزه ومعانيها وتأويلاتها. فالرأسمالية الغربية، مثلاً، توغلت بعيداً في بعض المجتمعات وأحدثت تحولات عنيفة في وظائف الطبقة المتعلمة تعلماً تقليدياً وفي أدوارها، بحيث لم تعد هناك حاجة لمعرفتها وخبرتها. فإذا كان حملة المعرفة الدينية في الماضي، يقومون بتنظيم النشاطات وتقنينها

---

(١٩) Abdallah Laroui, *Les Origines sociales et culturelles du nationalisme marocain, 1830 - 1912* (Paris: Maspéro, 1977), p. 196.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ١٩٩. وانظر أيضاً الدراسة الجادة لجاك بيرك في:

Jacques Berque, *Ulémas, fondateurs, insurgés du Maghreb* (Paris: Editions Sindbad, 1982), p. 68.

ويساهمون في اختيار القرارات والخيارات حتى بالنسبة إلى التقنيين، فإنهم فقدوا كل ذلك بعد أن دخلت الثقافة الغربية، وأصبح المثقفون ثقافة غربية يفرضون هيمنة (فرضها الواقع) على الميادين التي كانت من اختصاص علماء الماضي، ويقلبون موازين القوة والعلاقات. لكن لم يحدث هذا بطريقة موحدة أو في زمن واحد في جميع البلدان العربية، ففي العربية السعودية، ما زال العلماء يحتلون مواقع مهمة ولهم مراقبة وهيمنة على تسيير عدد من أمور البلاد[٢١]. وحتى في هذا البلد، أصبح العلماء ملزمين يوماً بعد يوم، بالتنازل عن كثير من امتيازاتهم السابقة لصالح المثقفين الجدد، أو لصالح أرباب معرفة الحقيقة الجديدة الذين بإمكانهم التعامل مع الواقع المادي الحديث.

ثانياً: الأكاديميون المثقفون ثقافة غربية

ونتيجة دخول الثقافة الغربية المجتمع العربي، في فترة الاستعمار وبعدها، تقلصت هيمنة الثقافة الدينية الإسلامية، وتراجعت، إذ شهد حقل المعرفة بروز علوم أخرى منافسة للعلوم الدينية، وبذلك تناقضت الوجاهة الاجتماعية للثقافة الدينية وتناقصت هيمنتها الفكرية. وحدث هذا، على الأقل في البلدان العربية التي بدأت باستيعاب الأنماط العلمانية في التعليم والمعرفة وفي تطبيقها، إذ لم تعد المعرفة الدينية وحدها القادرة على تأويل الحقيقة وتأسيسها. وكما أشرنا بإيجاز، فإن أثر الثقافة الغربية كان واضحاً في كثير من الحقول والميادين: في المؤسسات السياسية، وفي الإدارة، وفي العلوم الطبيعية والطب... إلخ. وهكذا سُحب البساط من تحت أقدام علماء الدين الذين وجدوا أنفسهم وعلومهم غير مؤهلين وغير مسايرين بعض مظاهر الواقع الجديد ومقتضيات الثقافة التقانية الغربية «العالمية» والعقلانية المقترنة بها. والنتيجة هي انهيار هيمنة الفكر الديني ونظرته إلى الكون.

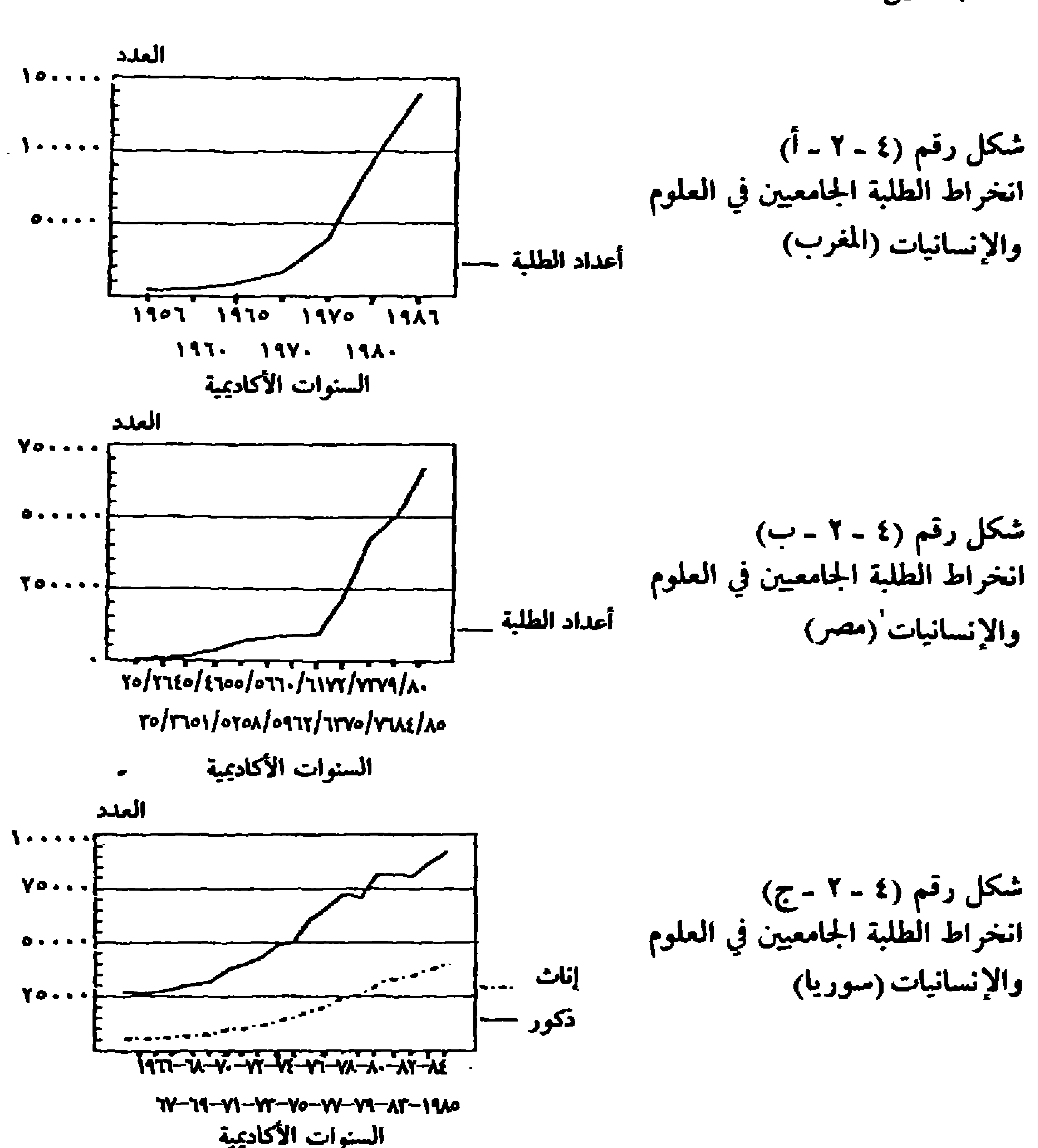
ومن جهة أخرى، أفسح دخول العلوم الحديثة المجال أمام ظهور أكاديميين وعلماء من صنف جديد، أي من صنف حملة العلوم الحديثة والمدافعين عنها. وهكذا يُقسم ميدان المعرفة إلى حقول معرفية متعددة، كل واحد منها له مكاناته وامتيازاته وأولوياته التي تتفق مع بناء الدولة الذي شُرِع فيه حديثاً. وفوق هذا، لم تعد المعرفة أو العلوم تقاس بغاياتها والفوائد المتوخاة منها، ولكنها أصبحت تقاس بكفاءات العاملين فيها وبقدرتهم على استيعاب المعرفة ووضعها في مجال التطبيق. وهاتان الصفتان الأخيرتان أصبحتا من المتطلبات الأساسية في الرجل المثقف. ويعني هذا، في جانب آخر، أن كل صنوف المعرفة المتعلقة بما يُعرف بالعلوم النظرية البحتة أو الفكرية التأملية، نقصت مكاناتها تبعاً لمقتضيات العلوم الحديثة. بيد أن هذا لم يؤثر في عدد الطلبة الساعين إلى دراسة هذه المعارف، بل إن أعداداً كبيرة تنخرط في

---

(٢١) انظر: Milson, «Medieval and Modern Intellectual Traditions in the Arab World,» pp. 17 - 37, and Hisham Bashir Sharabi, *Arab Intellectuals and the West: The Formative Years, 1875 - 1914* (Baltimore, Mad.: Johns Hopkins University Press, 1970).

ولكن مع هذا هناك استثناءات، ففي بلد إسلامي كإيران مثلاً، نجح العلماء في إزاحة زعامة علمانية واستطاعوا احتكار السلطة والنفوذ، بل أصبحوا مصدراً للمشروعية، ليس فقط في مجالهم الديني ولكن في المجال الدنيوي أيضاً.

دراستها سنوياً. أما تلك العلوم الدقيقة، الطبيعية والتطبيقية، التي تعتبر صعبة ومخصصة لذوي قدرات خاصة، فقد ارتفعت قيمتها وزادت. وهكذا انقسمت المعرفة إلى نمطين من العلوم لكل واحد منهما حقول معينة وقيم خاصة تفرّق بينهما وتفاضل بينها. ونعني بهذين النمطين، «العلوم الدقيقة (أو العلوم النبيلة)» والعلوم غير الدقيقة أو «علوم العامة»، كالعلوم الإنسانية والقانون والفلسفة. وقد ساعد على إيجاد هذا الوضع عدة عوامل، نذكر منها، ميكانزم العرض والطلب المتعلق في ما يرغب فيه المجتمع من معارف، الذي وضعت فيه العلوم الدقيقة في المقام الأول، في حين اعتبرت فيه العلوم النظرية مفيدة ولكنها غير ضرورية. ولهذا أصبحت وجاهة هذه الأخيرة ومكانتها متدنية بالمقارنة مع الأولى. ولا ينحصر هذا في المجال الاجتماعي، ولكنه يبدو واضحاً أيضاً في المجال الأكاديمي، كما سنبين ذلك بتفصيل.



شكل رقم (٤ ـ ٢ ـ أ)
انخراط الطلبة الجامعيين في العلوم
والإنسانيات (المغرب)

شكل رقم (٤ ـ ٢ ـ ب)
انخراط الطلبة الجامعيين في العلوم
والإنسانيات (مصر)

شكل رقم (٤ ـ ٢ ـ ج)
انخراط الطلبة الجامعيين في العلوم
والإنسانيات (سوريا)

كما يلاحظ القارىء في الأشكال (٤ ـ ٢ ـ أ وب وج)، فإن الانخراط في الجامعات الموجهة توجهاً غربياً زاد بشكل كبير خلال العقود القليلة الأخيرة. وقد فاق الطلب عليها بشكل كبير الإمكانيات المتوافرة حالياً، من أساتذة وتسهيلات جامعية. (أنظر الملحقين رقم (٥) و(٦)). ومن العوامل الرئيسية في هذه الثورة الواقعة في التعليم الجامعي والمبنية على مبادىء العلمانية، ليس رفض التقاليد الإسلامية كما يؤكد ذلك البعض[٢٢]، ولكن متطلبات التنمية الحديثة والتغيرات المتنامية في أنماط الإنتاج، الذي تحوّل من نمط مركنتيلي زراعي إلى نمط صناعي حاجته في هذا النوع من المعرفة؛ إضافة إلى أن الاستعمار الغربي والامبريالية الغربية أدخلا (إما نحو الأفضل وإما نحو الأسوأ) أنماطها الإنتاجية ومؤسساتها البيروقراطية، وخلّفا تبعية متعددة الأوجه، الأمر الذي جعل الأقطار العربية أمام اختيارين إما أن تتبع النمط الغربي وإما تتعرض لانهيار اقتصادي.

وقد تبع هذا التحول، الذي حدث في الرموز الثقافية والمجال الاجتماعي، تحوّل جذري في وضعية المثقف وتوجهاته. ومع هذا، فلا يبدو أن تغير السياق المجتمعي أثّر كثيراً في العلاقة بين الأكاديميين والطبقة الحاكمة ونموذجها السياسي، خاصة في ما يتعلق باستقلالية الأكاديمي عن أرباب السلطة. فقد بقي الأكاديميون يعيشون، بكيفية متأصلة، في إطار العلاقات نفسها مع السلطة التي كانت سائدة في فترة ما قبل الاستعمار، والتي ارتبط فيها الأكاديميون اقتصادياً وسياسياً بالسلطة. وفي هذا الصدد يعلق بعض من قابلناهم بما يلي:

«لم يكن للتطور السوسيو ـ اقتصادي في الوطن العربي وما واكبه من تغيرات سوى تأثير ضعيف على وضعية الاستاذ وعلاقته بالسلطة السياسية والإدارية. فكما كان الأستاذ في ما مضى، ما يزال إلى اليوم تابعاً للإدارة ومعونتها المادية ورعايتها ومكافآتها... وهذه التبعية القمعية تجرح كرامة الأستاذ وكبرياءه...».

(أستاذ مساعد/ التاريخ).

«نعم تغيّر السياق، وتغيّر الواقع الاجتماعي، وتطورت المشاهد، وظهر ممثلونَ جدد على الخشبة، لكن المسرحية بقيت هي إياها. ورجل المعرفة وجد نفسه وما يزال داخلاً في هذه اللعبة الأبدية، على الرغم منه. وبعبارة أخرى، إن المجتمع يعيش عهداً سياسياً وثقافياً جديداً، والزعامة السياسية، يمكن القول عنها إسمياً، إنها عصرية، لكن نمط السلطة وأسلوب الحكومة ما يزالان يحملان السمات نفسها التي كانت لهما في الماضي. فقد بقي سلوك أرباب السلطة نحو الأكاديميين كما كان في عهد هارون الرشيد[٢٣]. وما هو أسوأ من ذلك في الوضع الراهن، أن رجل المعرفة في الماضي كان ينحني للأمراء والملوك، أما اليوم فعليه أن يخضع وينحني لحفنة من البيروقراطيين المتعجرفين...».

(محاضر/ الاقتصاد).

---

(٢٢) Milson, Ibid., and Raphael Patai, *The Arab Mind* (New York: Charles Scribner's Sons, °1976).

(٢٣) هارون الرشيد الخليفة العباسي المشهور (٧٨٦ ـ ٨٠٩ م).

لقد كان للثقافة الغربية تأثير في التحولات التي عرفتها البنية الاجتماعية في المجتمع العربي، وفي تقسيم العمل والوظائف الاجتماعية فيه، كما أثرت هذه الثقافة في الأدوار الاجتماعية وأهميتها ومكانات القائمين بها. وقد مسّ هذا التغيير العلماء مثلاً، لكن رغم ذلك لم يهمش العلماء تهميشاً كلياً، في جميع الحالات، رغم فقدانهم احتكارهم السابق للمعرفة، بل أصبحوا فقط مزاحَمين من قبل أصحاب المعرفة الحديثة وأنصارها. فهم حافظوا، مثلاً، على سلطتهم في المجالات التي ترجع لهم بكيفية خاصة. وبما أنه بإمكان المثقفين ثقافة غربية - ذات البعد العالمي الفعال والمهيمن في مختلف الميادين - نشر تلك الثقافة وتسييرها لصالحهم، فإنهم قطعوا بذلك أشواطاً في سباقهم مع «العلماء» وتجاوزوهم علناً وضمناً، بمراحل. فبينما بقي العلماء يقاربون الأمور المادية والطبيعية ويؤولونها بمنطق ديني، فإن المثقفين ثقافة غربية، كانوا أكثر ميلاً إلى القيام بذلك على أسس علمانية. إضافة إلى أن الطلب على العلوم الحديثة والتقانة، وما أعطي لهما من أهمية في المجتمع، تجسّدا في سرعة انتشار الجامعات الموجهة أنظمتها توجهاً غربياً، التي كثر عددها في مختلف أرجاء الوطن العربي بسرعة مذهلة

وبرجوعنا إلى المجال الأكاديمي، نلاحظ ظهور مجموعات جديدة من الأكاديميين، كمجموعات: العلوم الإنسانية، والعلوم الاقتصادية والقانونية. والدراسات التقنية... وقد شرعت هذه المجموعات في التنافس في ما بينها من أجل الاعتراف والتقدير والمشروعية وإثبات الضرورة. وترتبط هذه المجموعات، بطريقة أو بأخرى، بالتقاليد الجامعية الغربية، في إبداعها المعرفة وإنتاجها وإعادة إنتاجها اياها، وكذا في عادات الاستهلاك المعرفي وفي التقويم وإضفاء المصداقية وأخذ الاعتراف بصلاحية ما تتداوله من معرفة. ومن هنا نطرح تساؤلاً هو «كيف يقوّم الأكاديمي نشاطه ويقوّم العوامل المحدِّدة التي دفعته ووجّهته نحو العمل الأكاديمي»؟

ثالثاً: الخيارات المهنية والمسارات

يعني اختيار العمل في المجال الأكاديمي، بالنسبة إلى الكثيرين، تحقيق رغبات ذاتية تستجيب لميول شخصية:

«أحب الاقتصاد، وأهوى العمل في حقل يسمح لي بنقل معرفتي وتلقينها، ... وفوق هذا أعتقد أن هذا العمل (الذي أقوم به) عمل غاية في النبل. فوضعية الأستاذ تتمتع باحترام نسبي في المجتمع، حتى وإن كانت لا توفر لصاحبها، اقتصادياً، دخلاً مهماً».

(أستاذ/ الاقتصاد).

«تعني العلوم بالنسبة اليّ كل شيء، وأنا أحب خاصة العمل في البيولوجيا... ولربما كانت الجامعة هي المجال الوحيد الذي يمكن أن يعمل فيه الإنسان بنشاط. فالجامعة، بالنسبة اليّ، تشكّل أهم شيء في حياتي بعد أسرتي ... وأنا هنا لهذا السبب».

(أستاذ مساعد/ علم الأحياء).

«أشعر أن عندي قابلية علمية للعمل في هذا الحقل، وأشعر أيضاً أن هذا هو السبيل الوحيد لتحقيق ذاتي وتحقيق شيء ما يرضي رغبات باطنية فيَّ. . .».

(أستاذ محاضر/ الهندسة المعمارية).

بينما يشعر آخرون أن توجّههم نحو العمل في وظيفتهم الراهنة كان دافعه إحساسهم بالقضايا والحركات الاجتماعية واهتمامهم بها. وربما يكون هذا الاهتمام مدعوماً بميول ذاتية:

«كل شيء يهم المجتمع والعلاقات الإنسانية يهمني، فمنذ أن كنت طالباً في الثانوي وأنا تجذبني وتحركني النقاشات في القضايا الاجتماعية والسياسية والفلسفية. لقد كنا مجموعة من الطلبة نهتم بما يدور حولنا في مجتمعنا وفي جهات أخرى. لقد كنا نتناقش ونتجادل في كل شيء ونقضي في ذلك الساعات الطوال. وكنا أيضاً نتنافس في ما بيننا، ليس بطريقة معلنة، ولكن بطريقة غير مباشرة. لقد تنافسنا، مثلاً، حول من يستطيع الإتيان بأفكار جديدة، وكان هذا يثيرنا كثيراً. لقد حاول البعض آنذاك أن ينحاز إلى أفكار بعض المفكرين العرب المشهورين، وحاول البعض استخدام الحكمة الشعبية، وحاول آخرون التركيز على مصادر معقدة كمؤلفات ماركس وغيره. وبما أننا كنا مهتمين بقضايا الوطن العربي، في معظم الوقت، فإن مناقشاتنا انصبت على المفكرين العرب وعلى تقديم الأعلام البارزين منهم آنذاك. وأنا اليوم ما زلت أحمل الاهتمام نفسه. وهذا الواقع أثّر كثيراً في توجهي نحو دراسة العلوم السياسية».

(أستاذ مساعد/ العلوم السياسية).

وقد يكون هذا الاهتمام بالمجتمع مدعوماً أيضاً بالإيمان بأفكار سياسية واجتماعية معيّنة:

«لقد كنت في المرحلة الجامعية، من أنشط الطلبة، وقد انتُخبت وقتها لتسيير إحدى المنظمات الطلابية. وهذا الانشغال بالقضايا الطلابية والنشاط في منظماتها، وضعاني وجهاً لوجه مع حقائق كثيرة، ومع البيروقراطية السياسية. . . وما شابهها من القضايا المهمة الأخرى. لقد شكّل ذلك بالنسبة اليّ نوعاً من الربط بين الفكر النظري التأملي والواقع الاجتماعي الملموس. . . ولذا فإن العلوم الإنسانية تحقيق لميولي ورغباتي. . .».

(محاضر/ علم الاجتماع).

وقد يكون للأباء والجو العائلي تأثير في الاختيار المهني وتحقيقه:

«وربما كان اهتمامي بالعلوم الإنسانية نابعاً من المناخ الأسروي الذي عشت فيه. لقد كان في أسرتي شخص نشيط سياسياً يولي القضايا الوطنية اهتماماً كبيراً. وقد جعل هذا الشخص، بطريقة أو بأخرى، كل من حوله ينخرط بفعالية في ما يجري من الأمور، أو على الأقل يفكّر فيها. وبطبيعة الحال كانت هناك أشياء كثيرة تفوتني لم أستطع فهمها في حينها. ولكن، ربما وجدت نفسي بسبب ما كان يحيط بنا آنذاك من وقائع واضطرابات وما كان يعرفه المجتمع من تغيرات جذرية، منخرطاً شخصياً، في ما يجري، بطرق مختلفة. وهناك شيء آخر عزز اهتمامي بالعلوم الإنسانية وهو أني كنت أجد نفسي، عندما أشارك في النقاش، وكأن لي نوعاً من الحضور الذهني وأن أفكاري وملاحظاتي يقبلها الآخرون أو يحترمونها على الأقلّ. وهكذا، شيئاً فشيئاً، لاحظت في نفسي ميولاً إلى هذه العلوم أو إلى القضايا الاجتماعية، وأخيراً نحو العلوم الاجتماعية. وبعد ذلك اتضح لي أن العلوم الاجتماعية تمثّل الحقيقة. . . وأن بإمكاني تحقيق

شيء ما بتعميق معرفتي فيها. باختصار، هذا هو الطريق الذي سلكته حتى وصلت إلى اختيار هذا الحقل المعرفي...».

(أستاذ محاضر/ العلوم الاجتماعية).

«كان أبي أستاذاً جامعياً، وأمي ناظرة مدرسة ثانوية، ولهذا كنت منذ البداية منخرطاً في حقل التعليم. وأعتقد أن توجهاتي العلمية تأثرت بذلك، في ما بعد. وفوق هذا كنت طالباً ممتازاً في المدرسة... ووضعية الأستاذ الجامعي تتمتع باحترام أكثر ما تتمتع به وضعيات أخرى...».

(محاضر/ العلوم الاجتماعية).

وفي بعض الحالات يكون الاختيار المهني استجابة لرغبات الآباء وتحقيقاً لها:

«كان والدي معلماً في مدرسة ابتدائية، وكان الشخص الوحيد المتعلم تعليماً عالياً في عائلتنا. لقد كان رجلاً محترماً وكان يقول لنا (أخي وأنا)، إننا لسنا كالآخرين وإنه يجب أن نكون قدوة للآخرين. لقد حاول أن يعلّمنا مختلف الأشياء وأن يجعل منا صورة لنفسه.

لم أكن وقتها أدري ما هي حقيقة ميولي، إلا أن أبي كان يردد أمامنا أنه لم يسعفه الحظ لدخول الجامعة، ولذا بقي معلماً في الإبتدائي... وكان يلح في أن نعمل أحسن ممّا عمل.

لقد كنا محظوظين أكثر من زملائنا الآخرين في المدرسة، فوالدنا كان متعلماً وكان يساعدنا بكل الوسائل، بكتبه ونصائحه... وفي كل مناسبة كان يقول لنا إن مستقبل المجتمع في الميادين العلمية... فكم من مرة قال لنا انه يرغب في أن يرانا من ذوي المهن الحرة كالأطباء والمهندسين... فقد ردد كثيراً أمام أقاربنا أنه يود أن نصبح إما طبيين وإما مهندسين معماريين... لقد دار في خلدي آنذاك أن مهنة الطب تكون بالنسبة اليّ مهنة جيدة وأنها تناسبني...».

(أستاذة/ الطب).

«كان والدي متعلماً ومتنوراً. وبما أنني كنت وحيدة أبويّ فقد بذل والدي كامل جهده بالتضحية بوقته وماله، في سبيل تعليمي، على نقيض العادة السائدة آنذاك في مجتمعنا في عدم تعليم البنات. لقد كان والدي واثقاً فيّ، لذا قرر أن يمكّنني من تعليم جيد وأن أصل في تعليمي إلى أعلى الدرجات. وكم مرة قال لي إنه مستعد لإرسالي إلى الخارج، إن اقتضى الحال، لإتمام دراساتي. لم أكن وقتها أعرف الميدان المعرفي الذي سأختاره. ولم يحاول والدي التأثير في قراري. وكل ما كان يطلبه مني هو أن يكون الميدان الذي اختاره يناسبني كامرأة. لقد كان يأخذ في ذلك بقيم المجتمع وقيوده.

وبعد أن تخرجت في إحدى الجامعات الأمريكية (بعد الحصول على الدكتوراه) من قسم الادارة التعليمية، عدت إلى بلدي، ولكن لم يكن باستطاعتي أن أقوم بعمل إداري، لأن هذا ما يزال عندنا وقفاً على الرجال... ولذ أعطيت منصب أستاذة محاضرة. وهو أمر لا يطابق تخصصي، وأرغب أن يكون في مقدوري، يوماً ما، أن أعمل في تخصصي...».

أستاذة محاضرة/ علوم التربية).

قد يكون التوجه نحو العمل الأكاديمي نتيجة الإنجاز العلمي للشخص أو نتيجة مواهبه وقدراته:

«عندما كنت في الجامعة حصلت على جائزتين، وقد أقنع نجاحي هذا إدارة الكلية في أن تقدم إليّ منحة للدراسة في الخارج والتخصص في الكيمياء. فتوجهت إلى ألمانيا الغربية وأنجزت عملاً ممتازاً هناك، . . . وأعتقد أن التشجيعات التي لقيتها من أناس كثيرين هي التي جعلتني في هذا الطريق وجعلتني أختار هذا الاتجاه. . .».

(أستاذ/ الكيمياء).

«. . . طيب، لقد كان اختياري مبنياً على النجاح الذي حققته في دراستي، الثانوية والجامعية وعلى احترامي التدريس في الجامعة، والاحترام الذي يلقاه العمل فيها في المجتمع. . . إضافة إلى أن هذا العمل سمح لي بتحقيق البعض من طموحاتي العلمية».

(أستاذ مساعد/ الأدب العربي).

وقد تكون هناك توجهات نحو بعض الحقول العلمية متأثرة بالمدرسة أو بالمعلمين والأساتذة. وفي هذه الحال يتحقق التوجه نحو العمل الأكاديمي عن طريق الصدفة:

«أنت تعلم أن الوضع هنا مختلف عن أوروبا، فهناك توجد في المدارس مؤسسات لتوجيه ميول الطلاب وإرشادهم وغير ذلك من مؤسسات التوجيه المهني والعلمي. . .

أما هنا، فغالباً ما يحدث التوجه عن طريق الحظ أو الصدفة، وهكذا يجد الطالب نفسه في حقل معيّن أو في ميدان علم من العلوم. فقد حدث أكثر من مرة أن اختار «أحدهم» تخصصاً مخالفاً لرغبات الطالب وميوله، ولا يشعر الطالب بذلك إلا بعد فوات الآوان إذ لا يمكنه أن يغيّر عمله، وحتى أن يحافظ على عمله، فهو بين البقاء فيه ضداً على رغبته فيه وبين القيام بعمله بطريقة غير سوية يخالجه نوع من الرفض أو النفور. . . أما بالنسبة اليّ، فقد كان حظي أحسن، إذ لاحظ أحد أساتذتي في الثانوي تفوّقي في الفيزياء والكيمياء والرياضيات، وساعدني كثيراً بإعطائي فكرة واضحة عن هذه المواد وما يمكن أن أعمل في المستقبل».

(أستاذ/ الفيزياء).

ونتيجة عدم وجود هذا الصنف من المؤسسات التوجيهية، فإن الكثير من الطلبة يتردد على مؤسسات جامعية مختلفة قبل أن يكتشف الملائم منها لرغباته وميوله:

«لقد اتضح لي، منذ أن كنت في الثانوي، أن العلامات التي كنت أحصل عليها لن تؤهلني، بأي حال، للتخصص في المواد العلمية. فقد كنت ضعيفاً في الفيزياء والكيمياء ومتوسطاً في الرياضيات. وفي ذاك الوقت فكرت في أن هذه المواد بعيدة عن رغباتي وميولي. . . بعد ذلك وجدت أن أنسب المواد بالنسبة اليّ هي دراسة القانون، إذ كان وقتها أقرب إلى ميولي. لقد كانت لي ذاكرة قوية وكنت أحفظ القرآن عن ظهر قلب، ومن هنا كان القانون، الذي يتطلب ذاكرة قوية، أحب فروع المعرفة إلى نفسي.

وأنا اليوم سعيد بهذه الميول: ففضلاً عن التدريس، فأنا أدير مكتباً للمحاماة خاصاً بي. . .».

(أستاذ مساعد/ القانون).

«عندما كنت في مرحلة الثانوي، كنت مهتماً أكثر بفرع معرفي آخر (وهو الصحافة) غير الذي أنا فيه الآن. وفي مرحلة الجامعة لم أستطع ولوج الكلية التي تساير رغباتي. وهكذا كان علي أن أعيد توجيه نفسي نحو الدراسات القانونية. فعلى الرغم من أني قضيت سنوات هنا كأستاذ محاضر، فإني ما زلت أرغب في عمل شيء آخر. ففي بعض الأحيان أشعر كأني غريب عن هذا الميدان».

(أستاذ محاضر/ العلوم القانونية).

وفي بعض الأحيان تكون الصورة المثالية المعطاة للنشاط التعليمي حافزاً على التوجه نحو العمل الأكاديمي:

«. . . وبما أنني كنت معجبة منذ طفولتي بالتدريس وبالصورة التي كونتها للمعلم، فقد رغبت في أن أصبح أستاذة في العلوم الطبيعية أو علم الأحياء. . . لكن بعد مدة، لاحظت أنني ممتازة في اللغات وضعيفة في الرياضيات. وهكذا بعملي اليوم في العلوم الإنسانية أستاذة للسانيات، أكون قد حققت حلماً، لكن ليس في الحقل المعرفي الذي فكرت فيه في البداية».

(أستاذة محاضرة/ اللسانيات).

«. . . في الثانوي كنت كلما نظرت إلى المدرس أو الأستاذ الذي يدرّسنا، تخيلت نفسي مكانه لقد كانت تخامرني أحلام يقظة أرى فيها نفسي أستاذاً وأمامي ستون طالباً في حجرة دراسية كبيرة. . . وأخيراً تحققت الصورة التي تخيلتها. لقد حاولت جهدي أن أحققها في الحقل الذي كنت أرغب فيه وهو تدريس الأدب العربي، لأني كنت مهتماً بالشعر وكل ما يتعلق بالثقافة العربية».

(أستاذ مساعد/ الأدب العربي).

وقد تكون «المحترمية» التي تحظى بها مهنة التدريس دافعاً نحو التوجه الذي يختاره الطالب الجامعي:

«العمل في الجامعة محترم جداً في الأوساط الاجتماعية. ويتيح العمل في الجامعة للفرد أيضاً القيام بأبحاثه في حقله العلمي حيث تتوافر كل الشروط العلمية والثقافية للقيام بذلك. . .».

(أستاذ محاضر/ علم النفس).

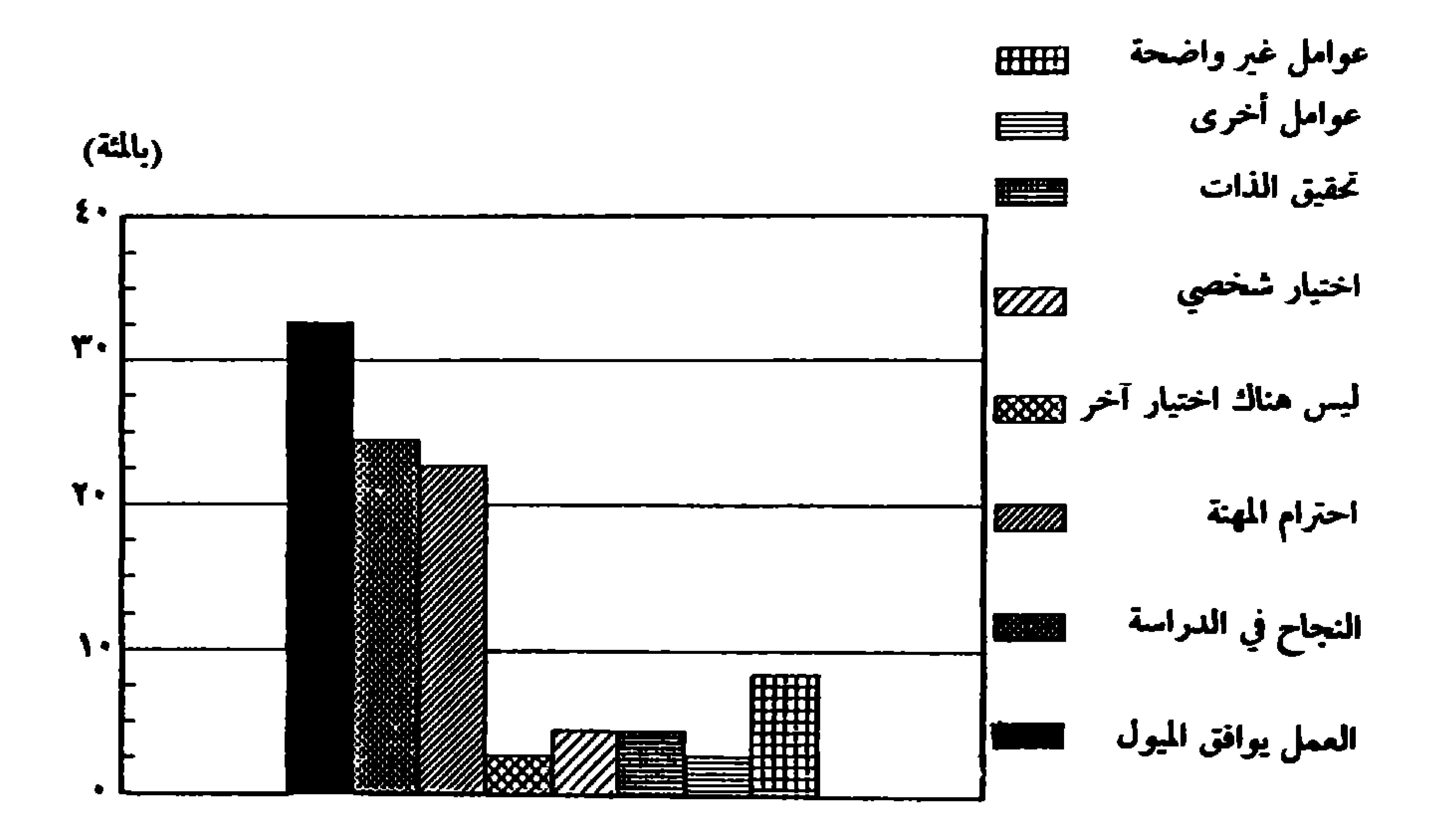
وأخيراً قد تكون الدوافع الاقتصادية والمكانة الاجتماعية سبباً في الاختيار:

«ميدان الطب ميدان ممتاز جداً. فالطب هو الميدان الذي وجدت فيه شيئاً يوافق رغباتي وميولي واهتماماتي. هذا، فضلاً على أنه ميدان يتيح لك مساعدة الآخرين. وأنا حاولت طيلة حياتي أن أجد سبيلاً أساعد فيه الآخرين. ومن نافلة القول التذكير بأن ممارسة الطب خارج الجامعة يوفّر لصاحبه دخلاً مادياً كبيراً، ويمكن أن تمارس فيه عملاً حراً، الأمر الذي أعتقد أنه يشكّل نقطة مهمة. ويجب ألّا ننسى أيضاً الوجاهة والمكانة اللتين يحظى بهما هذا الميدان العلمي ومن يمارسونه. . . فهذه العوامل مجتمعة تساعد في تفسير سبب اختياري».

(أستاذة محاضرة/ الطب).

يمثّل الأكاديميون المثقفون ثقافة غربية الجيل الأول من هذا الصنف من المثقفين في بلدانهم (في مصر وسوريا يمثلون نسبياً الجيل الثاني). فمثلاً الأفراد الذين استشهدنا بأقوالهم في الفقرات السالفة، يتشكلون في الغالب من الافراد الرواد في أسرهم أو قبيلتهم أو منطقتهم الذين حصلوا على تعليم عالٍ، وبعبارة أخرى، يشكّلون الرواد الذين وصلوا إلى مكانات اجتماعية متميزة. أما التطلعات التي أدت إلى اختيار العمل الأكاديمي والعوامل المؤثرة في هذا الاختيار، فيطبعها الاختلاف إذ يتعلق الكثير منها بالمسار التاريخي الخاص بكل أكاديمي وبمحدداته الاجتماعية والثقافية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الجامعات في الوطن العربي، شهدت في السنوات الأخيرة خلق نموذج أكاديمي. وأخيراً، وبفضل الانتشار الواسع للتعليم وتغيّر موقف الآباء من تعليم البنات، ولجت المرأة العربية الحلبة الأكاديمية في العقود الأخيرة، وظهر ما يمكن أن نصطلح عليه بـ «المرأة العربية الأكاديمية»، وهو موضوع الفصل اللاحق.

شكل رقم (٤ ـ ٣)
العوامل المؤثرة في اختيار الأكاديميين
لمهنة التدريس في الجامعة (العدد = ١١٠)



يبدو في الشكل رقم (٤ ـ ٣) أن ثمة ثلاثة عوامل حاسمة في اختيار المشاركين للعمل الأكاديمي. وهذه العوامل في تقديرات من استجوبناهم، هي: **أولاً**: التدريس يوافق ميولهم واهتماماتهم، **ثانياً**: الاختيار نابع من النجاح في الدراسة، **ثالثاً**: الاحترام الذي تحظى به مهنة التدريس. وهذا العامل الأخير يتضح للطالب وهو في المرحلة الثانوية.

ولم يكن للأصل الطبقي والسن والذكورة أو الأنوثة، أثر كبير في إحداث فروق في تأثير هذه العوامل. إلا أن أولئك الذين يتماهون مع الطبقتين؛ الدنيا والمتوسطة، يقولون عن الأعمال الإضافية التي يضطرون إلى ممارستها إنها لا تناسب اختصاصهم. في حين يدعي أولئك الذين يتماهون مع الطبقة العليا والبعض من الطبقة المتوسطة، إن أعمالهم الأخرى (في التعليم واللجان العلمية والنشر والكتابة) تساير تخصصاتهم.

وعلى العموم، فإن الأغلبية (٨٠ بالمئة) تعتقد أن ظروف العمل المهنية تحسنت في السنوات الأخيرة، ومن بين هؤلاء (٧٦ بالمئة) من يعتقد أن من المنتظر أن تتحسن أكثر في المستقبل. ويبدو أن أولئك الذين يشعرون بالرضى عن واقعهم الحالي وبالتفاؤل في المستقبل، يتمتعون الآن برأسمال تعليمي كبير ويمتلكون نفوذاً وسلطة في الجامعة، وخاصة إذا كان رأسمالهم المعرفي مكوناً من معرفة علمية بحتة أو تقنية (أنظر الملحق رقم ١٠).

وقد صرحّ أغلب المشاركين أن بإمكانهم، من الناحية العلمية والفكرية، استخدام معرفتهم في النشاط الأكاديمي الذي يقومون به حالياً، لكن تبقى هذه الإمكانية، في تقديرهم، محدودة أو تنقصها الأدوات اللازمة للبحث، أو أن الحصص الكثيرة في التدريس تعوقها، أو أن المناخ السياسي يحدّ منها. ومن هذا المنظور، فقد حدث تحوّل في السياق الاجتماعي وفي ظروف العمل الأكاديمي، علاوة على التحسن المادي لرواتب الأساتذة. ويشكل العاملون في حقول العلوم الاجتماعية والإنسانية نسبة كبيرة في شريحة غير الراضين عن عملهم ونشاطهم الفكري.

أكثر من نصف المشاركين (٥١,٨ بالمئة) ينتمي إلى الطبقة المتوسطة، في حين ينتمي أكثر من ربعهم (٢٨ بالمئة) إلى الطبقة العليا، ولا ينتمي إلى الطبقة الدنيا سوى (١٢,٥ بالمئة). وهذه المجموعة الأخيرة محرومة من الإرث الثقافي والمادي، إذا إن الآباء فيها إما غير متعلمين بالمرة، وإما انهم حاصلون على تعليم أولي وحسب. وعلى العكس من ذلك، فإن أولئك المنتمين إلى الطبقة العليا أو الطبقة المتوسطة يتمتعون برساميل متعددة نسبياً، في حين أن أولئك الذين تلقّوا تعليمهم في الخارج (أمريكا الشمالية وأوروبا) ينتمون إلى الطبقة العليا.

ويبدو أيضاً أن الأباء مثّلوا دوراً كبيراً في توجيه أبنائهم في مجال اختيارهم المهني. فالكثير ممن استجويناهم هم في الجامعة بسبب تشجيعات أبائهم وأسرهم في اختيار أعمال معينة لأنها إما في تقاليد العائلة وإما لأن بإمكانها تحسين المكانة الاجتماعية للأسرة.

الفصل الخامس

المرأة الأكاديمية العربية

أولاً: الرجل والمرأة في عالم الجامعة

«إن عقل المرأة أحسن بكثير من عقل الرجل بكيفية متأصلة: فإذا كان الرجل يفوق المرأة في القوة البدنية فهي تفوقه بطبعها النبيل والمتعقل»[1].

على الرغم من أن الواقع التاريخي يشهد بأن الوطن العربي عرف في الماضي نساء شهيرات في مختلف ميادين المعرفة والثقافة كالأدب والشعر، مثلاً، فإن التعليم الرسمي للبنات لم يبدأ إلاّ في أوائل هذا القرن، وفي بعض البلدان العربية وحسب كلبنان وسوريا ومصر، بينما بدأ متأخراً في البلدان العربية الأخرى في الفترة الاستعمارية وما بعدها. ولم يتخذ اندماج المرأة في المؤسسات الجامعية منعرجاً حاسماً إلاّ في الخمسينيات والستينيات من هذا القرن. ولهذا، فإن تاريخ المرأة العربية في عملها في الحقل الأكاديمي لا يتعدى عقدين أو ثلاثة عقود من الزمن في أغلب البلدان العربية.

ويعزى هذا التحول الذي حدث في مكانة المرأة، في كثير منه، إلى تأثير الثقافة الغربية. وكتوضيح على ما نقول، فإن تلك البلدان العربية التي سبقت إلى الالتقاء بالغرب، أو كانت محافظة على علاقات ما معه (كعلاقات مصلحية، أو علاقات تبعية، أو تبعية متبادلة) أو كانت لها معه علاقات ثقافية، كانت هي البلدان العربية الرائدة في وصول المرأة إلى الجامعة.

وكتوضيح آخر، لاحظنا في البلدان العربية، أن تلك البلدان التي كان تأثير الثقافة الغربية فيها قديماً نسبياً، وصلت فيها المرأة في الستينيات إلى مناصب مهمة في الإدارة

---

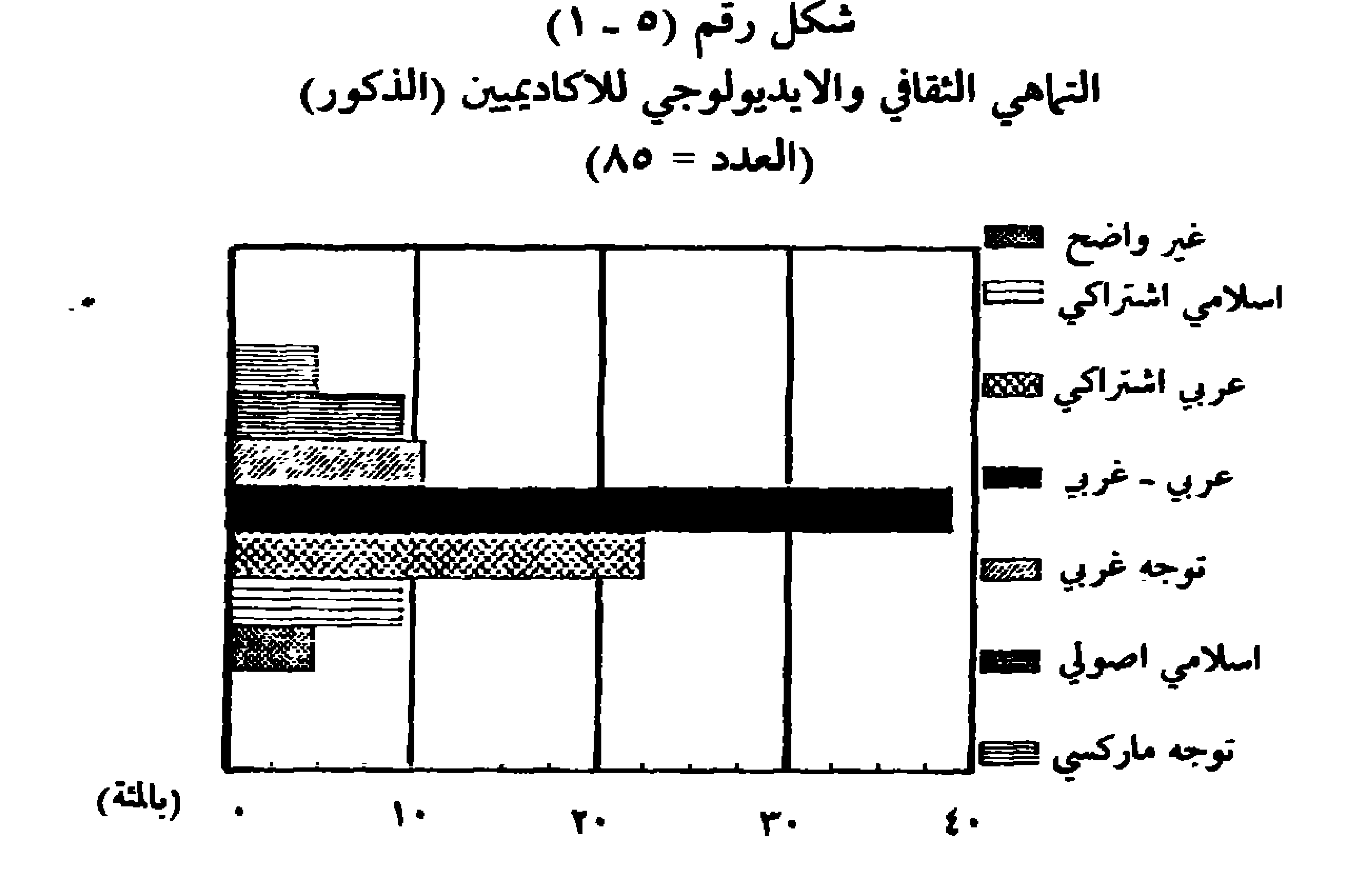
(1) Nazirah Zein Ed - Din, «Removing the Veil and Veiling,» in: Women's Studies International Forum, *Women and Islam* (New York: Pergamon Press, 1982), vol. 5, no. 2, pp. 221-226.

والمؤسسات الجامعية وفي القطاع الخاص. وبذلك تشكّل النساء فئة القادمين الجدد للعمل في الحقل الأكاديمي، إذ لم يكن اندماج المرأة في العمل الأكاديمي أمراً هيناً تقبله الأُسر بسهولة. ويبدو أن الأسر المدينية من الطبقتين المتوسطة والعليا كانت على استعداد قبل غيرها للسماح لبناتها بدخول المدارس ومتابعة دراستهن في الخارج. ويمكننا أن نلاحظ أيضاً، إذا ما نحن تتبعنا المسار التاريخي لولوج المرأة المجال الأكاديمي والعمل فيه، أن النساء الأكاديميات ممن تأثرن نسبياً، في نمط حياتهن وثقافتهن وتطلعاتهن بالنمط الغربي، ينتمين خاصة إما إلى الطبقة المتوسطة وإما إلى الطبقة العليا.

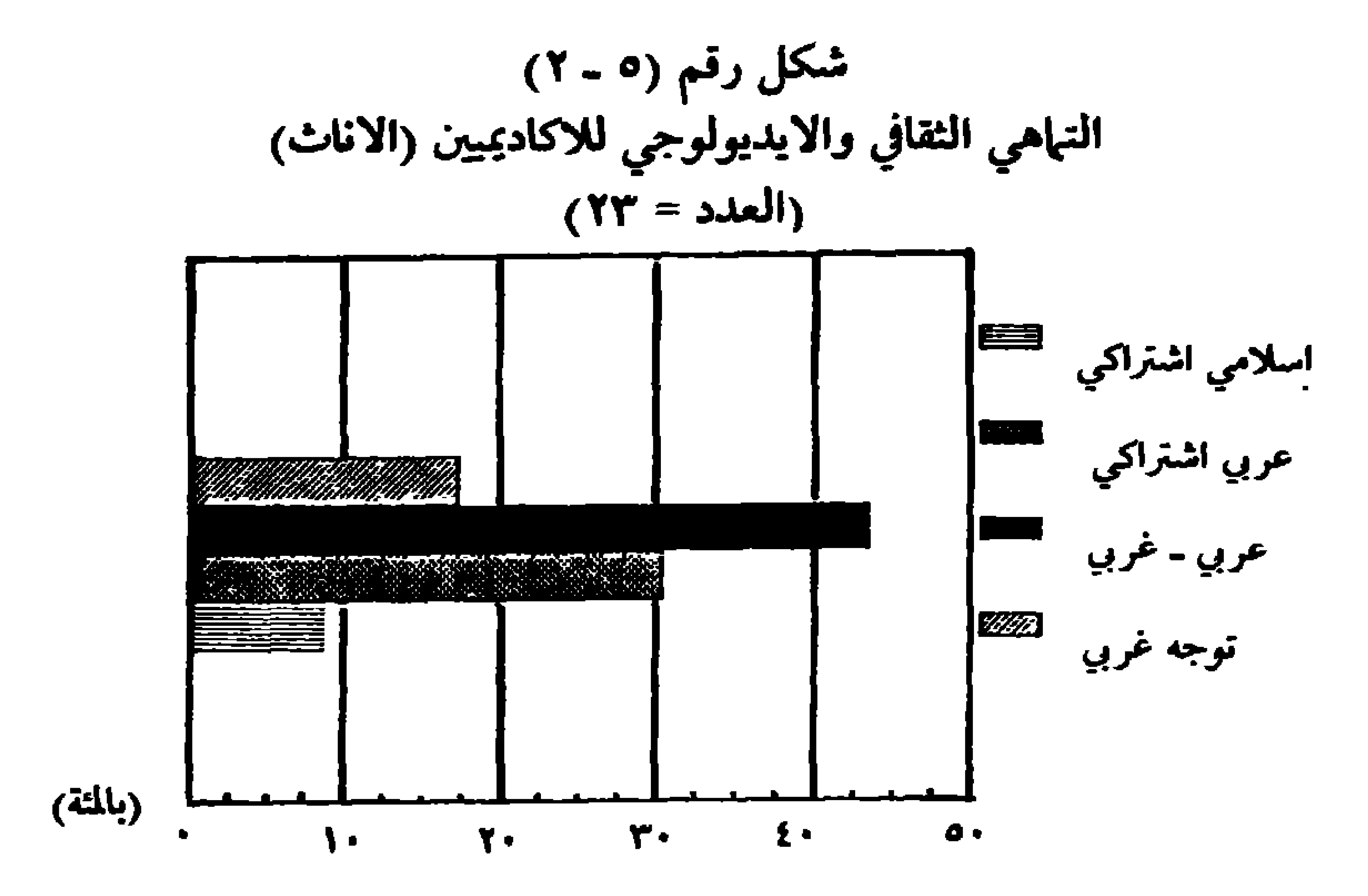
وتعني هذه الرسومات البيانية المرفقة من جهة أخرى أن تلك النساء الأكاديميات، اللواتي لهن، إضافة إلى رأسمالهن العلمي أو المادي، رأسمال ثقافي ورثنه أو اكتسبنه من أسرهن، تكون لهن مكانة أرقى من تلك الأكاديميات، أو المثقفات عموماً، ممن أتين من طبقات دنيا أو من أسر قروية فقيرة وليس لهن مثل ذلك الرأسمال الذي يعتبر ذا قيمة كبرى في الامتياز والترقي الإجتماعي. وتجدر الإشارة هنا أيضاً إلى أن النساء الأكاديميات عموماً، أو أغلبهن على الأقل، آباؤهن متعلمون، أو أن أمهاتهن تلقّين حظاً من التعليم على الأقل، مما يعني أنهن اكتسبن رأس مال ثقافياً ولغوياً في صغرهن، وترسّخ فيهن وانتقل في مستوى الأسرة.

ويبدو من استجواباتنا أن النساء الأكاديميات يجدن هويتهن تقريباً في الثقافة الغربية. ومن هذا المنحى، لا يظهر أن الايديولوجيا الإسلامية تستقطبهن كثيراً كما تستقطب الأكاديميين الرجال (أنظر الشكلين رقم (٥ ـ ١) و(٥ ـ ٢)). فالكثير منهن ينظر إلى الثقافة الغربية كقاعدة أساسية يبني عليها تحرر المرأة. والواقع أن الكثير ممن كنّ عرضة لهذه الدراسة يعتبرن الإسلام تياراً محافظاً أو قوة محافظة.

شكل رقم (٥ ـ ١)
التماهي الثقافي والايديولوجي للاكاديميين (الذكور)
(العدد = ٨٥)



شكل رقم (٥ - ٢)
التماهي الثقافي والايديولوجي للاكاديميين (الاناث)
(العدد = ٢٣)



سألنا المشاركين أن يعينوا شخصاً (مثقفاً أو كاتباً أو سياسياً) يعتقدون أن مفاهيمه حول التنمية والتغير الاجتماعي تساير أفكارهم وتطلّعهم في هذا الباب (أنظر الملحق رقم (٢)). ومما تلقيناه من أجوبة استنتجنا التماهي الثقافي والايديولوجي للمشاركين، أي عبر استقراء أفكار الشخص الذي عينوه. وقد قسمنا الآراء المعبر عنها في ست توجهات. وسبق لنا أن حللنا هذه التوجهات بتفصيل في كتابات أخرى[1].

يدعو التوجه المركب (العربي الغربي) أساساً إلى الاصالة والمعاصرة. في حين يدعو التوجه العربي الاشتراكي إلى العروبة والوحدة العربية؛ إذ تشكّل الاشتراكية في صيغتها المتبنية بها في الثقافة المحلية أداة للعصرنة والتقدم. ويساير التوجه الاشتراكي الاسلامي إلى حد ما مبادىء هذا التوجه، إلا أنه ينطلق من الاسلام عقيدة وهوية وبمثابة قوة في التغير الاجتماعي.

أما التماهي الغربي، فيؤكد أهمية ثقافة الغرب كنموذج ووسيلة للتنمية. إذ لهذا التماهي اعتقاد كبير في علوم الغرب وتقنياته ومؤسساته (الديمقراطية) كعوامل مهمة في عصرنة المجتمع وتحرير الانسان (تحرير المرأة على سبيل المثال) والسير مع ركب الحاضر. وفي الحين الذي لا يرفض فيه المدافعون عن هذا الاتجاه ثقافتهم العربية، فهم في المقابل يطالبون اعادة تشكيل هذه الثقافة. أما أولئك الذين يتماهون مع التيار الاسلامي الأصولي (الاسلام الصحيح) فإنهم لا يكتفون بالتشديد على الاسلام كعقيدة وهوية، بل يؤكدون أيضاً عليه كايديولوجيا كاملة وكنموذج للسلوك في المجتمع. ويعني هذا رفض ايديولوجيات الغرب (الماركسية منها والليبرالية). أما التوجّه الماركسي فيجمع عدة تيارات تسير من الماركسية الأرثوذكسية إلى الماركسية الماوية.

وهناك اختلاف بين التماهي الثقافي والايديولوجي عند الذكور والاناث، كما هو ملحوظ في الشكلين رقم (٥ - ١) و (٥ - ٢). ففي حين تتماهى المجموعتان مع التيارين العربي الاشتراكي والعربي الغربي، فإن أغلبية الاناث تفضل في ما يبدو الثقافة الغربية وترفض الاتجاهين الأصولي والماركسي.

(١) المصدر: M'hammed Sabour: *The Cultural Identification and Alienation of the Arab Intelligentsia: A Theoretical Background and Typological Outline*, University of Joensuu, Research Reports of the Faculty of Education, Sociology of Education; no. 3 (Joensuu: University of Joensuu, 1984), and *The Cultural Identification and Alienation of the Arab Intelligentsia: An Empirical Study on the Moroccan Educated*, University of Joensuu, Research Reports of the Faculty of Education, Sociology of Education; no. 9 (Joensuu: University of Joensuu, 1985).

وهـذا لا يعني أن كل النسـاء الأكاديميـات ضد التـوجـه الإسـلامي، فهنـاك منهن من يعتقدن أن الإسلام شكّل ثقافة محرِّرة للمرأة. ذلك أن المشكل لا يكمن في موقف النساء من الإسلام أو الإسلام من النساء ولكن يكمن في سلوك الرجال تجاه المرأة والكيفية التي يطبّقون بها المبادىء الإسلامية عندما يتعلق الأمر بالمرأة.

«من الناحية التاريخية المحض، أدخل الإسلام تحسينـات إيجابيـة على مكـانة المـرأة. ولكن كان الإسلام أيضاً محدَّداً بالسياق الثقافي الذي كان فيه، وبالعقلية التي كانت سـائدة عنـد ظهوره. فإذا لم يحدث تطور جوهري في المراحل التاريخية التالية، فذلـك ليس بسبب الإسلام كـما أنزل ولكن بسبب المسلمين (الرجال) الذين أوّلوه بالطريقة التي تلائمهم...

وأخيراً، هل فعلت المسيحية شيئاً من أجل تحرير المرأة؟ لا أعتقد أنها فعلت كثيراً...».

(أستاذة مساعدة/ العلوم الإنسانية).

لا يعني أن تمـاهي البعض منهن مـع الإسـلام، أن هؤلاء يقبلن كـل التـأويـلات التي يعطيها الرجال للإسلام. فهن غير راغبات في التقبّل دون نقد نـظرة الرجـل إلى مكانـة المرأة والمفاهيم التي يكوّنها عنها. ومن هذا المنظور تنتقد النساء الأكاديميات بمرارة تناقضات الـرجل العربي وازدواجية موقفه. فهو يبدو في مفاهيمه للعصرنة والتقاليد والأصالة والتطور الاجتماعي وتحرير المرأة وأدوار الرجل والمرأة ذا وجهين وغير واضح[٢].

وعندما تتعامل المرأة الأكاديمية مع القضايا التي تتعلق بمكانة المرأة ووضعيتها في المجـال الأكاديمي، فإنها غالباً ما تشدد على الآثار التي يخلّفها السياق السـوسيو ـ ثقـافي، وكذا الثقـل الذي يعطى في المجتمع للتقاليد الموروثـة. وبعبارة أخـرى، فإن عـدم وجود الاعتبـار اللائق لنشـاط المرأة الأكـاديمية، ليس مـردّه إلى الحقل الأكـاديمي في حد ذاتـه، ولكن إلى الانعكاس الكلي للمجتمع، إذ إن الرجل والمرأة الأكاديميين ساهمـا في إنتاج قيم المجتمـع الذي يعيشـان فيه.

وينعكس هذا أيضاً في مشكل العلاقات الأكاديمية بين المـرأة والرجـل الذي ليس نـاتجاً من اختلاف في التأويل، ولكنه ناتج أيضاً من مسألة التعايش وتقبُّل كل طرف الآخر.

«إلى حد الآن، لم أصادق إلّا عدداً قليلاً من النساء الأكاديميات ممن يحق أن يطلق عليهن هـذا الاسم، فـالكثير ممن صـادفت لسن في المستوى المـطلوب... فهن عندمـا يعتدن علىٰ العمـل خارج البيت يصبحن غير مؤهـلات للقيام بـأعباء الأمـومة... ويمكنـك أن تستخلص بنفسك العواقب الاجتماعية التي تنجم عن ذلك».

(أستاذ مساعد/ الشريعة).

---

(٢) Fatima Mernissi, «Women's Work: Religious and Scientific Concepts as Political Manipulation in Dependent Islam,» in: Halim Barakat, ed., *Contemporary North Africa* (London: Croom Helm, °1985); Nawal al - Saadawi, *The Hidden Face of Eve: Women in the Arab World* (London: Zed Press, 1980), and Women's Studies International Forum, *Women and Islam*.

«كما هو شائع بين الناس جميعاً مثقفين وغير مثقفين، فإن أهمية المرأة ما زالت تُبخس كثيراً. فكثير من الرجال لم يتخلصوا بعد من عقدتَي الرجولة والاستعلاء... فحتى بين أولئك الذين يسمّون أنفسهم المثقفين، تجد من ينظر إليك (المتحدثة امرأة) كأداة للجنس لا كامرأة مثقفة أو منتمية إلى الحقل الأكاديمي».

(أستاذة محاضرة/ اللسانيات).

ويبدو من هذه الأقوال أن بعض الرجال لا يزالون متأثرين بالهابتوس المرتبط بثقافتهم، في وقت تصارع فيه النساء الأكاديميات بكل قواهن لإحداث قطيعة مع الأحكام المسبقة لهذا الهابتوس ومن أجل تغيير مفهوم الرجل للمرأة ودورها. ومع كل هذه المعوقات:

«أثبتت المرأة العربية مكانتها، بكيفية محسوسة في المجالين الفكري والعلمي، فهي لا تختلف في هذا عن الرجل، بل ربما فاقت قليلاً اعترافاته لما أنجزته. فهي قد أزاحت عن طريقها كل الشكوك حول قدراتها، لتقف ضداً للرجل وربما لتتفوق عليه. ولكن ليس بإمكانها أن تزيح كل السلوكات والخيالات التي تسكن عقول الرجال... البعض لا يتحدث إليك كامرأة أكاديمية محترمة ولكن كمخلوق ضعيف لا حول له ولا قوة... ويمكن أن تلاحظ ذلك في لغتهم وسلوكهم».

(باحثة ومحاضرة/ علم النفس).

والواقع أن هذه التغيرات التي عرفها تقسيم العمل في المجتمع العربي وشغل المرأة وظائف ومهمات كانت وقفاً على الرجل، لا بد أن تكون تغييرات أخاذة ومدهشة في مجتمع اشتهر بنظامه الأبوي وذكورية مجاله الأكاديمي. ومن نافلة القول أن نضيف هنا أن تغييراً كهذا من شأنه أن يُحدث سابقة في المناخ الفكري والعلمي، ولربما نشأت عنه أشكال أخرى من الصراعات والتنافسات.

ويمثّل ولوج المرأة المجال الأكاديمي، بالنسبة إلى النساء، إنجازاً عظيماً يصنع شكلاً من تحررهن الذاتي وفرض حضورهن المهني الذي يثبتن به أنفسهن وكفاءتهن التي لا تقلّ عن كفاءة الرجال في الوصول إلى المواقع الإجتماعية التي كانت تقليدياً حكراً على الرجل. ومع هذا، فلا يبدو أن النساء الأكاديميات راضيات عن وضعيتهن ومكانتهن في المجال الأكاديمي. فهن في الوقت الذي يعترفن فيه بأن ظروف عملهن قد تحسنت وأنه من المحتمل أن تتحسن أكثر في المستقبل. يبدو لهن أن سلطتهن ونفوذهن في نشاطهن الأكاديمي تقلّ بكثير عن سلطة الأكاديميين الرجال ونفوذهم(٣).

ويظهر في الواقع أن النساء الأكاديميات لم يحققن بعد الاحترام اللائق بوضعيتهن، ولم ينجحن نجاحاً كاملاً في فرض أنفسهن على قدم المساواة مع الرجال في كل المجالات

---

(٣) Bill Williamson, *Education and Social Change in Egypt and Turkey* (London: Macmillan Press, 1987), pp. 176 - 177.

العلمية. وبعبارة أخرى، فإنه على الرغم من اكتساب النساء الأكاديميات رأسمال علمي، فإنهن لم يفلحن بعد في تغيير مفاهيم الرجال الأكاديميين لوضعيتهن في هرمية المؤسسات العلمية[4]. وهناك اقتراحات عدة في تفسير فشلهن هذا: منها أولاً أن الحقل الأكاديمي كان وما يزال عالماً ومؤسسة يمتلكها الرجال دون اعتراض يُذكر من النساء. ثانياً أن الرجال الذين يعتبرون أنفسهم مصدراً للمعرفة، وجدوا أنفسهم في علاقات جديدة عليهم، مع هؤلاء القادمات الجدد اللواتي كنَّ دائماً (وما زلن) موضع الإعجاب وموضوع إنشاد الشعر[5]، فكيف بهن وقد أصبحن اليوم واقفات معهم على قدم المساواة في حلبة العلم والمعرفة. ثالثاً، إن عدم الوضوح والتقلب اللذين يطبعان مفهوم الأكاديمي (الرجل) لاندماج المرأة المتزايد في حقل كان إلى اليوم منطقة محرمة على المرأة يتمتع فيها وحده بالامتياز والهيمنة، ناتج عن الهابتوس الثقافي للرجل، وعن التغيرات التي حصلت في توزيع الأدوار بين الرجل والمرأة في تقسيم العمل. ولهذه الأسباب، فإنه على الرغم من أن وجود المرأة في الحقل الأكاديمي مقبول رسمياً وعلنياً، فإن وضعها فيه غير مريح لها نفسانياً. وإذا كان أمام المرأة طريق طويل لتحقيق صورة محترمة لها بين الأكاديميين، فإنها اليوم، قد ضمنت اندماجها الدائم في هذا الحقل، بفضل إنجازاتها الفكرية والعلمية. ولا بد للرجل الأكاديمي من أن يراجع نفسه يوماً ما ويعيد تقويمه وإدراكه لتعايش المرأة والرجل في الحقل الأكاديمي، وذلك عبر خلق علاقات جديدة وسلوكات أخرى، إذ لا بد أن يحدث ذلك نتيجة الضغط الذي يمارسه التغيير الاجتماعي الحاصل اليوم. ومن البديهي أن متطلبات هذه التغيرات لن تحدث دون نزاع ومماحكة.

«الجامعة ترحب بالنساء ليشاركن في إنتاج المعرفة ونقلها إلى الآخرين. وفوق هذا، فإن التزايد الهائل في إعداد الطالبات، يتطلب في المقابل عدداً كبيراً من الأساتذة النساء... ولكن لا بد للنساء الأكاديميات من أن يأخذن بعين الاعتبار الواقع الثقافي... يجب عليهن أن يتجنبن سلوك البرجوازية الصغيرة المنبعثة من التيارات الغربية أو من النزعات النسوية: لأن سلوكهن ذاك يتسبب في إذكاء شوفينيتنا (أي شوفينية الرجل).

(أستاذ/ الأدب العربي).

«نتوقع هنا من المرأة الأكاديمية أن تقوم بأشياء كثيرة. فعليها أن تدرس وتبحث في الجامعة وتعتني بأسرتها في المنزل. وكل هذا يتطلب وقتا وطاقة كبيرين، يتهان على حساب البحث... لكن «إخواننا» (الرجال الأكاديميون) لا يرون الوضعية من هذا المنظور، فهم ينظرون إلينا كما

---

(٤) فاطمة اصديق، «بروز المسألة النسوية ضمن الانتلجنسيا العربية،» ورقة قدّمت إلى: ابراهيم سعدالدين (محرر)، الانتلجنسيا العربية: المثقفون والسلطة، سلسلة الحوارات العربية (عمّان: منتدى الفكر العربي، ١٩٨٨).

(٥) إن قراءة في الشعر العربي قديمه وحديثه تثبت أن المرأة شكلت وما تزال موضوع إعجاب الشعراء ومحط خيالهم. انظر في هذا الصدد:

Salma Khadra Jayyusi, ed., *Modern Arabic Poetry: An Anthology* (New York: Columbia University Press, 1987).

لو كنا طبقة من درجة ثانية من الأكاديميين. . . ، نساء فقط دون تطلعات فكرية وعلمية أو قدرات. . . وهم يتناسون، أنه ينقصنا الوقت والحرية لكي نركز على أبحاثنا في الجامعة. وأن لنا أدواراً أخرى خارج الجامعة».

(أستاذة محاضرة/ علم الاجتماع).

وعند مقارنة عدد الأبحاث التي نشرها الأكاديميون الرجال والنساء يبدو أن عدد المنشورات المنسوبة إلى النساء أقل من تلك المنسوبة إلى الرجال(أنظر الجدول رقم(٥ ـ ٥)). ومع هذا، فإن النساء الأكاديميات يعتقدن أن ظروف عملهن تحسنت عما كانت عليه، وأنها في طريق التحسن. وتعتبر غالبيتهن أن بإمكانهن اليوم استغلال قدراتهن في القيام بعملهن. والعائق الرئيسي الذي يحدّ من استغلال القدرات، يتمثل في نقص التجهيزات، والمسؤوليات الكثيرة الملقاة على عاتق المرأة الجامعية، وغير ذلك مما يتطلبه المجتمع من المرأة عموماً. ومن بين الأشياء الكثيرة التي تراها الأكاديميات ضرورية لتغيير وضعهن في المجتمع، تحسين ظروف العمل والرفع من الأجور: فبالنسبة إلى الكثيرات منهن، يشكل رفع الأجور والاعتراف بقيمة العمل، حافزين مهمين للحث على العمل. وإذا نظرنا في جوانب أخرى من غير عدم الارتياح الذي تشعر به المرأة في مجال مخصص للرجال، فإننا نلاحظ أيضاً أن المرأة الأكاديمية تعاني نقصاً في الاعتبار من طرف المثقفين المحيطين بها، في وقت تعرف فيه أن مكانة المرأة المثقفة محترمة في بلاد أخرى، خاصة في البلدان الغربية منها (أنظر الملحق رقم ٨). ولهذا، فإن النساء الأكاديميات، خاصة أولئك منهن، ممن يعتبرن أن الاعتراف والاحترام يحثان على العمل، يعتقدن أن من بين الدوافع الرئيسية لهجرة الأدمغة العربية نحو الغرب، هو النقص في الاعتبار الذي يلقاه المثقف العربي في بلده:

«من الأفضل أن تكون أجنبياً ومحترماً خارج بلدك بدلاً من أن تكون محتقراً في بلدك. . .».

(أستاذة محاضرة/ علوم التربية).

«عندما تبحث وتعمل وتطور أفكاراً جديدة، فأنت تحتاج إلى مكان بقدر نشاطك وإبداعك. . . وبما أن العمل ضرورة حيوية للمثقف، فهو ينجذب أكثر نحو أولئك الذين يريدون ويرغبون في تقدير عمله وإعطائه الاعتراف والتشجيعات التي يستحقها».

(أستاذة محاضرة/ الفنون الجميلة).

ومع كل هذا، يلاحظ أن الثقافة الغربية كان لها، بصفة مباشرة أو غير مباشرة، أثر حاسم في صراع المرأة الأكاديمية من أجل اعتبار مكانتها والاعتراف بها. ومع هذا قد تشكّل الثقافة الغربية في نفس الوقت أحبولة تقع فيها المرأة. ففي مجتمع كالمجتمع العربي التي تسود فيه القيم الإسلامية، عندما تستند المرأة الأكاديمية فيه إلى الثقافة الغربية، قد يكون استنادها ذاك سيفاً ذا حدين. فالنساء الأكاديميات في تحديدهن تحررهن ووضعيتهن في إطار تلك الثقافة، يتحدين الأمر الواقع المبني أساساً على قيم عامة يعترف بها جميع من يعيش في المجتمع. وهن بذلك أيضاً يقبلن بالاستلاب ويبعدن أنفسهن عن سياقهن الاجتماعي. ولهذا، فإن اندفاعهن نحو الاستيعاب الثقافي الغربي أو التماهي فيه، يعدّ من قبل الرجل

العربي ـ الذي ما يزال سيد اللعبة على كل حال ـ انحرافاً وزيغاً عن التقاليد العربية التي يشهد سياقها اليوم إحياء للنزعات الإسلامية. وهذا يضع المرأة الأكاديمية في وضعية متناقضة، اجتماعياً وفكرياً ونفسانياً داخل مجتمع يختبر تغيرات غير قارة جدلياً وتاريخياً. ومع هبوب كل هذه الرياح المعاكسة، فالجيل الصاعد من النساء الأكاديميات غير مستعد للتنازل أو وضع سلاح النقد، ومن هذا المنظور تعلن واحدة من هذا الجيل بنبرة مشاكسة:

> وهنا (تقصد الجامعة)، كما في المجتمع العربي عموماً، يوجد مفهوم حول وضع المرأة يستوعبه الجميع ـ بكيفية ضمنية أو صريحة ويستبطنه... وهذا المفهوم، وإن كان غير مؤسساتي من الناحية القانونية في أغلب الحال، ناتج عن تراكم عادات وممارسات موروثة عن الماضي... التي توجد بصورة غير عقلانية في أذهان وسلوك الرجل والمرأة معاً. ويبدو لنا هذا الواقع واضحاً، عندما نشاهد تفاعل الرجل والمرأة حيث يخلق كل منهما لنفسه بنية من الأفعال وردود الأفعال... يهيمن فيها الرجل ويفرض رغباته وتستسلم المرأة وتقبل. وهذا الوضع في صالح الرجل، وتدركه المرأة عن خطأ وكأنه قضاء وقدر... فالجبرية توجد فقط في أذهاننا ومعتقداتنا التي ما زالت متأثرة بالتقاليد البالية وليس فيها مكان للواقع العقلاني العصري. ولكن الأمر يتعلق بالمرأة إن هي أرادت أن تثبت أن عهد الجواري قد انتهى.

(أستاذة)

لقد نجحت النساء في الاضطلاع بمسؤوليات ضخمة ووظائف مهمة في المجتمع. فالمرأة اليوم في الوطن العربي تعمل محامية وقاضية وطبيبة وربّانة طائرة وسفيرة ووزيرة وأستاذة ومعلمة. وباختصار، في كل المهن التي كانت من اختصاص الرجال تقريباً إذا ما عدنا ثلاثين سنة أو أربعين وحسب إلى الوراء. إلا أنه مع هذا النجاح الباهر، فما تزال النساء، بسبب مواقف الرجال والمؤسسات والمجتمع، في وضعية أقلية تعاني الحرمان من عدد من الامتيازات وعلى هذا الوضع أن يتغير.

جدول رقم (٥ ـ ١)

العلاقة بين مكانة الأب
والانتساب الأنثوي أو الذكوري للأكاديميين
(نسب مئوية)

مكانة الأب	ذكر (العدد = ٨٥)	أنثى (العدد = ٢٥)
عالية	١٧,٥	٧٤
متوسطة	٦٤,٥	٢٦
دنيا	١٨	—
المجموع	١٠٠	١٠٠

$X^2 = 27.30$ $df = 2$ $P < 0.00$

جدول رقم (٥ ـ ٢)

العلاقة بين المستوى الثقافي للأب
والانتساب الجنسي (الذكورة والأنوثة)

المستوى الثقافي للأب	ذكر (العدد = ٨٣)	أنثى (العدد = ٢٥)
غير متعلم	٦,٠	٨,٠
تعليم قرآني	٢٠,٥	-
تعليم ابتدائي	٢٨,٩	٢٠,٠
تعليم ثانوي مستوى أول	٢١,٧	٢٠,٠
تعليم ثانوي مستوى ثان	١٠,٨	٢٨,٠
تعليم جامعي	١٢,٠	٢٤,٠
المجموع	٩٩,٩	١٠٠,٠

$X^2 = 11.50$ $df = 5$ $P < 0.04$

(جدول ٥ ـ ٣)

العلاقة بين المستوى الثقافي للأم
والانتساب الجنسي (الذكورة والأنوثة)
(نسب مئوية)

المستوى الثقافي للأم	ذكر (العدد = ٨٤)	أنثى (العدد = ٢٤)
غير متعلمة	٤٠,٥	٢٠,٨
تعليم قرآني	٣٢,١	١٦,٧
تعليم ابتدائي	١٣,١	٢٥,٠
تعليم ثانوي مستوى أول	٩,٥	٨,٣
تعليم ثانوي مستوى ثان	٤,٨	٢٠,٨
تعليم جامعي	—	٨,٣
المجموع	١٠٠,٠	٩٩,٩

$X^2 = 18.04$ $df = 5$ $P < 0.002$

جدول رقم (٥ ـ ٤)
العلاقة بين الانتساب الجنسي
وإمكانية استغلال القدرات في العمل كما يقدرها
الاكاديميون (نسب مئوية)

استغلال القدرات	ذكر (العدد = ٨٢)	أنثى (العدد = ٢٤)
استغلال عال	٧٦,٨	٤١,٧
استغلال متوسط	٢٠,٧	٤٥,٨
استغلال ضعيف	١,٢	٨,٣
استغلال منعدم	١,٢	٤,٢
المجموع	٩٩,٩	١٠٠,٠

$X^2 = 11.93$ $df = 3$ $P < 0.007$

جدول رقم (٥ ـ ٥)
عدد المنشورات موزع حسب
الانتساب الجنسي (نسب مئوية)

المنشورات	ذكر (العدد = ٨١)	أنثى (العدد = ٢٥)
عدد قليل	١٩,٨	٢٤,٠
عدد متوسط	٢٣,٥	٥٢,٠
عدد كبير	٥٦,٨	٢٤,٠
المجموع	١٠٠,٠	١٠٠,٠

$X^2 = 9.50$ df = .2 $P < 0.008$

الفصل السادس

إكتساب النفوذ(*) واستغلاله في المجال الأكاديمي

(*) النفوذ في هذا الفصل بالذات هو ترجمة لـ Power، وذلك لتجنب اللبس. أما السلطة فهي ترجمة لـ Authority. (المترجم).

«يتمتع اليوم كثير من المشتغلين في العلوم الاجتماعية بشهرة واسعة على الرغم من أنهم لم ينتجوا الشيء الكثير من المنظور العلمي، أو لم تكن لمساهمتهم العلمية أثر كبير في تطوير معرفة عصرنا. ذلك أن شهرة هؤلاء ترسو بشكلٍ عريض على نفوذهم الأكاديمي: فهم أعضاء في اللجان العلمية، وأعضاء في الهيئات المسيّرة، وباستطاعتهم أن يمنحوك عملاً أو منحة أو رحلة دراسية»[1].

«إن جوهر الوظيفة الاجتماعية للانتليجنسيا لا يكمن في معرفةٍ من صنف معقّد تضمن لصاحبها مكافأة على شكل نفوذ في مواقع معينة، بل يكمن في أن الانتليجنسيا تسعى للحصول على النفوذ والمكافأة لنفسها وذلك باستغلالها واحتكارها النسبي للمعرفة (المعقدة) التي تشكّل وسيلة من وسائل تحقيق الغايات المشار إليها. فجوهر المشكل لا يجب البحث عنه في المعرفة التي هي ضرورية من الناحية الوظيفية، بل يجب البحث عنه في الرغبة في إضفاء المشروعية على التطلعات نحو النفوذ»[2].

تتميز الرساميل التي يمتلكها الأكاديمي بتداخلها وبتبعية بعضها البعض في علّيتها، كما تتميز في بعض الأحيان بعدم وضوح الحدود في ما بينها. وفي نظر بورديو[3]، هناك ميزة أخرى لهذه الرساميل التي يدعم بعضها البعض الآخر. وهي قابليتها للتحويل، بحيث يمكن

---

(١) Charles Wright Mills, *Power, Politics and People* (New York: Ballantine Books, 1939), p.569.

(٢) George Konrad and Ivan Szélenyi, *The Intellectuals on the Road to Class Power*, translated by Andrew Arato and Richard E. Allen (New York: Harcourt Brace Jovanovich; Brighton: Harvester Press, 1979), p. 28.

(٣) Pierre Bourdieu, *Homo académicus* (London: Polity Press, 1988).

تغييرها واستبدالها عبر عملية التعويض[٤]. وتتطلب عملية التعويض هاته التي هي من ضرورات الحياة الفكرية، نوعاً من النفوذ، يكون مبدئياً موجوداً بكيفية متأصلة في الرساميل التي يمتلكها الفرد. ومع هذا لا بد أن يكون ذلك النفوذ معترفاً به ومصادقاً عليه ومحترماً من قبل الآخرين. وقد يحاول البعض ممن يملكون هذا النفوذ أن يجعلوا نفوذهم مؤسسياً وأن يضفوا عليه طابع «الكريزماتية»، وحتى أن يعطوه شكلاً من أشكال الاستبداد والأبوية؛ كل هذا ليجعلوا من نفوذهم النفوذ النموذج والمثال، وهم يرغبون من وراء كل ذلك أن يخلقوا من النفوذ سلطة تكون فيه وحوله، وذلك بتطويرهم أيضاً سمات الدوام والاستمرارية لسلطتهم وعدم إمكانية التحدي النسبي لها من طرف الآخرين[٥]. وهذا ضروري وحيوي للحفاظ على ما يمكن أن نسميه «التوازن الفكري الحيوي»[٦]. وبما أن أهمية النفوذ تتحدد بالبنية الكاملة للموقع الاجتماعي للحقل الأكاديمي، فسنبدأ أولاً بتحليل مختلف مكوّنات النفوذ.

يعتبر النفوذ واحداً من أقدم القوى الفاعلة في التجمعات الإنسانية، لما يمثّله كعنصر أساسي في تنظيم العلاقات الاجتماعية وهيكلتها، وفي تحديد هرمية التراتب الاجتماعي وتحديد القوى النشيطة فيه ـ سواء أكانت قوى خفية أم ظاهرة ـ وفي ارتباطاتها بالعلاقات الموجودة داخل المجموعة الواحدة أو بين المجموعات.

من الإشكاليات التي تواجه الباحث هنا، أنه عندما يقارب مفهوم النفوذ يجد أن هذا المفهوم يستعمل بصورة موازية أو مرادفة لمفاهيم أخرى كالتأثير، والضبط، والردع والقوة، والتهديد، والسلطة، والتبعية... إلخ. ومن التفسيرات التي أعطيت للنفوذ معنى يفيد ممارسة التأثير في الآخرين، كالتأثير في سلوكهم ومواقفهم. ويرى النفوذ، بالمفهوم الفيبري، كقوة يستطيع الفرد بواسطتها التحكم في رغبات الآخرين وتسييرها، وكذا صنع القرارات وتنفيذها، حتى وإن ووجهت تلك القرارات بالرفض وعدم الموافقة والمعارضة وعدم الرغبة[٧]. وقد يفيد النفوذ أيضاً، قدرة الفرد على الدفاع عن موقعه ووجوده الحيوي وحمايتهما من الآخرين، إما فرادى وإما جماعات، وذلك باستعماله قدراته المجمعة في الرساميل التي يمتلكها. وتمثّل المعرفة بالنسبة إلى الأكاديمي، بطبيعة الحال، واحداً من الرساميل التي

---

(٤) ومع هذا ففي الحين الذي يمكن فيه تحويل الرساميل الاجتماعية والرمزية إلى رأسمال اقتصادي، فإن هذا الأخير لا يمكن تحويله بكيفية مباشرة إلى رأسمال ثقافي وفكري.

(٥) Dennis Hume Wrong, *Power: Its Forms, Bases and Uses*, Key Concepts in the Social Sciences (Oxford: Basil Blackwell, 1979), p. 65.

(٦) M'hammed Sabour, *The Cultural Identification and Alienation of the Arab Intelligentsia: An Empirical Study on the Moroccan Educated*, University of Joensuu, Research Reports of the Faculty of Education, Sociology of Education; no. 9 (Joensuu: University of Joensuu, 1985), pp. 1 - 16.

(٧) Wrong, Ibid., p. 65.

يمتلكها. ومن هذا المنظور يقول غيدنز Giddens[8] إن استعمال النفوذ في التفاعل بين الأفراد يدخل فيه استغلال الإمكانات التي تمكّن المشاركين (في التفاعل) من خلق النتائج التي من شأنها التأثير في سلوك الآخرين. وتستخلص هذه الإمكانات من نظام الهيمنة الموجودة، كما يمكن تطبيق هذه الإمكانات المستخلصة، في الوقت نفسه، لخلق نظام هيمنة آخر.

لكن اعتبار النفوذ من هذا المنظور، يمثّل لنا النفوذ في مظهره الإجرائي الوظيفي فقط. لذا نحن مدعوون إلى طرح سؤال آخر عن محتوى النفوذ والأسباب التي أعطته هذه الصفة. فهل هناك صنف واحد من النفوذ، أم هناك صنوف كثيرة منه؟ وهل تحدد كل صنوف النفوذ وتحمل العناصر والقوى والقدرات نفسها؟ يمكن تمييز أشكال عديدة من النفوذ على أساس ما يحيط بكل منها من نشاط، فهناك مثلاً النفوذ الاقتصادي، والنفوذ السياسي، والنفوذ الثقافي. وليس القصد من هذه النعوت المضافة إلى الإسم الأصلي «نفوذ» إعطاء وصف له والتمييز بين أصنافه، ولكن القصد منها هو تخصيص أبعاده ومصادره والحقل الممارَس فيه. علاوة على ذلك، يتضمن هذا التخصيص تمثلاً بديهياً للوسائل والاستراتيجيات المستخدَمة من جانب من يخضعون لذلك النفوذ في مواجهتهم صاحبه أو أصحابه أو أولئك المتطلعين إليه.

ولهذا، فإنه يتعين على أي تحليل للنفوذ أن يأخذ في الاعتبار واقعه كعنصر يسود في ظروف معينة، التي إما أن تكون ثقافية وإما اجتماعية وإما فكرية... إلخ. ذلك أن الخاصيات الاجتماعية للميدان تؤثر في فعالية النفوذ بحيث يكون شكل معيّن من النفوذ فعالاً في مجموعات بعينها أو أفراد معينين، أكثر من أشكال أخرى. ففي كل حقل، يكون صنف خاص من النفوذ محمّلاً بأنماط مختلفة من المشروعية والاحترام والقبول والخضوع أو الكاريزما. ومن ثم: فإن كل هذه العوامل تجعل نسبية النفوذ كبيرة، وفي موضوعنا هذا، سنحدد النفوذ في الحقل الأكاديمي، في الإمكانات الموضوعة رهن الاكاديميين والإداريين «المثقفين البيروقراطيين» (Intellocrats)؛ نعني في هذه الدراسة بالمثقفين البيروقراطيين أولئك الأشخاص الذين يضعهم تكوينهم العلمي ومؤهلاتهم في صفوف المثقفين الاكاديميين، ولكن ولأسباب مختلفة: كالطموح والمصلحة، أصبحوا يحتلون مناصب بيروقراطية وإدارية في الجامعة ممّا أعطاهم نفوذاً خاصاً فيها. وهذا النفوذ إما مكتسب عن طريق الخبرة المطلوبة في الحقل الأكاديمي، وإما محقق عن طريق بلوغ موقع في المؤسسة الأكاديمية. وكما سبق أن أبرزنا ذلك في مكان سابق، فإن هذا النفوذ يؤثر في شكل العلاقات بين الأشخاص في بعديها العمودي والأفقي، تبعاً لمواقع الأشخاص في البنية الأكاديمية، وتأثير النفوذ في شكل العلاقات ناتج عما يشكّله النفوذ من بنية للتمايز معترف بها إما ضمناً وإما علناً.

وفي الممارسة الفعلية، لا يكون النفوذ دائماً، عارياً مفضوحاً، بل يكون خفياً تقنّعه أصناف شتى من التمايزات الرمزية والاجتماعية والإيديولوجية والعلمية، وما تنطوي عليه من

---

(٨) Anthony Giddens, *New Rules of Sociological Method: A Positive Critique of Interpretative Sociologies* (New York: Basic Books; London: Hutchinson, 1976), pp. 121 - 123.

هرمية أو هرميات، وتحدد ملكية الرساميل، التي هي من لوازم فعاليات النفوذ.

ومهما يكن الأمر، فإن فعاليات النفوذ لا تتعلق وحسب بمراكمة النفوذ ونوعيته، فهي أيضاً في الممارسة الفعلية تتطلب (نسبياً) درجة ما من الاعتراف والمشروعية والاعتقاد فيهما. علاوة على أنه يفترض مسبقاً وجود سوق أو حقل يمكن أن ينشط فيه (النفوذ) ويستمر ويمارَس. فالنفوذ لا يمكن تنشيطه هكذا في أي مكان وعلى أيّ كان وفي أيّ وقت كان. ذلك أن النفوذ يحتاج، بطبيعته وبما يخلق حوله من تمثلات وما يتبعها من تمايزات، إلى دعائم خاصة وإلى لعبة معينة وإلى مكان يكون فيه أكثر خصباً وإفادة وتصديقاً ومصداقية. ولهذا فإن أرباب النفوذ يبحثون، عن وعي، عن الحقل المناسب والأشخاص الملائمين الذين تكون ممارسة النفوذ عليهم أكثر جدوى.

ومن الطبيعي أيضاً أن يحاول أرباب النفوذ تجنّب كل الظروف والملابسات والميادين والأنشطة والجماعات (أو الأشخاص)، وغير ذلك مما يمكن أن يجعل نفوذهم موضع التحدي أو السؤال. أو ينقص منه أو يجعله مساوياً لنفوذ آخرين أو يكون فيه عرضة للمقاومة. وعلى سبيل التوضيح، نأخذ الكيفية التي يختار بها الأستاذ الأكاديمي مساعديه وجمهوره وناشره وأتباعه . . . إذ إن اختياره يتبع خط تقويم واعٍ يساير أبعاد نفوذه.

وبما أن الوجود العلمي لصاحب النفوذ الأكاديمي يرتبط ارتباطاً متيناً بنفوذه، فإن أي ضعف أو تنقيص يطرأ على ذلك النفوذ يمكن أن يحدث آثاراً بليغة في صاحبه أو على الأقل يؤثر في مكانته ومحترميه. ولهذا، فإن صاحب النفوذ يعمل دائماً على الحفاظ على نفوذه وعلى إعادة تأكيده والتشدد به على مصداقيته.

إضافة إلى هذا، يورد راڤين وكروغلانسكي (Raven et Kruglanski)[9] في تحليلهما السلوك، أن أي نفوذ يحركه صاحبه وينشطه يمكن أن يثير ثلاث ردات فعل محتملة يمكن إيجاز خصائصها في «ردة فعل تسير نحو» أو «ردة فعل تبتعد عن» أو «ردة فعل تسير ضد» صاحب النفوذ. وبعبارة أخرى، فإن صاحب النفوذ يحاول تنشيط نفوذه بطريقة تجعل «الهدف» المقصود بالنفوذ يتحرك إلى أقصى حدٍ ممكن «نحوه». ذلك أن «الهدف» إما يستوعب النفوذ ويخضع له وإما يترك المكان ويبتعد عن صاحب النفوذ، وبذلك يتجنب الحالة القصوى الثالثة وهي السير ضد صاحب النفوذ، وإذا حدث وسار «الهدف» ضد صاحب النفوذ المنشط له، فعلى هذا الأخير أن يكون في موقع مستعداً فيه للرد، أو أن تكون ردة فعله جاهزة لمواجهة ردات فعل الآخرين، بحيث يكون نفوذه عرضة لردات فعل متحدية.

ويتضح من هذا أن على صاحب النفوذ أن يكون واعياً وعياً تاماً قوة نفوذه وفعاليته، مثلاً أن يكون واعياً بقيمة رأسماله التي تشكّل قاعدة نفوذه. فصاحب النفوذ العلمي أو النفوذ البيروقراطي (Intellocratic)، تنفعه معرفته بتمثلات الآخرين ـ سواء في حقله العلمي الذي

---

(٩) B.H.Raven and A.W. Kruglanski, «Conflict and Power,» in: Paul G. Swingle, ed., *The Structure of Conflict*, Social Psychology (New York: Academic Press, 1970).

يعمل فيه أو الحقول القريبة منه ـ لنفوذه، حتى أن يكون في موقع يستطيع منه تقويم أفعالهم وردات أفعالهم. ونتيجة معرفته تلك يمكن أن يقنعهم بعدم تحدي موقعه أو يردعهم عن القيام بذلك. وهذه التقويمات التي يكوّنها الأكاديمي لحقله العلمي أو للحقول الأخرى، تكون متأثرة بـ «هابتوس» الشخص وتمثلاته والواقع المسيطر في السياق الذي يعيش فيه، وهذا التأثير حادث سواء وعاه الأكاديمي أو لم يعِهِ.

«إن بعض الناس في الوسط الجامعي حصلوا على نفوذ سمح لهم بممارسة نوع من الاستبداد الفكري، فلا شيء صالح في أعينهم ولا قيمة لأي شيء ما لم تكن له قيمة من مفهومهم الخاص... فإننا نشعر كما لو انهم يريدون أن يقولوا لنا: «أنا الجامعة»».

(أستاذ/ كلية الطب).

«يمكن تقويم الأكاديمي بإنتاجه العلمي وقيمة ذلك الإنتاج، أما غير ذلك فهو محض مضاربة وانتهازية، خاصة عندما تأتي من أولئك، علمياً، ممن يضعون كل الحقائق والوقائع موضع تساؤل...

فإذا حدث ووجد هؤلاء أنفسهم في الوسط الأكاديمي بمحض الصدفة أو الحظ، فإن عليهم إن أرادوا أن يستمروا في البقاء في الجامعة أن يستعملوا الوسائل العلمية والفكرية المعروفة وإلا فهم غير أهل للبقاء... يجب عليهم أن يعترفوا بعجزهم الفكري وأن يعمدوا إلى البحث عن عمل في مكان آخر. فنحن نمارس هنا العلم، وسنبقى محافظين على هذا النهج ما دمت هنا».

(عميد وأستاذ).

وهناك صنف آخر من النفوذ العلمي لا يحتاج إلى سلطة لإقامته ولا إلى اعتراف رسمي به. فهذا النفوذ يوجد ويتأسس، وحسب، بناء على قدرة صاحبه في اكتسابه من أفكاره وإبداعه الفكري وما يحصل عليه من اعتبار واحترام ومراعاة وشهرة، ويوجد هذا النفوذ الرمزي، وحسب، في أعين الآخرين ويبقى محدوداً وغير واضح نسبياً.

ومن بين العوامل الأكثر أهمية في تحديد فعاليات النفوذ العلمي والفكري معرفة السلطة المرتبطة بالنفوذ ومعرفة أبعادها ومصادرها. وسلطة الأكاديميين ـ التي هي إما سلطة رمزية وإما سلطة مؤسسية رسمياً وإما السلطتان معاً ـ في درجة ما يحققه الأكاديمي من إنجاز علمي ومحترمية.

«عندما قدمت إلى هذه الجامعة، قبل سنوات قليلة، كان الوضع التعليمي والتنظيمي فيها في حالة يرثى لها. وقد استعملت كل مؤهلاتي وخبراتي الشخصية ومساعدة الوزارة، لتغيير الصورة الأكاديمية لهذه الجامعة».

(رئيس جامعة ـ عالم اقتصاد مشهور وأستاذ سابق، وهو من أسرة معروفة يحتل أفرادها مناصب رئيسية في مختلف الإدارات الحكومية).

والفقرة التالية مأخوذة من تصريح أستاذ مساعد من الجامعة نفسها يتحدث فيه عن رئيس الجامعة المشار إليه:

«نعم، إنه أستاذ قدير وإداري محنك، وهو أمر نادر في أيامنا هاته، ولكن له في الوقت نفسه سمات «المستبد» التي يمكن لحظها في طريقة اتخاذه القرارات وفي فرض وجهة نظره في كل شيء، وهو بأصله ونفوذه الإداري يمكنه أن يفعل ما يريد».

(أستاذ مساعد/ الاقتصاد).

ومن هذا المنظور، فإنه مهما بلغت أهمية النفوذ وقوّته وأبعاده، فإنه لا يمكن أن يصل إلى مستوى فعال نشيط إلا عبر اكتسابه شكلاً من أشكال السلطة التي تحدد مكوّناته وامتيازاته ومجال عمله وتحدد درجة تقبُّل الناس له واستحسانه. وتحتاج السلطة بدورها في ممارستها وسريانها الرسمي، إلى نوع من الشرعية، بحيث تكون تلك السلطة معروفة ومعترفاً بها ومؤسسة، أي أن يتوافر لها كل ما يُبنى عليه وجودها أو (Raison d'être)، وتتلازم مع هذه الشرعية كفاءة الأكاديمي صاحب السلطة المشروعة بحيث تصبح سلطته قائمة بها ويصبح معروفاً كقائم بها، يتمتع بكل ما تمنحه إياه من حقوق ووجاهة واعتبار واستعمال أو استغلال لتلك السلطة، (ويتمثل هذا النفوذ مثلاً في ما يقوم به صاحب النفوذ الأكاديمي من تقويم لقدرات الآخرين وكفاءتهم العلمية، إذ يكون مشروعاً في إطار سلطته إضفاء المشروعية على زملائه المتطلعين إلى السلطة العلمية أو ازاحتها عنهم). في ما يتعلق بالحقل الأكاديمي العربي، فإن هذه السلطة المشروعة تعطى في الغالب مكانة مبهمة، وعدم الإبهام هذا نتيجة مباشرة للسياق السوسيو ـ سياسي الذي بطبعه عدم الاستقرار والشك[10].

ويمكن اكتساب هذه السلطة، بدرجات متفاوتة، وكذا يمكن، منحها ورفضها وإلغاؤها، بحيث يتم كل هذا تبعاً، لمقتضيات التأويل الذي يعطى لها، والسياق الذي توجد فيه، والأفراد المعنيين بها، وكذا تبعاً لمقتضيات النموذج الإيديولوجي السائد في المجتمع. وقد ثبت بدلائل كثيرة أن النفوذ قليلاً ما ينعم بالاستقرار والاسترسال والدوام، إضافة إلى أن السلطة تتسم بسمات لا عقلانية، وسماتها هاته تؤثر في الاحترام الذي تحظى به، وفي هذا يقول دوركهايم، إن «احترام السلطة ليس بأي حال، غير مطابق للعقلانية، ما دامت السلطة مبنية على أسس عقلانية»[11]. ولكن عندما تنعدم الأسس العقلانية هاته، كما هو الحال في كثير من أشكال السلطة في المجتمع العربي، فإن سلطة المعرفة به توجد، ويستمر بقاؤها في وضع متقلب وغير أكيد، ذلك لأن من الصعب التنبؤ بما سيحدث في السياق الإجتماعي العربي. والمشروعية فيه

---

(١٠) حوالى نصف البلدان العربية يحكمه ضباط عسكريون. وقد عرفت البلدان العربية منذ الثلاثينيات إلى اليوم ٢٥ انقلاباً عسكرياً ناجحاً وانتهت ٥٠ محاولة انقلابية بالفشل. بالإضافة إلى هذه الانقلابات، يعرف الوطن العربي، بصفة دورية، انتفاضات ذات أبعاد اقتصادية وعرقية وجهوية وسياسية. وهذه الانتفاضات أدت بالحكومات العربية إلى اتخاذ اجراءات خاصة لمنعها مما يتسبب في خلق مناخ من عدم الاستقرار والثقة. انظر في هذا الصدد: حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤)، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢.

(١١) Emile Durkheim, «Individualism and the Intellectuals,» in: R.N. Bellah, ed., *Our Morality and Society* (Chicago, Ill.: University of Chicago Press, 1973), p. 49.

غير واضحة، والواقع مرتبط بخاصيات هرم النفوذ، وتوزيعه في الوطن العـربي. لذا يتـطلب منا أن نقوم بتحليل أنماط المحترمية التي يتطلع الأكاديمي العربي إلى اكتسابها، وأيضاً الوسائـل والاستراتيجيات التي يستخدمها للوصول إليها، وهذا ما ننـوي القيام بـه في الفصل الـلاحق باستعمالنا مقاربة نظرية وامبريقية.

الفصل السابع

المحترمية» والسلطة

«المجتمع هو تحابك وتفاعل الذوات الفكرية. أنا أتصور عقلك، وبخاصة ما يفكر فيه عقلك بالنسبة إلى عقلي، وما يفكر فيه عقلك بالنسبة إلى ما يفكر فيه عقلي بالنسبة إلى عقلك. إني أقيم فكري إزاء فكرك وأتوقع أن تقيم فكرك إزاء فكري»[1].

«إن الرجال التواقين لنيل رضا أمير يتقدمون له، في كل الأحوال تقريباً، بالأثمن مما في حوزتهم، أو بالأشياء التي يعلمون أنها تسعده بوجه خاص... والآن، أنا تواق لأن أتقدم لعظمتكم بشاهد على اخلاصي لكم. أمور درستها بدأب شديد، ومحصتها لزمن طويل، والآن بعد أن لخصتها في كتاب صغير، أرسلها لفخامتكم»[2].

أولاً: إكتساب «المحترمية»

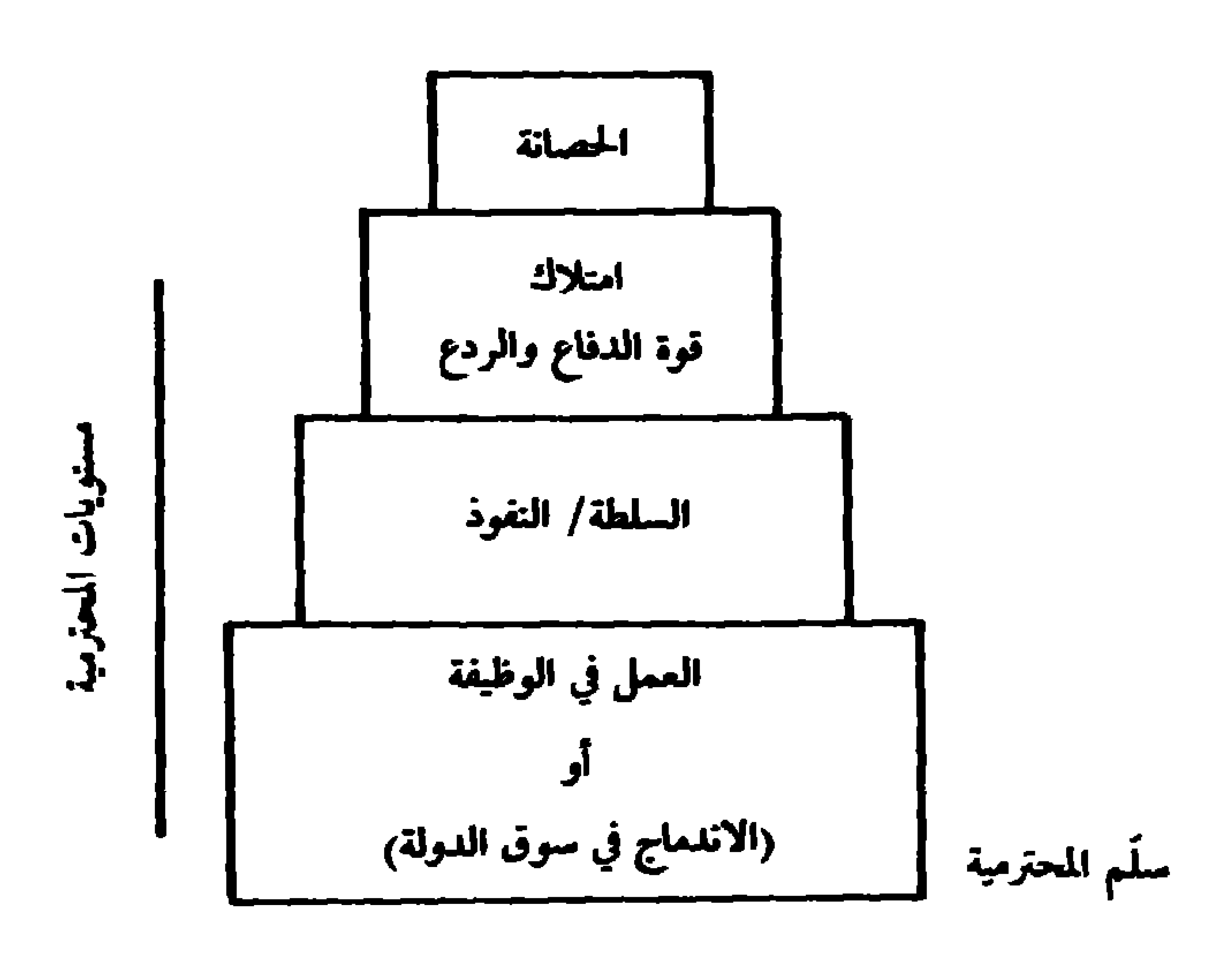
تتحدد سلطة المعرفة، شأنها شأن أي شكل آخر من السُلَط، بعوامل اقتصادية وثقافية وسياسية، والمراد هنا تلك التي تسود منها في المجال الأكاديمي. وبما أن هذه العوامل، في المجتمع العربي ككل، يطبعها التقلب وعدم الاستقرار، فإنه من البديهي أن يسعى أرباب السلطة والنفوذ في هذا المجتمع إلى تعزيز سلطتهم ونفوذهم، والزيادة فيهما، والحفاظ عليها. ومن هنا، فإن الأكاديمي، كصاحب سلطة، يستثمر كل رساميله في السوق الأكاديمي والاجتماعي ليحصل على أقصى ما يمكن اكتسابه من احترام ومراعاة وتقدير، وهذا ما نطلق

---

(١) Charles H. Cooley, *Life and the Student* (1927), and Alfred A. Knopp in: Lewis A. Coser, *Masters of Sociological Thought: Ideas in Historical and Social Context* (New York: Harcourt Brace Jovanovich Publishers, 1971), p. 306.

(٢) Niccolo Machiavelli, *The Prince*, translated, with an introduction by George Bull, The Penguin Classics; L 107 (Harmondsworth, Eng.; Baltimore, Mad.: Penguin Books, 1961), pp. 29 - 30.

عليه مصطلح «المحترمية» وما نقيسه بمقياس ندعوه «سلّم المحترمية» (Scale of respectability). ونعني بالمحترمية هنا تلك الخاصيات التي تكون للأكاديمي وتظهر في ما ينعم به من سلطة ونفوذ وتشريف في وسط معين أو فئة معينة أو في المجتمع ككل.



ويمكن تحقيق المحترمية في المجال الفكري والعلمي إما عن طريق الاستحقاق العلمي والجدارة الفكرية، وإما عن طريق الفرض التحكمي. واعتباراً منا لسياق المجتمع العربي وخصوصياته، فقد جعلنا سلّم المحترمية في أربعة مستويات، مع وعينا التام ما يوجد من اختلافات في سلطة الوظائف التي يتقلدها الأفراد وفي أبعادها وفي العلاقات وما تحمله كل واحدة منها من مغزى. يقع في أسفل السلّم كل المنخرطين في العمل الحكومي، أو من يمكن أن نسميهم العاملين في سوق الدولة، إذ من المفروض عندما يعين شخص ما في عمل وظيفي معين في المجال الأكاديمي، أن يكتسب مستوى من المحترمية (كأن يُقبل أو يوظّف في حقل معرفي على أساس المباراة أو الشهادة). ويمثل هذا الدخول إلى المجال الأكاديمي المستوى الأول في سلّم المحترمية، لأن جل الأكاديميين يتمتعون بسلطة أو نفوذ ما في إطار ما يمنحه منصبهم الأكاديمي:

«عادة ما يُنظر إلى الأستاذ الجامعي كمجرد موظف حكومي، وهذا وضع لا يرضيه، فهو يريد استقلاله كباحث، ومهما يكن، فمن الأفضل له أن يكون أجيراً عند الدولة، على ألّا يكون له أي شيء، بسبب البطالة المتفشية بين الجامعيين».

(مساعد/ العلوم السياسية).

«لا خير في التعليم، ولكنه يمثل الملاذ الوحيد بالنسبة إلى الكثيرين، وخاصة المتخرجين في العلوم الإنسانية والاجتماعية. فهناك الكثير ممن ليست لهم طموحات علمية أو كفاءات علمية، وعملهم كأساتذة يرددون فيه أفكار الآخرين، يخفي عيوبهم ويضمن لهم الاندماج في سوق الدولة، فخارج هذا السوق لن يستطيعوا البقاء».

(محاضر/ الهندسة الزراعية).

ويلي هذا المستوى، المستوى الثاني الذي يجمع فيه الأكاديمي، إضافة إلى نفوذه وسلطته الأولين، سلطة أخرى تخوَّل له في حقل معرفي معين، وتنطوي هذه الإضافة على صنف من النفوذ والسلطة والتأثير:

«كل شيء في المجتمع العربي ينبني على السلطة في مظهريها الإيجابي والسلبي، فالسلطة في الأسرة، في المدرسة، في الإدارة. . . وهنا في الكلية توجد بنية هرمية للسلطة. وتقاس قوة هذه السلطة بما يكون لك من تأثير ونفوذ على من هو حواليك وعلى كل ما يرتبط بوضعك».

(مساعد/ العلوم الاجتماعية).

أما المستوى الثالث في سلم المحترمية، فيبلغه الأكاديمي عندما يكون باستطاعته الدفاع عن موقعه. ففي هذا المستوى يكون معروفاً ومعترفاً به كأستاذ له من الكفاءات العلمية ما يمكّنه من الدفاع عن نفسه أو ما يمكّنه من رد الهجوم عليه، وبعبارة أخرى يصبح ممتلِكاً وسائل «الردع» العلمي التي تكفيه ردّ التحدي، أو كما يقال في المثل العربي «يكيل الصاع صاعين»:

«أنت تعرف الدكتور م. . .، فبعد رجوعه من انكلترا، كان له من الشجاعة، أو قل من الطيش، ما جعله ينتقد واحداً من كبار المثقفين عندنا؛ فهذا الشخص بالإضافة إلى نفوذه الأكاديمي الواسع كان واحداً من محميّي النظام. لقد عانى الدكتور م. . . من جراء ذلك وضعاً صعباً، وبعد سنة عاد إلى أوروبا، قائلاً إنه لا يستطيع العيش في هذا «الغاب» الأكاديمي».

(محاضر/ علم النفس).

«عندما التحقت بهذه الكلية، قابلوني ببرودة. . . ووضعوا، بغير حق، بعض مفاهيمي العلمية موضع تساؤل. . . وكنت وقتها مجبراً على القيام بحملة مضادة في وجه من انتقدوني. . . بل كنت مضطراً إلى تطوير نظريات جديدة لتدعيم أفكاري. . . وحاولت أكثر من ذلك أن أثبت للكثيرين من أولئك النقاد أنهم إما كانوا على خطأ وإما أنهم أخطأوا في فهم أفكاري ومفاهيمي».

(أستاذ/ الفلسفة).

ويأتي التحدي (وقد يتمثل في النقد أو التدخل في الأمور العلمية أو الإدارية الخاصة) من أشخاص من الحقل الأكاديمي نفسه أو من خارجه أو حتى خارج المجال الأكاديمي (كالدوائر السياسية). وفي هذا المستوى يكون الأكاديمي صاحب السلطة في وضع مزوداً فيه بأسلحة الدفاع عن النفس أو حمايتها علمياً وفكرياً، إذا صحت هذه الاستعارة من القاموس العسكري. وبعبارة أخرى يكونُ في مستوى أو موقع يمكنه فيه من ثني أي كان عن القيام بأعمال تسيء الى سمعته أو تضع وجوده العلمي موضع تساؤل.

ويمثل المستوى الرابع في المحترمية، المستوى الذي يصل فيه الأكاديمي إلى موقع لا يمكن مسّه فيه أو التجرؤ علمياً عليه، ويحقق فيه قدراً من الاحترام، لا بالنسبة إلى نفسه وحسب، ولكن بالنسبة إلى من هم معه في الحقل الأكاديمي وحتى خارجه في حقول أخرى.

وتؤسس الصورة التي تكون للأكاديمي في هذا المستوى على مكانته العالية وما يحظى به من تقدير واعتبار ومراعاة، بحيث إن السلطة في هذا المستوى تعطي صاحبها نوعاً من «الحصانة»[3]:

---

(٣) اننا على وعي تام بأن تبنِّي واستعمال هذا المفهوم له حدود واضحة. وخاصة عندما يؤدي هذا الاستعمال إلى اثارة ظواهر النشاط الإنساني أو إلى ان يوضع فيها. ففي هذه الحال لا بد أن يؤدي استعمال مفهوم كمفهوم الحصانة إما إلى خطأ في الفهم وإما إلى اشراك معانٍ قد تكون بعيدة عن المعنى المراد. ولهذا السبب أردنا أن نوضح في بضعة أسطر المراد بالمفهوم وكذا تحديد الطريقة التي وظّفت بها مثل هذه المفاهيم في بحثنا هذا. وإذا كان هذا مفهوم الحصانة الذي استعمل في الأصل في العلوم الطبية ومنها انتقل إلى المجالين القضائي والسياسي حيث استعمل بصورة مجازية، فإن لهذا المفهوم غايات أخرى كالتي نجدها مثلاً في الاستعمال الدبلوماسي.

وبالنسبة الى المجال الأكاديمي، يمكن التمييز بين ثلاثة أشكال من الحصانة على الأقل: أولها الحصانة المؤسساتية التي تقام ويُعتَرف بها وتجد الحماية من طرف الدوائر الرسمية (سواء منها الدولية أو الوطنية) ـ كالتوصية الدولية الصادرة عن اليونسكو:

UNESCO, «Recommendation on the Status of Scientific Researches,» ***International Social Science Journal*****, vol. 27, no. 4 (1975), pp. 612 - 627.**

ويحافظ هذا النمط من الحصانة على صلاحياته واحترامه، ما دام النموذج الذي أنتجه والشخص المعني بالحصانة يحترمان الشروط والمبادىء المنصوص عليها. ولهذا الصنف امتيازات عالمية تخرج عن نطاق السياق المحلي.

الصنف الثاني من الحصانة وهو الصنف المرتبط بالتقاليد، إذ تقام هذه الحصانة ويُعتَرف بها وفقاً لمقتضيات التقاليد. ذلك أنها تؤسس على الاعتراف الضمني أو الصريح الذي يتخذ شكله من تفاعلات اجتماعية وثقافية معينة. ويتعلق بكيفية خاصة خرق هذه الحصانة وتعدّيها بمستوى الاحترام والاهمية الذي تحظى به التقاليد عند الشعب المعني، ومدى ما تمثله بالنسبة إليه، أي ذلك الشعب الذي يُطلب منه احترام تلك التقاليد أو هو متوقع أن يفعل كذلك، وأيضاً اولئك المعنيين بالحصانة المتمتعين بها أو كل من هو على صلة بها بواسطة الرموز والقواعد.

وأخيراً الصنف الثالث، وهو نسبي وسياقي، ينشأ في ظروف زمانية ومكانية معينة، أي يظهر في وسط معيّن وفي ظرف تاريخي محدد، ويتم الاعتراف النسبي به من قبل مجموعة خاصة أو دائرة معروفة من الافراد. وحصانة هذا الصنف يمكن أن تمنح كما يمكن أن تفرض في ظروف معيّنة. وتتعلق قوّتها واستمرارها وبقاؤها تعلقاً تاماً بسلطة مانحها وحاميها ومكانته أكثر مما تتعلق بشخصية متلقيها وامتيازه ومشروعيته في الحصول عليها. والواقع أنه يمكن الحصول على هذه الحصانة بوسائل قد تعارض سياسياً واجتماعياً روح التقاليد والمؤهلات الواجب توفرها في من يريد الحصول عليها. وعادة ما يُلصق بهذا الصنف من المشروعية تهم انعدام المشروعية وتتسم بالصراع. ويحاول الأكاديمي عبر هذا الصنف من الحصانة الوصول إلى مستوى من المحترمية في موقعه وضمن الحقول الأكاديمية المختلفة. يضاف إلى هذا انه يحاول الحصول على اعتراف البيروقراطية الانتلوقراطية، ولذا فان غاية ما يسعى إليه هو إضفاء سمتي الدوام والمناعة لموقعه.

ولا تعني الحصانة بالنسبة إلى الأكاديمي نوعاً من التأليه لذاته أو تجسيماً للمكانة في شخصه، فالملاحظ أن الحصانة تكون في حالة تبعية. إذ يمكن أن ينتقد الأكاديمي المتمتع بالحصانة، كما يمكن أن يختلف معه في الرأي، الا أنه لا يمكن مساءلة موقعه أو رفعته، لأن السلطة التي وصل إليها تمكّن منها عبر مراكمة عدد من الرساميل (الثقافية والإجتماعية والرمزية). فهو يتمتع بتلك الرفعة وسمو المكانة، ذلك لأنه يعمل في كل المجالات القريبة =

«تعلم أن الأستاذ س. . . مثقف بارز وعلم من أعلام الثقافة في هذا البلد، فهو سلطة علمية في ميدانه. ونادراً ما يتجرأ أحد فينتقد مؤلفاته، بل إن المراجعات التي قرأتها لحد الآن عنها، مليئة بالتقريظ وحذرة في نقدها. . . لعلك تعرف أيضاً أنه معروف على الصعيدين الوطني والدولي، ومعترف به واحداً من الباحثين العرب الرواد في جيلنا هذا. . .

. . . في بعض الأحيان تُنقد نظرياته، وفي هذه الحال، يأتي النقد من أشخاص في مثل معرفته وشهرته، كالأستاذ ك. . . والأستاذ ع. . .».

(محاضر/ التاريخ).

وقد تحمي هذه الحصانة صاحبها من التدخل والقمع السياسيين:

«عندما اعتُقل الأستاذ ل. . . أخبرنا زملاءه وأصدقاءه في الجامعات الأوروبية. وهكذا أطلق سراحه خلال يومين وحسب. النظام عندنا حساس لضغط العالم الخارجي، خاصة عندما يتعلق الأمر بأشخاص ذوي نفوذ ومكانة عاليين. . .».

(أستاذ/ الاقتصاد).

«قبل هجرتي إلى أمريكا الشمالية، كنت معتقلاً هنا. . . وبقيت هناك ثماني سنوات في شبه «منفى». . . وبعد التغييرات السياسية التي حصلت هنا، استجبت لطلب تلقيته من وزارة التربية وعدت. بعد ذلك، تدهورت الأوضاع من جديد، اتخذت على إثرها موقفاً مناهضاً ومنتقداً للسياسة التعليمية والنظام السياسي. . . وفي هذه الأثناء، رغم ما تلقيته من إنذارات، تردد النظام (في اعتقالي) وكان حذراً في تعامله معي. وأنا مدين في حريتي لشهرتي العلمية وللاحترام والتقدير اللذين أحظى بهما في منظمات دولية مختلفة. . .».

(أستاذ/ الفيزياء).

والجدير بالذكر أن الحصانة الناتجة عن الشهرة العلمية قليلة جداً في الأوساط الأكاديمية العربية، ولو بلغ البعض مستوى الحصانة، فهو لا يطمع في دوامها واسترسالها إلى الأبد، بل إن هذه الحصانة يمكن أن تُخلَع عنه بعد وفاته:

«قبل قيام الثورة الحالية (وما تبعها من تغيّر في التوجه السياسي) كانت أفكار الأستاذ. . . مرجعاً لكل ما يُكتب ويقال. فقد كان واحداً من كبار المنظّرين والإيديولوجيين للنظام القديم. . . ومضت سنوات على وفاته قبل أن يتجرأ القليلون على انتقاد أفكاره. أما اليوم، فَقَدَ فكره سلطته ونفوذه، وشُطب اسمه من الكتب المدرسية والجامعية. . . وحتى من كانوا من

= والبعيدة على تحسين صورته والرفع من شأنها. فهو لا يمكن أن يُعزل من منصبه أو أن يُفرض عليه سلوك معيّن دون أن يكون ذلك عرضة مواجهة مشكل السير ضد تيار النموذج أو خطر الوقوع في صراع مفتوح مع المصدر المانح للحصانة التي يتمتع بها الشخص. وبعبارة أخرى، إن كان الشخص المحصَّن عرضة للنقد، فهو في الوقت نفسه يحافظ على موقع لا يمكن مسّه فيه نسبياً. ومع هذا ينطوي هذا الصنف على أخطار، فإذا كانت رفعة الأكاديمي وحصانته مرتبطتين بدعم أشخاص معينين أو مجموعة من الافراد أو بالنموذج بعينه، فمعناه انه عندما يلحق الضعف بمؤيديه ومانحيه الحصانة أو ينهار النموذج الذي أنشأ تلك الحصانة وفرضها في المرة الأولى، فان ذلك ينعكس سلباً على المتمتع بالحصانة ويعاني من جراء ذلك. ولذا، فإن الحصانة مؤقتة وعرضة للتغير ويمكن القضاء عليها.

أتباعه وأنصاره المتحمسين في السابق، يتقدونه اليوم نقداً لاذعاً خوفاً من إقالتهم من أعمالهم. والإشارة اليوم إلى افكاره لا تلقى أي اعتبار أو تقدير في الأوساط العلمية».

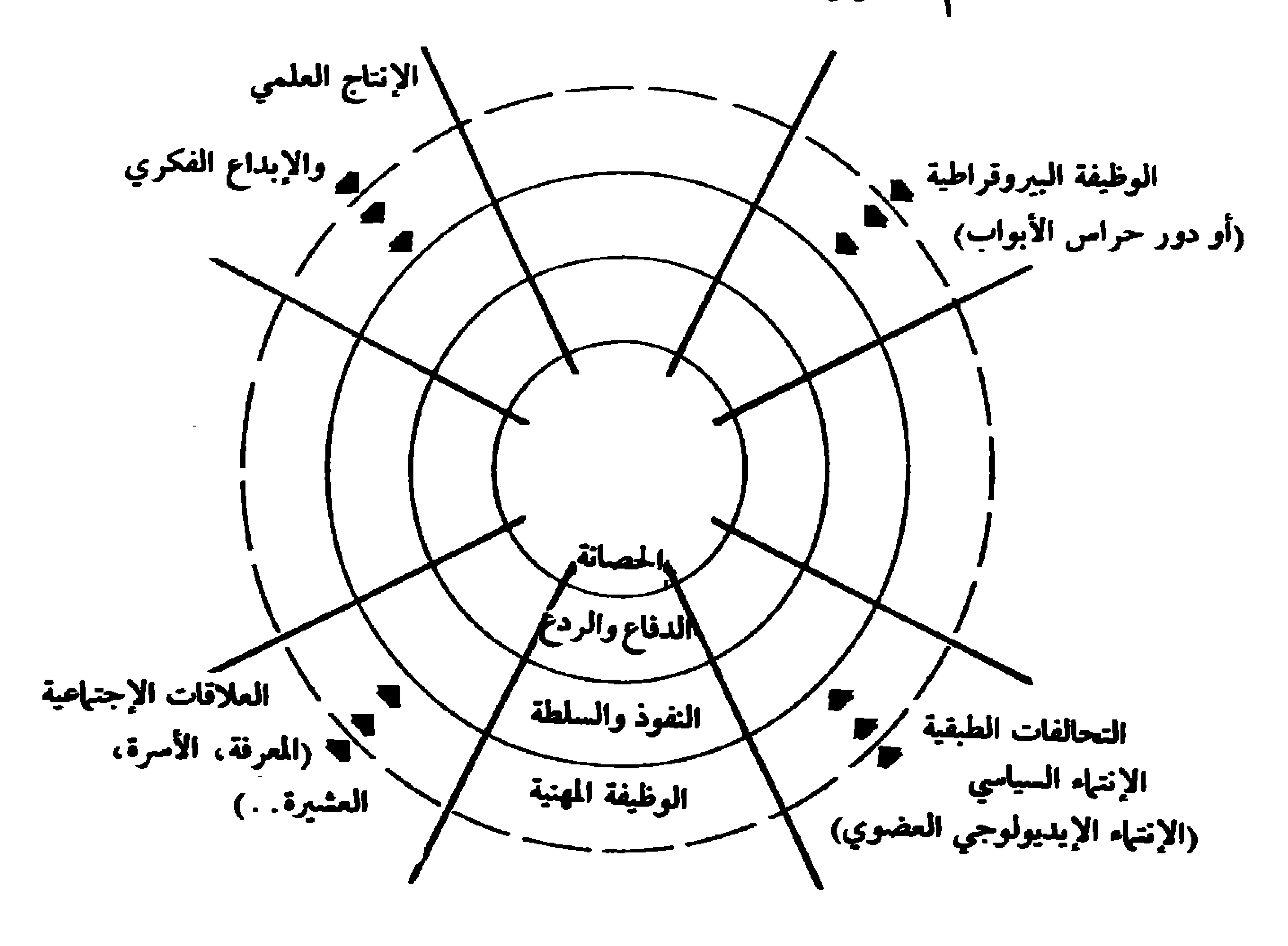
(أستاذ/ علوم التربية).

بعد عرض مستويات المحترمية، يبقى لنا أن نتساءل عن الكيفية التي يكتسب بها الأكاديمي نفوذه وسلطته التي توصله إلى مستوى في سلّم المحترمية، وكذا عن الوسائل والاستراتيجيات التي يتخذها لبلوغ هذه الغاية، وهذا هو موضوع الفقرة اللاحقة.

ثانياً: الوسائل والاستراتيجيات

أكدنا في ما سبق أن السلطة في سياق المجتمع العربي، يمكن أن تصبح سلطة مؤسساتية ويمكن أن تنزع عنها هذه الصفة، كما يمكن أن تحوَّل للشخص (أي السلطة) أو تُنتَزع منه. ومن هذا المنظور، اخترنا التأكيد، في ما يخص المجتمع العربي ومجاله الأكاديمي الذي يهمنا، على أربع وسائل يستعملها الأكاديميون في اكتساب النفوذ والسلطة والحفاظ عليهما والبلوغ بهما أقصى ما يمكن بلوغه. والشكل المرفق رقم (٧ - ١)، يوضح مستويات المحترمية وعلاقاتها بالوسائل المستعملة لبلوغ مستوياتها، وما يخوله كل مستوى من نفوذ وسلطة. وهذا ما حاولنا أيضاً توضحيه بتفصيل في الجدول رقم (٧ - ١).

شكل رقم (٧ - ١)
سلّم المحترمية واستراتيجيات الوصول إلى السلطة



١ ـ الإنجاز العلمي والفكري

اكتساب الشهرة العلمية والفكرية، وما يرتبط بها من سلطة ونفوذ، يعتبر من الوسائل الأولى المتوافرة للأكاديميين لبلوغ مرتبة في المحترمية، وذلك عبر الإنتاج المعرفي والإبداع الفكري اللذين يشكلان القاعدة الأساس التي يحدد بها الشخص الحامل صفة الأكاديمي. وهكذا، فإن الرأسمال المعرفي يقاس أولاً بما يحمله الأكاديمي من شهادات وألقاب علمية وغير ذلك مما يرتبط بها، ويقاس ثانياً بكمية الانتاج وكيفه وتنوعه وأصالته وإبداعيته، كلاً بمعايير تناسبه.

وبما أن المجال الأكاديمي هو في الأصل مكان لنقل المعرفة وتطبيقها، فإنه من المتوقع أن تكون المعرفة مهمة في ترقية الأكاديمي وتسلّقه الدرجات. لكن الأمور لا تنهج دائماً هذا النهج، لما يعرفه المجال الأكاديمي من تغير مستمر يتمثل من جهة أولى في تغيّر العلاقات بين الأشخاص العاملين فيه وعلاقات تعايشهم فيه، وتتمثل من جهة ثانية، في تغير العلاقات بين الأساتذة والإدارة أو السلطات السياسية، بما تعطيه هذه الأخيرة، مثلاً، من تفضيل في سياستها لهذا الحقل المعرفي أو ذاك. إضافة إلى عامل الظرف التاريخي الراهن الذي وصلت إليه التنمية في المجتمع العربي، والذي تشدد الحاجيات فيه على ميادين علمية معينة (كالعلوم التقنية والدقيقة) دون أخرى. وهذا التشديد يؤثر في ميكانيزم العرض والطلب في السوق الأكاديمي، ويخلق نوعاً من المفاضلة بين العاملين في مختلف حقول المعرفة. ويجعل هذا العامل الأخير قيمة الرأسمال المعرفي نسبية عند اتخاذه وسيلة لاكتساب السلطة والنفوذ، ويجعل ذلك الرأسمال غير كافٍ وحده.

٢ ـ الإنتماء السياسي والتحالفات

هناك وسيلة أخرى يمكن الأكاديميين استعمالها لبلوغ النفوذ والسلطة، وتتمثل هذه الوسيلة في التحالف الطبقي أو الانتماء السياسي، وهي قناة معروفة ومعمول بها في المجتمع العربي وفي مجتمعات أخرى. وتمثّل الجامعة والعاملون فيها، تاريخياً، مجالاً محورياً في المجتمع، إذ كانت الجامعة وما تزال من المراكز الأكثر تسيساً والأكثر حساسية في هذا الباب. ومع ذلك، فإن تسيس هذا المجال محدود جداً في السياق العربي. وإذا ما وجد نشاط سياسي أو انتماء سياسي نشيط في الدوائر الأكاديمية فهو في أكثر العلاقات موالٍ للنموذج السياسي الحاكم. إضافة إلى هذا، يعتبر المجال الأكاديمي في البلدان العربية، من الناحية السياسية الرسمية، مجالاً غير متسيس: فمراقبة الدولة فيه قوية إذ إنها تحرص على إبعاد الجامعة عن السياسة وإبقاء الطلبة والهيئة التعليمية بعيدين عن الانخراط في النشاط السياسي. ومتى وجد نشاط سياسي، فيجب أن يكون مسايراً إما علناً وإما ضمناً للمؤسسة الرسمية (هذا بالطبع مع استثناءات قليلة في هذا البلد أو ذاك). يضاف إلى هذا أن السلطات الرسمية تملك سلطة التدخل في نشاط الأكاديميين، وإذا دعت الضرورة تعمل على تشتيت مجموعات الأكاديميين التي تشعر بتضامن نقابي بينهم أو بتضامن سياسي بينهم داخل الجامعة أو مع قوى سياسية

خارجها. وهنـاك طرق شتى تلجأ إليها السلطات السيـاسية في هـذا الصدد، كـأن تستعمل المحسوبية في ترقية البعض دون الآخرين، وغيرهـا من الوسـائل التي تخلق الشنـآن والصراع بين الأكاديميين، الأمر الذي يضعف نشاطهم في بُعديه الأفقي والعمودي.

ويقام التحالف السياسي إما بدافع الميول الشخصية للفرد، وإما بدافع الضرورة، وإما بدافع الرغبة في الترقي. ونقصد بالميول الانتـماء إلى تيار سيـاسي عن اقتناع ورغبـة، في حين نعني بالضرورة عندما يكون الشخص في وضع لا خيار له فيه ويكون مرغماً بكيفية مبـاشرة أو غير مباشرة على الاندماج في النمط السياسي السائد. أمـا التحالف بـدافع الـترقية فهـو الذي يكـون منبعثاً عـمّا سماه دهـرندورف (Dahrendorf)[٤] المصـالح الـظاهرة والخفيـة والامتيازات المادية، التي يبحث الشخص عن قناة لتحقيقها:

«بـالنسبة إلى البعض، الأبـواب مفتوحـة والمسؤوليات العليـا مضمونـة. . . . وينتـج من هـذا امتيازات وغيرها. . . لكن لكل شيء ثمنه، فهم يُستَعملون واجهة للمشروعيـة، وكمثل لحث الآخرين إلى الانضمام إلى «الفريق الرسمي» وتدعيم الزمرة الحاكمة. . . والاسوأ من هذا، أن هؤلاء المثقفين يتمتعون بصلاحيات واسعـة (Carte Blanche) تجيز لهم تنحيـة من لا يرغبـون فيه ومعاقبة البعض من زملائهم.

في بعض الأحيان، عندمـا تخوَّل السلطة السيـاسية للمثقفـين يصبحون قسـاة مرعبـين أكثر مما تتصور. فبعضهم يمارس مـا يمكن تسميته «أكـل لحوم البشر» (Intellectual Cannibalism)، مما يعني بالنسبة اليهم أن النجاح والبقاء هو في تنحية زملائهم من طريقهم».

(أستاذ مساعد/ العلوم السياسية).

وبهذا المعنى، يصبح الأكاديمي عرضة لأن يكون سلاحاً في يـد السلطة السياسيـة تنشر به مفاهيمها وتفرضها، وتضعف به الضمـير الحي عند فئـة الأكاديميـين وفئات أخـرى. ولهذا السبب حذّر كثير من المثقفين من مغبة الجمع بين مهمتيّ الثقافة والسلطة في يـد واحدة، وإلى هذا يرمي كـوزر (Coser) بقولـه: «عندمـا يجري المثقف وراء السلطة ويـوثق في عربتهـا، يفقد إحـدى الخاصيات الأساسية والضرورية فيه، ويصبح مجرد تابع. . . فـأن يوثق إلى عـربة السلطة، معنـاه أن يخصى وأن يصاب بالعجز. . .»[٥].

ويؤيد ميلز هذا الرأي:

«السلطة والمعرفة ليستا موحدتين حقيقة في الدوائـر الحاكمـة، فعندمـا يصل رجـل المعرفـة إلى نقـطة التماهي مـع دوائـر رجـال السلطة، لا يصبـح قـريـنـاً لهؤلاء، ولكن يصبـح مجـرد أجـير (عندهم). . .»[٦].

---

(٤) Ralf Dahrendorf, *Class and Class Conflict in Industrial Society* (London: Routledge and Kegan Paul, 1959), pp. 178 - 179.

(٥) Lewis A. Coser, *Men of Ideas* (New York: Free Press, 1965), p. 185.

(٦) Charles Wright Mills, *Power, Politics and People* (New York: Ballantine Books, 1939), p. 605.

ومع هذا، فالتحالف السياسي، مع السلطة الحاكمة، يمكن أن يكون أداة مهمة في يد الأكاديمي الذي يوجد في بلد يسود فيه نموذج سياسي وحيد. ذلك أن الاندماج في الحزب الوحيد يسلط الأضواءعلى الشخص عندما يُفتح باب الاختيار للمناصب، ويعطيه حظوظاً في الامتيازات أكثر مما لو بقي في الظل خارج الحزب. علاوة على أن انضمامه إلى الحزب يجعله في وضع مؤاتٍ للترشيح للوظائف العليا، ويصبح ضمن دائرة تقنوقراطيي الدولة وفئة الانتيلوقراطين (Intellocracy).

وأخيراً، رغم أن هذه الوسيلة فعالة في تملُّك السلطة، إلّا أنها تنطوي على أخطار كثيرة تحدق بها، فإذا ما حدث تغيّر في النمط الحاكم أو في خاصياته، سيتبعه، ولا شك، تغيّر في الانصار والاتباع.

وصبُّنا الاهتمام على أنظمة الحزب الوحيد لا يعني أننا نغفل الأنظمة المسماة «المتعددة الأحزاب»، ففي بعض الجامعات من هذه الدول، توجد التحالفات السياسية والمحسوبية بين أحزاب المعارضة أيضاً. وقد يستغل البعض انتماءه السياسي (من غير الانتماء الرسمي) للترقي في الجامعة، إلّا أن هذا يبقى قليلاً وليس بذي قيمة كبرى في ما هو سائد عموماً في المجتمع العربي. وربما تسير هذه التحالفات في إطار العلاقات بين الأفراد أكثر مما تسير في اتجاه التحالف السياسي.

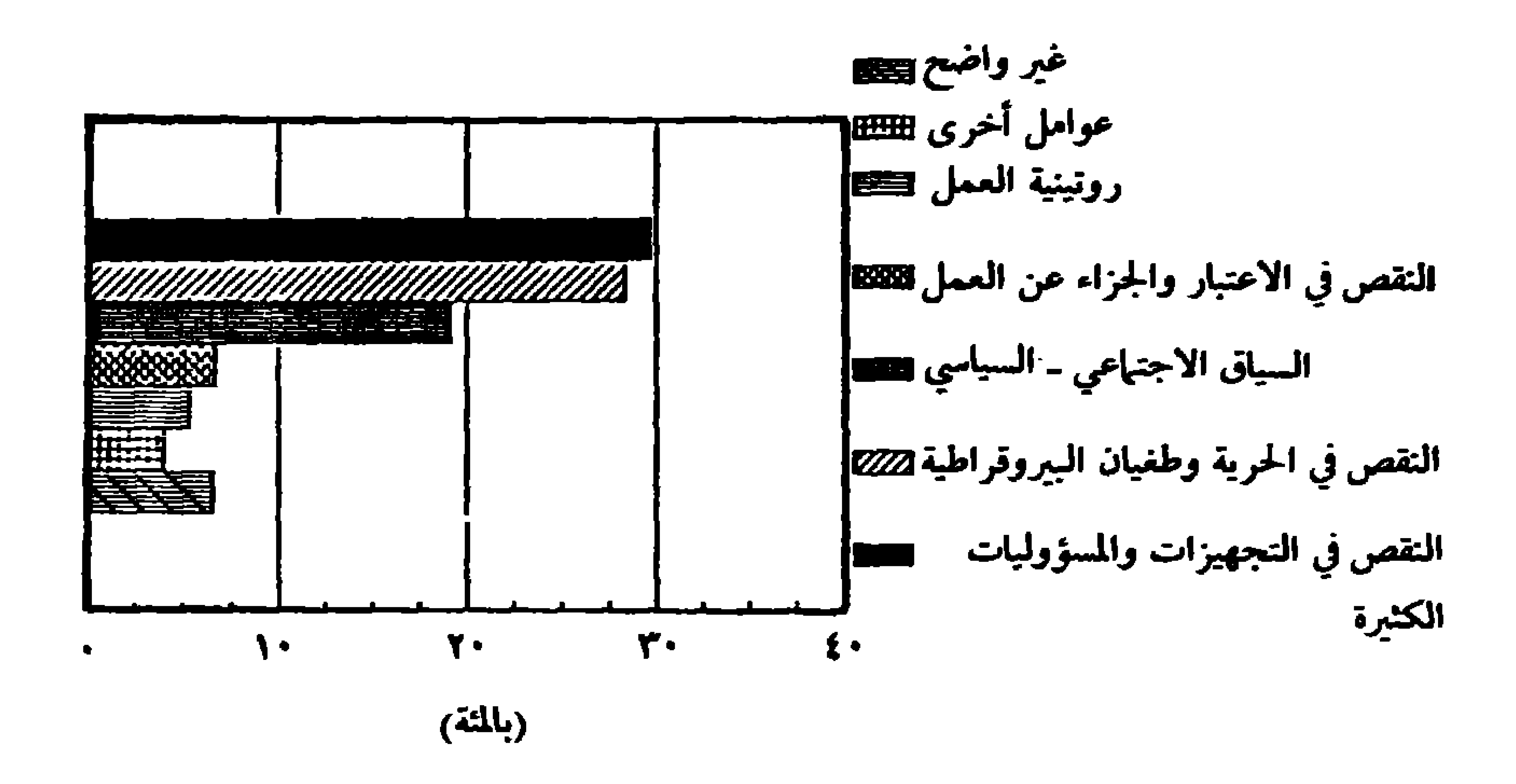
٣ ـ الوظيفة الإدارية والتقنوقراطية

تتمثل القناة الثالثة في بلوغ مستويات المحترمية، في «الوظيفة الإدارية الثقافية» (Intel-locracy Function) بحيث يمكن الأكاديمي من خلال تقلّده هذه الوظيفة (التي تكون في العمادة ورئاسة الجامعة والعضوية في مجالس الكلية والجامعة وهيئات التخطيط وغيرها من الوظائف والمسؤوليات التي تناط عادة بالأكاديميين في مجالهم) من أن يكتسب أهمية تقلّ أو تكثر (حسب طبيعة الوظيفة) في حقله العلمي وكليته وجامعته، وأن يصبح قريباً من المؤسسات الرسمية. إذ من المعلوم أن هذه المؤسسات هي التي تهيمن رسمياً على المجال الأكاديمي وكل ما يتعلق به من تنظيم للسير الجامعي وصنع القرار وتنفيذه فيه، ومراقبة الأكاديميين. لذا، فإن الاندماج فيها يضمن للأكاديمي موقعاً ما في النفوذ والسلطة. والأكاديمي، باندماجه ذاك، يقوم بعملية تحويل من موقعه الذاتي إلى موقع سلطة ونفوذ إداريين يمكّنه من المشاركة في صنع القرار في إطار ما يخوَّل له من سلطة. وبما أن المجال الأكاديمي خاضع للمراقبة المباشرة لادارة الدولة ـ التي تحوي في طابعها التقليدي عدداً من مومياءات السلطة المتحجرة، فإن الأكاديمي الذي يبقى بعيداً عن هذه المؤسسات ولا يندمج فيها، تكون حريته محدودة، وصلته بعيدة بالقرارات التي تخص مجال نشاطه الأكاديمي وكفاءاته[٧].

---

(٧) انظر في هذا الصدد: Hassan Ali Al - Ebraheem and Richard P. Stevens, «Organization, Management and Academic Problems in the Arab University: The Kuwait University Experience,» *Higher Education,* no. 9 (1980); Saleh Ziay M. Al - Ghambi, *Educational Res-* =

شكل رقم (٧ - ٢)
العوامل التي تحد من استغلال الأكاديمي لقدراته في نشاطه
(العدد = ٧٤)



من بين الانتقادات الرئيسية الموجهة من طرف الأكاديميين حول نشاطهم، ضعف استقلالية العمل وتصلّب البيروقراطية التي تراقبه.

تمثل إدراة الجامعة بكيفية مباشرة النمط الرسمي للدولة، لذا فإن من يحتل مسؤولية إدارية فيها يتمتع بامتياز التدخل في التسيير الجامعي وما يتبعه من مشاركة في ترقيات العاملين في المجال ومكافآتهم وإصدار القرارات في حقهم (إن سلباً أو إيجاباً). إضافة إلى أن الإدارة يكون لها سلطة تسيير العاملين في مختلف حقول المعرفة وفق رغباتها، وذلك بما لها، مثلاً، من صلاحيات في إعطاء المنح والإمتيازات للبعض دون الآخر. ومن ثم، فإن الاندماج في الحقل الإداري يزود المندمج فيه أيضاً، بوسائل فعالة لتسلّق سلّم الجامعة، بل وهذا في الحالات التي تكون السلطة المخوّلة له في المستوى الأدنى، إذ مهما كانت قيمة تلك السلطة، فهي تضاف إلى الرأسمال العلمي والفكري. ولهذا، فمن المنتظر أن يسعى أولئك المتطلعون إلى السلطة إلى ولوج الوسط الإداري، لأن دخولهم ذاك يمكّنهم من تحويل جزء من رأسمالهم العلمي إلى سلطة ونفوذ إداريين، يقولون عنهما للآخرين، إنها تضحية في سبيل العلم والمعرفة:

---

earch in the University: A Comparative Study of Saudi Arabia and Morocco (Michigan: University Microfilms International, 1985); Mohammed A. El - Ghannam, «The Administrative Crisis in Education in the Arab Countries», *Prospects*, vol. 7, no. 1 (1972), and Shafika Ebrahim Abbas, *The Roles of Administrators and Faculty in University Governance: A Comparative Study of a State University in the U.S.A. and the University of the United Arab Emirates* (Michigan: University Microfilms Internationl, 1986).

«عندما يكون الواحد منا مجرد أستاذ، فإن سلطته تكون محدودة في طلبته، أو بعبارة أخرى تكون سلطته في قاعة الدرس.

ولكن أن يكون الواحد منا عضواً في الإدارة، في أي وظيفة كانت، فإنه يفرض وجوده، عوض البقاء في وضع اللامبالاة الذي فيه الأستاذ... إذ يصبح مشاركاً في الشؤون الأكاديمية ومساهماً في تسييرها.

وعندما يحصل على الإمتيازات كافة، ويصل إلى مستوى عالٍ من السلطة الإدارية، فإنه لا يبقى ذلك الشخص العادي الذي يتلقى التعليمات وتصدر إليه الأوامر، بل يصبح هو المصدّر لها والقائم بأمر التعليمات والتقنيات أو يصبح على الأقل ذلك الشخص «الواسطة» المكلف بتطبيق التعليمات والقوانين، وبالتالي، فإن هذا الموقع يؤدي به إلى الإحتكاك بالدوائر والتعامل معها، الأمر الذي يشكّل بالنسبة إلى البعض «طريقاً ملكياً معبداً نحو السلطة الكبرى».

(محاضر/ قسم الصحافة).

ولهذه الأسباب جميعها، يشكّل الموقع الإداري وسيلة ودعماً إضافيين لتنويع سلطة الأكاديمي ومصادرها. فإذا نحن أمعنا النظر في إدارات الجامعات في البلدان العربية، نجد أن سلطة صنع القرار تتركز بكيفية كبيرة في أيدي الإداريين والبيرقراطيين، الذين يتمتعون بكل التسهيلات المادية وغيرها من الإمتيازات، أي على عكس باقي الأكاديميين (الأساتذة خصوصاً)[٨]. ومن هنا يمكننا القول إن الأعمال الإدارية الأكاديمية ليست وحسب مركز ثقل في الجامعة ولكنها أيضاً مركز استقطاب وموضوع اشتهاء ينجذب إليه ويشتهيه ويتنافس من أجله كل الساعين نحو النفوذ والسلطة. وأخيراً، فإنه على الرغم مما يشكله الرأسمال العلمي والفكري من قيمة في الوصول إلى المناصب الإدارية، فإنه ليس بكافٍ وحده. فعندما يتعلق الأمر بحل المشاكل الإدارية أو الإسراع في الترقية أو الحصول على امتياز ما، يلجأ الأكاديمي إلى علاقاته الاجتماعية التي تعدّ وسيلة فعالة أخرى في هذا المضمار. والأكاديميون يعرفون ذلك معرفة كاملة (أنظر الشكل رقم (٧ ـ ٣)، وهذا هو موضوع الفقرة اللاحقة.

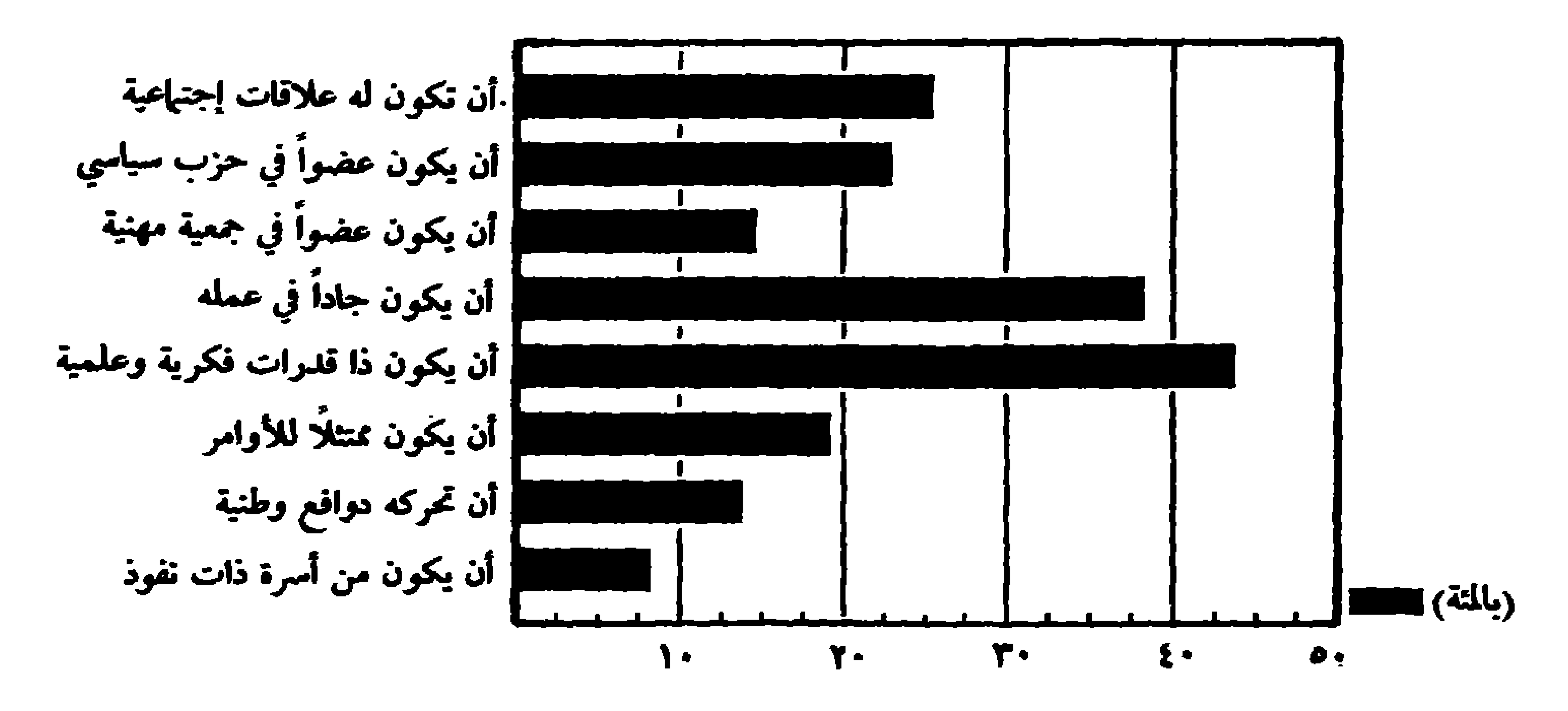
أن يكون الأكاديميون أعضاء في الأنتلجنسيا العليا في الوطن العربي ومعترفاً بثقافتهم، فإن الأكاديميين، كما كان متوقعاً، يعتبرون أن عملهم الجاد وامتلاكهم قدرات علمية وفكرية تمثّل مزايا تضمن لهم موقعاً في الحقل الأكاديمي والمجال الاجتماعي وتعزز ذلك الموقع. ومع هذا، فهم واعون حق الوعي أهمية رأسمالهم الاجتماعي وانتمائهم السياسي وتحالفاتهم الأخرى التي تؤثر هي الأخرى في موقعهم. مثلاً، في سوريا التي يسود فيها حزب البعث (الحزب الوحيد)، فإن الأغلبية التي تعتبر عضويتها في التنظيم السياسي مهمة في تعزيز موقعها تنتمي كلها إلى هذا البلد.

بينما الاهتمام بالقضايا الوطنية، كوسيلة لتعزيز الموقع، يراه كذلك ١٥ بالمئة من

---

(٨) غالباً ما يحصل أولئك الذين يحتلون المناصب الإدارية والبيروقراطية على امتيازات مادية مختلفة: كالسكن والسيارة والرحلات وغيرها من الامتيازات الإدارية.

شكل رقم (٧ - ٣)
الوسائل المستعملة في تحسين موقع الأكاديميين كما ورد في تقويماتهم



المشاركين وحسب. وهذه القولة المصاغة حول الإهتمام بالقضايا الوطنية تبدو مثالية ونسبية، لأن الدوافع الوطنية تخفي وراءها دوافع واهتمامات شخصية أو: «ما هو في صالح وطني هو في صالحي أيضاً، لكن بالتأكيد ما هو في صالحي، قد يكون في صالح وطني».

٤ ـ العلاقات الاجتماعية أو الرأسمال الاجتماعي

تتمثل الوسيلة الرابعة والأخيرة في شبكة العلاقات الاجتماعية التي تشكّل فيها الأسرة والعشيرة والقبيلة والصداقة والمعرفة بالآخرين وما يجري مجراها، عناصر مهمة. ويمكن أن تنطوي هذه العلاقات على الزبونية والمحسوبية والمحاباة... إذ إن حصيلة هذه العلاقات تطابق ما اصطلح عليه بورديو بـ «الرأسمال الاجتماعي». ويبدو أن هذه الوسيلة ما تزال ذات وزن كبير في تفاعلات الأفراد في المجتمع العربي الإسلامي. ومن هذا المنظور يستخلص مانفرد هالبرن (Manfred Halpern)[٩]، في الخطوط العريضة التي أعطاها، عند تحليله العلاقات الإنسانية في المجتمع العربي الإسلامي ـ خاصة ما تعلّق منها بالتعاون والصراع ـ (يستخلص) وجود ما سماه «الطراز البدائي للصدامات» (Archetypical encounters)، فالناس، في تعاملهم اليومي، تكون لهم صنوف مختلفة من العلاقات تحتوي ـ على صعيد وجودها بين الافراد والمجموعات ـ أصناف مختلفة من صور المفاهيم المتبادلة وعدداً من أنماط

---

(٩) Manfred Halpern, «Four Contrasting Repertories of Human Relations in Islam,» in: Carl Brown and Norman Itzkowitz, eds., *Psychological Dimensions of Near Eastern Studies*, Princeton Studies on the Near East (Princeton, N. J.: Darwin Press, 1977), vol. 1, pp. 60 - 102.

السلوك والنشاط والخضوع والهيمنة. ومن هنا يدافع مالبرن عن نظرية تقول بوجود ثمانية أنماط مختلفة من العلاقات الإنسانية في المجتمع العربي الإسلامي، من بينها نمط سمّاه الاشعاع[10]. وما يعنيه بهذا النمط أن كل فرد يكون على استعداد لوضع الآخرين «تحت جناحه»، وهو في ذلك يمثل امتداد الأسرة والأخوّة... والتعبير عنهما. وهو أيضاً يبغي، من وراء عمله ذاك، الحفاظ على مظاهر الشرف المرتبط بأسرته القريبة ووسطه الاجتماعي. ذلك أن مبدأ الشرف هنا، يرغم الفرد على العمل بروح «العصبية» الخلدونية، أو العمل، إلى حد ما، في إطار التضامن الميكانيكي الدوركهايمي[11]، حيث تدفع الروابط الأسرية والقبلية والعشائرية (أو ما يقوم مقامها اليوم من روابط سياسية في المدن) الأفراد إلى تبادل المساعدة في ما بينهم.

ومع هذا، فإن التضامن والمساعدة وإسداء الخدمات ليست دائماً متبادلة ومتوازية بين الأفراد، إذ يتعلق جانب كبير منها بموقع الفرد ومكانته وبقيمة الخدمة المطلوبة والظروف المحيطة بها وتكلفتها، خاصة إذا تطلّب إنجازها طرفاً ثالثاً، أو ما يُعرف بـ «الواسطة».

ويلزم التحالف والولاء والقرابة والانتماء والصداقة، الفرد، في الثقافة العربية، بمدّ يد المساعدة إلى من يرتبط معهم بواحدة من العلاقات المشار إليها. فالفردانية غير معتبرة وغير مقبولة في هاته الثقافة. ولهذا لا يمكن للفرد أن يموضع نفسه في المجتمع بسهولة دون الانتماء إلى فئة معينة أو مجموعة بعينها، أو دون أن يكون جزءاً أو عضواً في واحدة منها. وللتوضيح أكثر، فإن الفرد في المجتمع العربي الإسلامي، يلجأ إلى كل علاقاته المجتمعية لأسباب ودوافع متعددة، فهو يلجأ إليها، مثلاً، في تعيينه في العمل، أو في الانتقال من مكان إلى آخر في إطار وظيفته، أو للدفع بترقيته.. فهذه العلاقات إما أن توظّف بكاملها دفعة واحدة وإما أن يوظّف البعض منها وحسب لتحقيق واحدة من الغايات المشار إلى نماذج منها. ولهذا

---

(١٠) إضافة إلى الاشعاع، هناك الوساطة والمساومة المباشرة (Direct Bargaining) والخضوع. ففي الحالة الاولى يمثل الفرد دور الوساطة بين فردين أو مجموعتين، وفي الحالة الثانية يكون الفرد بمثابة استمرار أو امتداد للآخرين؛ وفي الثالثة يخضع نفسه من جانب واحد لرغبات اولئك الذين يتمتعون بسلطة أكبر من سلطته. اما في الحالة الرابعة فيتعاون الفرد مع الآخرين على قدم المساواة. ويعتقد هالبرن ان هذه اللقاءات أو الصدامات بين الافراد وُجدت في المجتمع العربي الاسلامي قبل خضوعه للاستعمار وما تزال موجودة فيه في الوقت الراهن.

(١١) العصبية، والمراد بها ذاك الشعور بالتضامن والتآزر المتبادل والذي يبدو عادة في العمل المشترك للمجموعة. وينبني هذا الشعور أساساً على تلاحم المجموعة ورابطة الدم والأسرة والانتماء العرقي. وفي هذا الصدد كتب جيلنر (E. Gellner) مقارنة مهمة بين المفهوم الخلدوني للعصبية وبين ما يقابله عند دوركهايم:

Ernest Gellner, «Cohesion and Identity : The Maghreb from Ibn Khaldun to Emile Durkheim,» *Government and Opposition*, vol . 10, no. 2 (Spring 1975), pp. 203 - 218.

وأنظر أيضاً في هذا الصدد: Erwin Isak Jakob Rosenthal, *Political Thought in Medieval Islam: An Introductory Outline* (Cambridge, Eng.: Cambridge University Press, 1958), and M'hammed Sabour, *The Sociology of Ibn Khaldun* (Joensuu: University of Joensuu, 1981) (Unpublished).

يتشكل موقع الفرد في فئته وفي مجاله الاجتماعي وفقاً لأهمية علاقاته وفعالياتها، وكذا وفقاً لقدرة شبكة العلاقات الموجود فيها على مدِّه بالمساعدة وقضاء حاجاته:

«أسرتي وأصدقائي يوجدون في بلدة م . . . ، إذ من الصعب أن أعمل في مكان بعيداً عنهم. . . هناك أشياء كثيرة بإمكاني قضاؤها بسهولة لو كانوا معي. . . هنا الأمور معقدة وتحتاج إلى وقت طويل. . .

بعد تعييني في العمل هنا لم أحصل على راتبي الا بعد شهور عديدة. . . وكان عليّ أن أذهب إلى العاصمة برفقة أحد الأصدقاء لتصحيح الوضع. . . فلا يمكنني مثلاً قضاء مصالحي بالتليفون، بل عليّ أن أذهب شخصياً وأن أتفاوض مع الآخرين. . وقد يعدونك بالكثير ولا يوفون حتى بالقليل. . فعندما تغيب عن العين تغيب عن القلب، كما يقال. . .».

(مساعد، شاب، / العلوم الإنسانية).

لكن كلما اتسعت دائرة شبكة علاقات الفرد، زادت معها مديونيته للآخرين، بسبب واجبه العائلي أولاً، وبسبب تبادل الخدمات مع من تتضمنه شبكته ثانياً[12]. ذلك أن علاقات تبادل الخدمات لا تنحصر في الوسط العائلي للفرد فقط، إذ بإمكانه أيضاً أن يقيم علاقات خارج مجموعته الحميمة على أساس الزبونية والمعرفة بالآخرين. ولهذا أشار السربوتي في مقال له عن «الزبونية وديناميتها في تحريك العمل السياسي بالمغرب» عند عرضه للأهمية التي تشكلها الزبونية في نظره، حيث تمثل نوعاً من: «الاستراتيجية ونظام التبادل حيث الهدية والمساعدة وإسداء المعروف أو الخدمة، وسائل لجعل الأفراد الآخرين ممنونين لذاتيهم في إطار الاستراتيجية الزبونية»[13].

ومن المعروف أن الزبونية ليست خاصة بالمجتمع المغربي وحده، فهي منتشرة ومعروفة في كل البلدان العربية تقريباً (وفي البلدان النامية عموماً)[14]. وقد تتخذ الزبونية مظهراً أقلّ حدة عندما توضع وراء قناع «الصداقة». فإضافة إلى المعنى العاطفي الذي يفيده لفظ «الصداقة»، والذي ينتج منه ما يمكن تسميته «الصداقة العاطفية» ـ التي تتسم بالعفوية والعواطف الخالصة المتبادلة والاحترام والتعلق ـ هناك معنى آخر يعطى للصداقة وهو الذي ميزه وولف (E.R.Wolf)[15] ووضعه في إطار ما سمّاه «الصداقة الذرائعية»، التي يقصد بها

---

(١٢) John Waterbury, *Le Commandeur des croyants: La Monarchie marocaine et son élite* (Paris: Presses universitaires de France, 1975).

(١٣) Mohamed Serbouti, «Le Clientélisme et sa dynamique dans la mobilisation politique au Maroc,» *Al Asas* (Sale, Morocco), no. 72 (May 1986), pp. 6 - 12, et Abbes Lahlou, «La Bourgeoisie: Symbole et reflet direct de l'occidentalisation de la société marocaine,» *Civilisations*, vol. 14 (1964), pp. 62 - 80.

(١٤) هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي (بيروت: الدار الاهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٥)، و

Halim Barakat, «Socio - Economic, Cultural and Personality Forces Determining Development in Arab Society,» *Social Praxis*, vol. 2, nos. 3 - 4 (1976), pp. 179 - 204.

(١٥) Eric R. Wolf, «Kinship, Friendship, and Patron - Client Relations in Complex Societies,» in: Michael Banton, ed., *The Social Anthropology of Complex Societies* (London: Tavistock Publications, 1966).

الصداقة من أجل المنفعة. فحتى في الحالات التي يكون فيها هذا الصنف من الصداقة مقاماً على غير النفع المادي الظاهر، فإن طبيعتها تجعل غاية النفع متأصلة فيها، وتجعل السعي نحو المنفعة جزءاً لا ينفصل عنها. وعلى عكس الصداقة العاطفية التي تكون فيها العلاقة ثنائية (بين فردين)، فإن الصداقة الذرائعية يرى فيها كل عضو (في العلاقة الثنائية) في العضو الثاني صلة وصل يحتملَ أن تربطه بآخرين خارج علاقتها الثنائية.

إذ إن هناك نوعاً من الاحتضان المتبادل بين الأصدقاء أو على الأصح الأعضاء في العلاقة، وعلى هذا يعلّق أحدهم:.

«نعم الصداقة توجد في ثقافتنا، لكنها تختلف عما كانت عليه في السابق، فلم يعد لها ما كانت تحمله من رومانسية وطهر ووفاء بالعهد... فالصداقة اليوم أكثر واقعية... إنها صداقة تبادل المصالح. وأنا عندما أقول هذا أفكر في أشخاص معينين في مجتمعنا وفي جامعتنا هاته...».

(محاضر / الاقتصاد).

وإضافة إلى هذا، تمتد الصداقة الذرائعية خارج المجموعة المقامة فيها وتسعى إلى مد الجسور إلى مجموعات أخرى. وفي هذا الباب، يمثّل الاحتضان المتبادل، محاولة فعالة لتوسيع مجال المناورة الاجتماعية. فالصداقة في الثقافة العربية ينطبق عليها عدد من الأمثال المتداولة في عدد من الثقافات: «الرجل من دون صديق، كالرجل من دون ذراع يمنى»، و«الإنسان ضعيف وحده، قوي بأصدقائه»، و«الرجل الذي له اصدقاء مخلصون في جماعته، ليس له ما يخاف منه». نستخلص من هذا أن الصداقة في شكليها الذرائعي والعاطفي أساسية في العلاقات الاجتماعية.

ومن بين النتائج التي توصّلنا إليها في دراسة العلاقات الاجتماعية في المجتمع، وجود ظاهرة «الواسطة» (وهي ظاهرة ربما تكون عامة في كل المجتمعات، بطريقة أو بأخرى، لكن لها سمات خاصة في السياق العربي). وتشكّل هذه الظاهرة نوعاً من الامتداد للعلاقة الزبونية، ونوعاً من الامتداد للصداقة في حدود ما. يلجأ الفرد الى الواسطة، عندما لا يكون باستطاعته، من موقعه الاجتماعي أو وضعه الإداري، حل مشكل معيّن أو الوصول إلى غاية معيّنة، باستعماله فقط القنوات التقليدية المعهودة. فهو في هذه الحال، إما يتبع الطريق المباشر ويتصل بالشخص المعني مساوماً إياه بطرق مختلفة، وإما يلجأ إلى الواسطة، وهو سمسار محترف أو هاوٍ في هذا الباب، تتوافر له علاقات وصلات معينة[16]:

---

(١٦) في كثير من الحالات في البلدان العربية، لا يكفي ان يكون الاكاديمي كفوءاً ومبدعاً في ميدانه المعرفي فقط، بل يجب أن يكون منتمياً الى حزب أو مجموعة أو أي شيء آخر كالأسرة والعشيرة، وان يكون مدعوماً من طرف المجموعة التي ينتمي إليها. وتمثل الأسرة على الخصوص درعاً واقية امام تقلبات السياق. وعدم استقرارية النموذج الحاكم. وهذا السند العائلي والدفع الذي تقدمه الأسرة، قد يمكّن من الحصول على العمل والترقي السريع فيه، ويعمل على ضمان بقائه وتطوره.

«هناك أبواب لا تُفتح إلا بمفتاحها المناسب، والمفتاح المناسب لك قد لا يكون مناسباً لغيرك. . . لذا فأنت في حاجة، في بعض الحالات، إلى مفتاح يفتح جميع الأبواب».

(محاضر/ العلوم السياسية).

«ما لم تكن لك علاقات، فأنت عاجز عن التحرك اجتماعياً!

لكن إذا كانت لك «معرفة» واحدة، فإنك تستطيع التوصل بواسطتها إلى «معارف» أخرى، وأنت بعملك ذاك، تجعل أمورك تسير بسرعة الصاروخ. وليس هناك أي شيء غريب في هذا، فهو جزء من ميكانزم هذا المجتمع».

(محاضر/ الإقتصاد).

ومن هذا المنظور، إذا أراد الفرد اكتساب موقع ما، فيجب أن تتوافر له إمكانيات متنوعة تتمثل في العلاقات الفعالة التي يكون بإمكانه تنويعها وتوسيعها. وشبكة العلاقات هاته ثمينة جداً في المجال الأكاديمي (في الحصول على المساعدات المادية، والمنح، والرحلات الدراسية وفي نشر المقالات والأبحاث)، فمثلاً، أولئك القادمون الجدد الى المجال الأكاديمي ممن يعوزهم الرأسمال الاجتماعي (أو كانوا غير معروفين) يكونون في وضع غير مؤاتٍ في هذا الباب. فهم أولاً، غير عارفين بمختلف العمليات السائدة في المجال (في مظهريه الإداري والعلمي)، وهم ثانياً غير قادرين على فك رموزه التي تمكّنهم من فهم سيره وإعطاء معنى لما يجري فيه. فإذا أراد الواحد منهم أن يدمج في المجال ويُقبل وتُحترم أفكاره فيه، فعليه أن يبذل مجهودات كبيرة وأن يقوم بأعمال كثيرة قبل أن يبلغ هذه الغاية (ونعني هنا خاصة أولئك الشبان المنحدرين من الطبقات الدنيا المحرومة، الذين يتطلعون إلى الاندماج في الجامعة).
وفي هذا الوضع وغيره، يمكن الفرد أن يوظف علاقاته الإجتماعية. وهذا ما بدا واضحاً في استطلاعاتنا، إذ شددت مختلف فئات الأكاديميين على أهمية الرأسمال الاجتماعي. أنظر الجدول المرفق رقم (٧ - ٢).

ولعل هذا أيضاً، ما دفع بكثير من الباحثين إلى القول بأن المثقف العربي ما يزال تحت تأثير ارتباطاته العائلية وعلاقاته الاجتماعية وروابطه فيها، الأمر الذي يجعله أقلّ انفعالاً بالايديولوجيا وصراع الطبقات.

فالولاء الذي يرغمه، بكيفية مباشرة أو غير مباشرة، على إخضاع نفسه لقوى تلك العلاقات وقواعدها، يضعف فيه الوعي الطبقي ويمنعه إلى حد ما، من تطوير وعي الواقع الوطني لبلده[١٧].

ومن بين نتائج هذه الذهنية المرتبطة بنزعة العلاقات الاجتماعية، التي يبدو أنها ما تزال مؤثرة في أوساط المثقفين العرب، أنه يكون من الصعب على هؤلاء المثقفين أن يجدوا وسيلة

---

(١٧) Samir Khalaf, «The Growing Pains of Arab Intellectuals,» *Diogenes*, no. 54 (Summer 1966), pp. 59 - 80.

من دونها للتعبير عن أنفسهم. فعلى الرغم من وجود أشكال حديثة (عصرية، غربية) في الوقت الراهن، تتمثل في المنظمات الاجتماعية والأحزاب السياسية وفي الأنساق البيروقراطية والتعليمية، فإن هذه الأشكال لم تحجب كليةً هذه الذهنية البادية في مستوى الحياة اليومية[١٨]. وإذا حافظت هذه الذهنية (المرتبطة بنزعة العلاقات الاجتماعية) على قوّتها الإجرائية، فذلك راجع إلى عدم توافر وسائل أخرى تعادلها في النشاط وحل المشاكل، أو أن هذه الوسائل غير فعالة في حل مشاكل هذا المجتمع.

يظهر من الجدول رقم (٧ ـ ٢)، أن الأكاديميين عموماً يعتبرون الرأسمال الاجتماعي ذا أهمية كبرى في تحسين وضعية الأكاديمي. ومع هذا، يبدو أن أولئك الأكاديميين المنتمين إلى طبقات اجتماعية دنيا يقدّرون أكثر من غيرهم هذا الرأسمال ويعتبرونه حاسماً في تحسين الوضعية. بينما أولئك القادمون من طبقات متوسطة وعليا، يعتبرون الجد في العمل والانتاج العلمي والإبداع الفكري عوامل أساسية في تحسين وضع الأكاديمي.

والمهم هنا، وجود فئتين من الأكاديميين، فئة تمتلك رأسمالاً اجتماعياً وتستغله، وهي التي تنفي أهميته أو حتى وجوده، وفئة محرومة من الرأسمال هذا أو نصيبها فيه قليل، وهي التي تؤكد أهميته وفعاليته.

من أجل إعطاء فكرة تقريبية عن أهمية العلاقات الاجتماعية (الرأسمال الاجتماعي)، قمنا بتحليل ٢٥ حالة من بين المشاركين الذين أجابوا عن مجموع الأسئلة المتضمنة في الاستمارة (أنظر الملحق رقم (٢))، خاصة المواد من ١٩ إلى ٢٣، بغاية معرفة تفاوت أهمية الرأسمال الاجتماعي. وقد تم اختيار هؤلاء الأكاديميين بناءً على رساميلهم، خاصة الرأسمال الاجتماعي، واعتبرنا في هذا الاختيار معياراً آخر، وهو وفرة المعلومات عن هؤلاء مما استطعنا الحصول عليه اما منهم مباشرة واما من مصادر أخرى، كالمصادر المختصة في التعريف بالأعلام في الوطن العربي أو الاستجوابات التي أُجريت معهم وتم نشرها، أو من الجرائد (أنظر الملحق رقم (١١)). وهكذا تم توزيع هؤلاء الـ ٢٥ في ثلاث مجموعات حسب رأسمالهم الاجتماعي: مجموعة «أ» وتضم ذوي الرأسمال الاجتماعي الكبير، ومجموعة «ب» وتضم ذوي الرأسمال المتوسط، ومجموعة «ج» وتضم ذوي الرأسمال الضعيف أو المنعدم.

المجموعة أ: ذوو الرأسمال الاجتماعي الكبير (ع = ٦)

- من أسر معروفة وغنية وذات نفوذ.
- لهم أقارب وزملاء دراسة (في الثانوي والجامعة) ممن يحتلون مناصب إدارية مهمة.
- لهم علاقات مصاهرة ذات نفوذ وتأثير.

---

(١٨) Clifford Geertz and Lawrence Rosen, *Meaning and Order in Moroccan Society* (London; New York: Cambridge University Press, 1979), pp. 315 - 393, and

شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي.

أ ـ ١ ـ المجموعة أ: حالة توضيحية:

الوظيفة الأكاديمية:

- أستاذ/ علوم التربية.
- عميد.
- نائب رئيس جامعة.

الرأسمال الثقافي:

- الأب: أستاذ/ القانون.
- الأم: ناظرة مدرسة ثانوية.

الرأسمال الإقتصادي:

- قضاء سبع سنوات في التدريس في الخليج (حيث الأجور مرتفعة والضرائب منعدمة).

الرأسمال الإجتماعي:

- من عائلة متعلمة ومعروفة احتل أفراد منها طوال أجيال، مناصب مهمة في جهاز الدولة وكان منهم وجوه قيادية في شؤون الدولة.
- من أسرة غنية وذات نفوذ.

الشهرة العلمية:

- نُشرت له ستة كتب، (إثنان منها بلغات أجنبية).
- نُشر له عدد من المقالات بالعربية وبلغات أخرى.

السلطة العلمية والوجاهة العلمية:

- عضو في أكاديمية العلوم.
- عضو في عدد من اللجان العلمية.
- أستاذ زائر في جامعة بالولايات المتحدة.
- مشارك في عدد من المؤتمرات العلمية الدولية المهمة(١٩).

أ ـ ٢ ـ أقواله:

يبدو في وصفه رساميله، أن اكتسابها أمر مسلّم به، فهي في تراث العائلة ومن

(١٩) Abbas, *The Roles of Administrators and Faculty in University Governance: A Comparative Study of a State University in the U.S.A. and the University of the United Arab Emirates*..

الهابتوس الموجود عندها. «في عائلتنا كان (دائماً) التعليم وممارسة المعرفة تقليداً، فمنذ أجيال يوجد في عائلتنا علماء وقضاة وسفراء وأساتذة، فما أنا فيه ليس بالأمر الغريب، قل عنه إنه استمرارية أو ميول أو ميراث».

سؤال: ـ كيف تراها أنت بنفسك؟

جواب: ـ جميعها (استغراق في الضحك).

ويقول في تقويم الوضع الأكاديمي لبلده:

«هناك أشياء كثيرة لم تنجز بعد ويجب القيام بها، ولكن لنعترف أولاً بهذا الكثير الذي أنجز في هذا البلد. لقد سألتني قبل عن مكانة الأستاذ، أعتقد أنه الآن في وضعية أحسن نسبياً مما كانت عليه في السابق، ويبقى أنه في حاجة إلى اعتبار أكبر...».

وفي حديثه عن وضعه الخاص يقول: «يمكنني» إلى حد ما، التأثير في الأشياء المتعلقة بي.

ويضيف في السياق نفسه:

«أعتقد أني محترم، ولِمَ لا أكون محترماً؟

اعتقد أني أستحق الاحترام...».

وفي تقويمه الاحترام الكبير الذي يحظى به في بلده وفي الخارج، يصف ذلك الاحترام ـ وهو واعٍ وجاهته العلمية ونفوذه ـ بنوع من «الإستعلاء المتواضع»:

«من الصعب الخوض في هذا، ولكن اعتباراً للمكانة المخصصة لإنتاجي العلمي في الخارج يمكن القول بأني أتمتع ببعض الاحترام العلمي...».

وعن سؤالنا، عن الوسائل التي يستخدمها الأكاديمي في تحسين وضعه أجاب دون تردد:

«الضمير المهني والعمل العلمي الجاد يشكلان الطريق المؤدي للنجاح...».

وعند تذكيرنا إياه بدور العوامل الأخرى، كالأسرة والعلاقات الاجتماعية... أجاب بتردد:

«أنت تعلم أن الأسرة لها موقع مركزي في ثقافتنا، لذا يجب على المرء أن يعترف بأنها تشكّل خلفية ممتازة، فهي امتياز... أما فيما يخص الأستاذ، فأعتقد أن الإنجاز الذاتي هو الأكثر أهمية».

المجموعة «ب»: ذوو الرأسمال الاجتماعي المتوسط (ع = ١١)

- من الطبقة المتوسطة الصاعدة.
- لهم معرفة مهمة بالآخرين، وعلاقات اجتماعية مقامة أساساً عبر العمل الفكري والثقافي.

- لهم وجاهة علمية متوسطة القيمة.
- في بعض الحالات تكون الزوجة من أسرة غنية معروفة.

ب ـ ١ ـ المجموعة «ب»: حالة توضيحية:

ـ الوظيفة الأكاديمية:

- أستاذ مساعد/ الاقتصاد، (أول فرد مثقف ثقافة عالية في أسرته).

ـ الرأسمال الثقافي:

- لم تتم الإشارة إليه.

ـ الرأسمال الاجتماعي:

- له أقارب في وظائف ثانوية.
- الزوجة أستاذة في التعليم الثانوي، تنتمي أسرتها إلى طبقة الشغيلة.

ـ الشهرة العلمية:

- نشرت له ثلاثة كتب بلغات أجنبية.
- نُشرت له ثماني مقالات تقريباً.

ـ السلطة الأكاديمية:

- لا شيء يستحق الذكر.

ـ السلطة العلمية والوجاهة العلمية:

- يحاضر دورياً في جامعة السوربون.
- شارك في مؤتمرين دوليين.

ب ـ ٢ ـ أقواله:

«يمكن القول إني كونت نفسي بنفسي، لم أرث شيئاً، كان علي أن أكتسب كل شيء من القلم إلى الكتاب إلى الثقة بالنفس...».

وبهذه العبارة التي تحمل المرارة تارة والافتخار تارة أخرى، تحدّث إلينا عن مساره. وعند سؤالنا عن وصفه الراهن، باعتبار أنه ينتمي إلى وسط محروم أجاب:

«إذا كنت تعني مكانتي كمثقف، فليس لي ما أشتكي منه.. فأنا راض عما أقوم به وعما حققت وأنجزت، ولكن في الوقت نفسه أنتقد بشدة السياق الاجتماعي الذي يضع العراقيل في طريق الناس أمثالي...».

سؤال: ـ ماذا عن موقعك في الجامعة بالمقارنة مع الآخرين من الكلية نفسها التي تعمل فيها؟

جواب: - من حيث المبدأ كلنا سواسية، لكن هناك من يتمتع بالمساواة أكثر من الآخرين. ما أعنيه أن هناك بعض الأشخاص، إما لانتمائهم العائلي وإما لخلفيات خاصة وإما لعلاقاتهم... يستغلّون كل الفرص التي يتيحها العمل هنا...».

سؤال: - ما هي هذه الامتيازات؟

جواب: - الحصول على المساعدات المادية لنشر المقالات والكتب والمشاركة في المؤتمرات الدولية... ما دمنا نتحدث عن المؤتمرات، أرى من الضروري الإشارة إلى أنه في بعض الحالات، يكون للمعنيين في تمثيل الكلية، من النفوذ والسلطة أكثر مما لهم من استحقاق علمي... في الواقع هناك أشخاص مؤهلون علمياً، لكن لا أحد يرغب في منحهم المساعدة المادية وإعطائهم الفرصة لتقديم أفكارهم في المؤتمرات الدولية».

وعندما سألناه عن الوسائل المستعملة في تحسين مكانة الفرد الأكاديمي أجاب:

«كل الوسائل مفيدة في تحسين وضعية المرء، لكن في ما يتعلق بالأكاديمي، فإن الإنجاز العلمي يجب أن يوضع في المقام الأول...».

المجموعة «ج»: ذوو الرأسمال الاجتماعي الضعيف أو المنعدم (ع = ٨):

- من أوساط محرومة ثقافياً (دون شهرة ولا أسماء لامعة).
- إما من أسر قروية وإما من طبقة الشغيلة.
- إذا كانت لهم علاقات اجتماعية، فهي، بصورة عامة، غير ذات نفوذ أو أهمية.

ج - ا - المجموعة «ج»: حالة توضيحية:

الوظيفة الأكاديمية:

- محاضر/ العلوم الإنسانية.

الرأسمال الثقافي (الولادي)

- الأب: عامل في مصنع.
- الأم: ربة بيت (غير متعلمة) (له خمسة إخوة وأخوات).

الرأسمال الاقتصادي:

- لم يشر إليه.

الرأسمال الإجتماعي:

- (بأقواله حرفياً) ليس لي أصدقاء ولا أسرة ولا علاقات.
- أعزب.

الشهرة العلمية:

- شارك في تأليف كتاب بالعربية.
- نشرت له بعض المقالات في مجلات متخصصة وفي الجرائد.

السلطة الأكاديمية:

- لا شيء.

السلطة العلمية:

- لا شيء يستحق الذكر.

السلطة السياسية:

- عضو في أحد أحزاب المعارضة.

ج - ٢ - أقواله:

«استغرقت في دراستي الجامعية أكثر مما استغرقه الآخرون، فقد كان عليّ أن أعمل في الوقت نفسه لمساعدة أسرتي المكونة من ثمانية أفراد. لقد تمت دراستي عكس رياح هوجاء من دون مساعدة كيفما كان نوعها... وإذا كان المنصب الذي أنا فيه الآن هنا (في الجامعة) يشبه مبدئياً المناصب التي يحتلها الآخرون فيه، فإن هناك اختلافاً كبيراً في الطريق التي أدت بي إليه... بعبارة أخرى، لقد تطلّب مني جهداً كبيراً ومجهودات ووقتاً أكثر مما تطلّبه من الآخرين... (و) النظام السوسيو - سياسي هو المسؤول الرئيسي عن ذلك...».

وفي تقويمه لموقعه كمثقف ثقافة عالية، يتضح من أقواله أنه ليس له أوهام حول مكانته:

«... ربما هي الآن أحسن مما كانت عليه في السابق، لكن هناك مبتغيات لا بد من الصراع من أجلها،... فالأنتلجنسيا العربية اليوم حبيسة نسق سوسيو - سياسي متحجر، فتحسين مكانة المثقف والعامل والفلاح، تتعلق أساساً بإنهاء السياق المهيمن».

سؤال: - هل تعتقد أن الانخراط في العمل السياسي يمكن أن يحسّن من وضعيتك؟

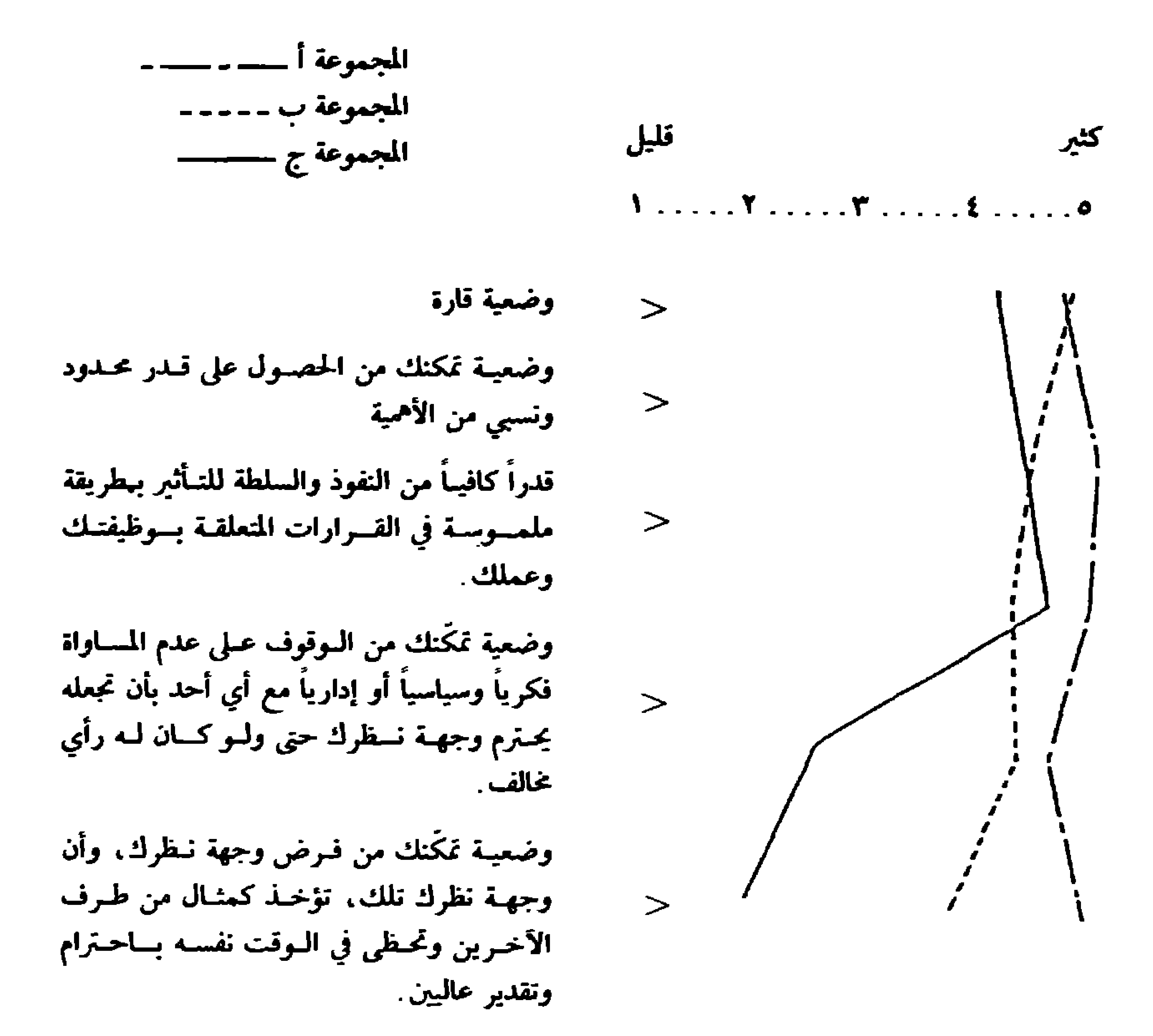
جواب: - يتعلق هذا بما تعنيه بالانخراط وبالعمل. فكيفما كان الأمر، في ما يتعلق بالهيئة التعليمية، فإن السبيل الوحيد للتغيير هو العمل السياسي المكثف والمنظم تنظيماً جيداً.

لكن كثيراً من الزملاء غير واعين قوتهم أو رسالتهم، فهناك انتشار واسع لعقلية البرجوازية الصغيرة بين المثقفين...».

تقويم الإجابات

١ - تقويم الإجابات عن السؤال: هل تشعر في عملك الراهن أو وظيفتك الحالية أن لك...

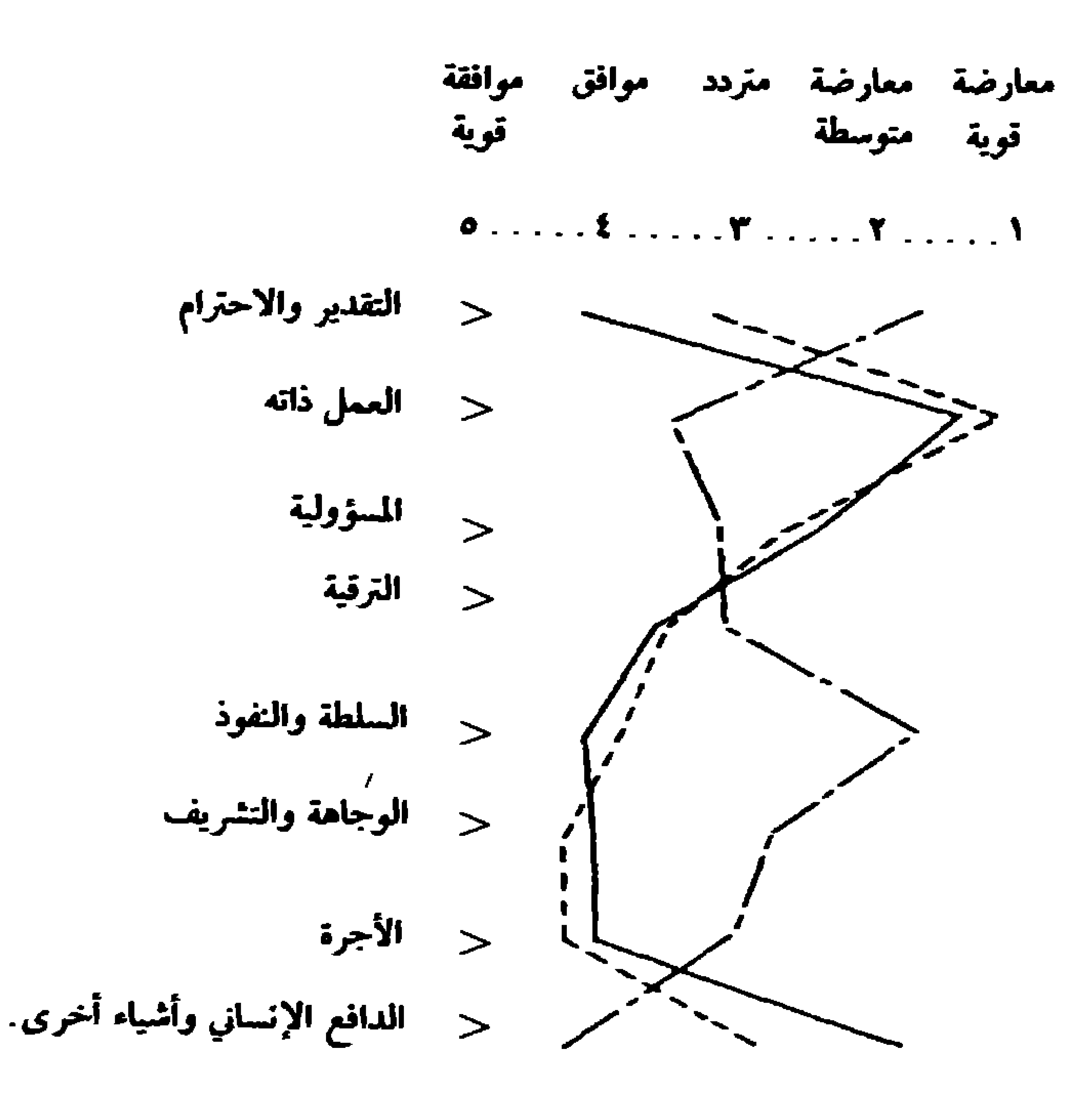
شكل رقم (٧ ـ ٤)
الوظيفة ومستوى المحترمية



يُظهر الشكل رقم (٧ ـ ٤) بوضوح أن الرساميل المكتسبة تحدِّد نسبياً أبعاد السلطة والنفوذ اللذين يمتلكهما الأكاديمي (كما هو في تقديره الشخصي) في وظيفته الراهنة. وإلى حد ما، فكلما كان الرأسمال الاجتماعي كبيراً ومعزَّزاً برساميل أخرى، كان مستوى المحترمية (السلطة والدفاع والردع والحصانة) عالياً. بينما أولئك الذين يكون رأسمالهم الاجتماعي والثقافي ضعيفاً، وتعتمد سلطهم على رأسمالهم العلمي فقط، تبدو سلطتهم أقلّ من سلطة الآخرين.

٢ ـ تقويم الإجابات عن السؤال: إبدِ رأيك في العوامل الآتية، كحوافز ودوافع في نشاط المثقفين العرب، وذلك بإبداء موافقتك أو معارضتك لها:

شكل رقم (٧ - ٥)
الدوافع والحوافز في نشاط المثقفين العرب



يبدو في الشكل رقم (٧ ـ ٥)، أن أولئك الأكاديميين الذين لديهم رأسمال اجتماعي كبير يوافقون على أن دوافع «العمل ذاته» و«الوجاهة والتشريف» و«المسؤولية» و«الدافع الإنساني» تشكّل حوافز في عمل المثقف العربي، وفي الوقت نفسه لا يوافقون على «التقدير والاحترام» و«السلطة والنفوذ والأجر» كعوامل تحرك نشاط المثقف.

أما الأكاديميون ذوو الرأسمال الاجتماعي المتوسط فيتبنّون عوامل «التقدير والاحترام» و«الترقية» و«السلطة والنفوذ» و«الوجاهة والتشريف» و«الأجر» كحوافز في عمل المثقف، بينما يعارضون دافع «العمل ذاته» كحافز وحده في عمل المثقف، ويبدو أنهم مترددون حول عامل «المسؤولية».

أما الأكاديميون المحرومون من الرأسمال الاجتماعي، فيعتبرون «التقدير والإحترام» و«الترقية» و«السلطة والنفوذ» و«الوجاهة والتشريف» حوافز تدفع المثقف العربي إلى العمل. ويبدو من إجابات المجموعات الثلاث أن هناك نوعاً من الاتفاق حول العوامل المشار إليها مؤخراً، إلاّ أن هناك اختلافات في التأكيد على واحد منها دون الآخر. وحسب هذه الإجابات لا تشكّل «المسؤولية» و«الدافع الإنساني» دوافع نحو العمل، في حين أن هناك تردداً بشأن «العمل ذاته».

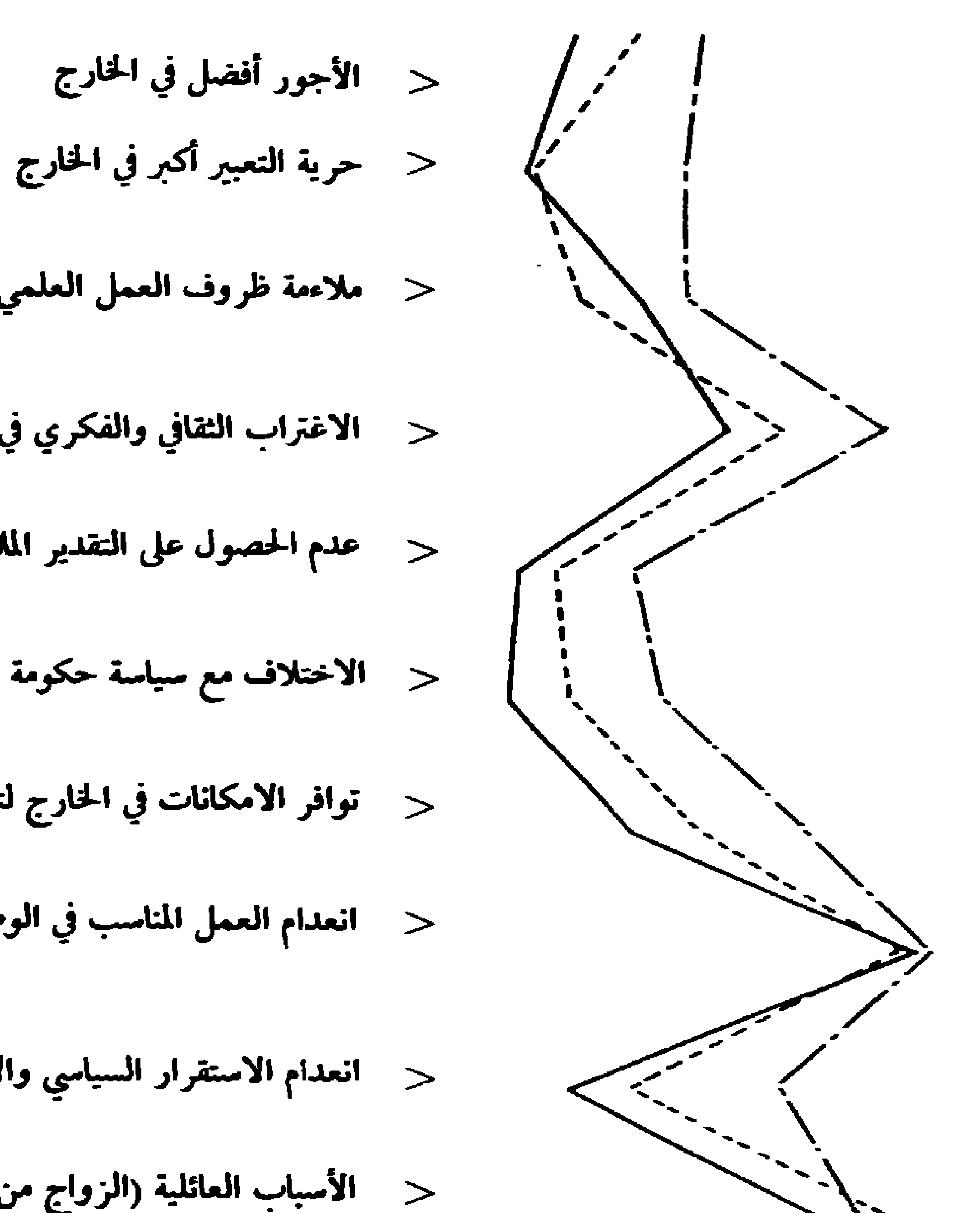
ومعطيات هذا الشكل تؤكد معطيات الشكل رقم (٧ ـ ٤)، ذلك أن الأكاديميين ممن يتمتعون بالسلطة والنفوذ بسبب رساميلهم، يميلون إلى التخفيف من قيمة عوامل السلطة والتقدير والاحترام والوجاهة في عملهم، ويحاولون، عن وعي أن يجدوا هويتهم في نشاطهم وعملهم لذاته، ويؤيدون دوافع أخرى كالعامل الإنساني. وبعبارة أخرى يميلون إلى وسم عملهم بنوع من الاحتساب الاجتماعي والإرادة الطيبة.

بينما يبدو أولئك المحرومون من الرأسمال كأنهم مهتمون بذاتهم أكثر وبمواقعهم الخاصة. وينعكس هذا في تطلّعهم إلى التقدير والاحترام والترقية والنفوذ والزيادة في الأجر.

٣ ـ تقويم الإجابة عن السؤال: «ما هو رأيك في الأسباب الداعية إلى هجرة المثقفين العرب (إلى أوروبا وأمريكا الشمالية)»؟

يبين الشكل رقم (٧ ـ ٦)، أن أولئك الأكاديميين الذين تعوزهم الرساميل ينحون باللائمة على الأنظمة السياسية السائدة في الوطن العربي بالنسبة إلى هجرة الأدمغة، وذلك بموافقتهم على أسباب مثل «انعدام حرية التعبير»، و«النقص في الاعتبار» و«عدم ملاءمة السياق العلمي» و«السياسة المهيمنة في البلد»، و«انعدام الفرص لتطوير البحث»، و«عدم استقرار الأوضاع الاقتصادية والسياسية». في حين أن أولئك الذين يملكون رساميل كبيرة، يترددون في شأن العوامل السالفة أو هم غير موافقين عليها. أما أصحاب الرساميل المتوسطة، فيرون دوافع الهجرة في النقص في الاعتبار والتقدير وعدم ملاءمة السياق العلمي في بلدهم وانعدام حرية التعبير، أو هم مترددون في شأنها قليلاً.

شكل رقم (٧ ـ ٦)
الأسباب المؤدية إلى هجرة الأدمغة من الوطن العربي



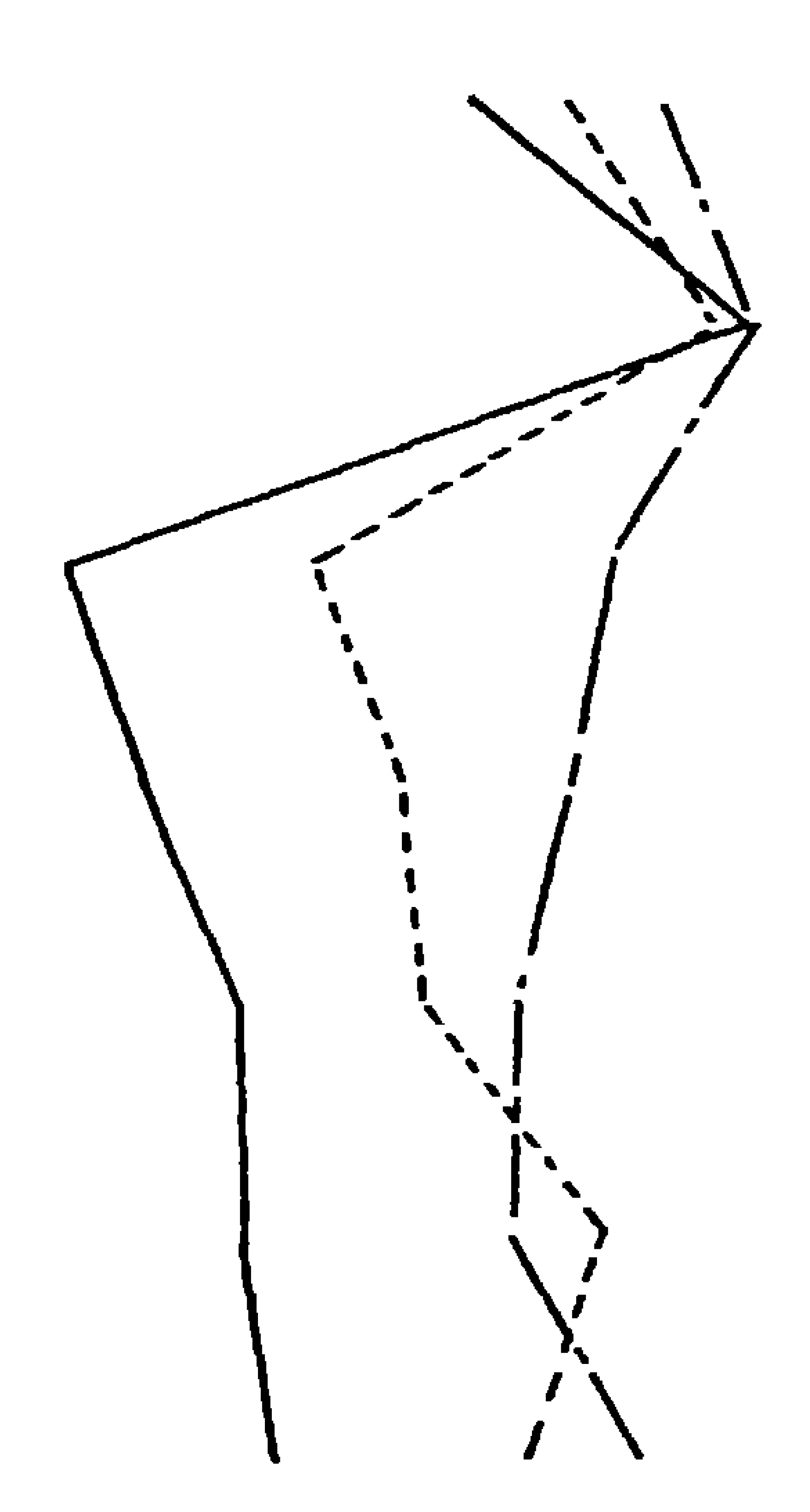
٤ ـ تقويم الإجابة عن السؤال: «ما هو مقدار المكانة والوجاهة التي يحظى بها شخص في مثل ثقافتك، في بلدك ضمن المجموعات الآتي ذكرها»؟

شكل رقم (٧ ـ ٧)
المكانة والوجاهة التي يحظى بها المثقف ضمن مختلف الفئات والمجموعات

المجموعة أ ـــ ـ ـــ ـ
المجموعة ب ـ ـ ـ ـ ـ
المجموعة ج ـــــــ

عليا   متوسطة   دنيا

٣ .... ٢ .... ١



< بين عامة الناس

< بين أفراد الأسرة والأقارب

< بين الموظفين الحكوميين والرسميين

< بين فئة الأنتليجنسيا في بلدك

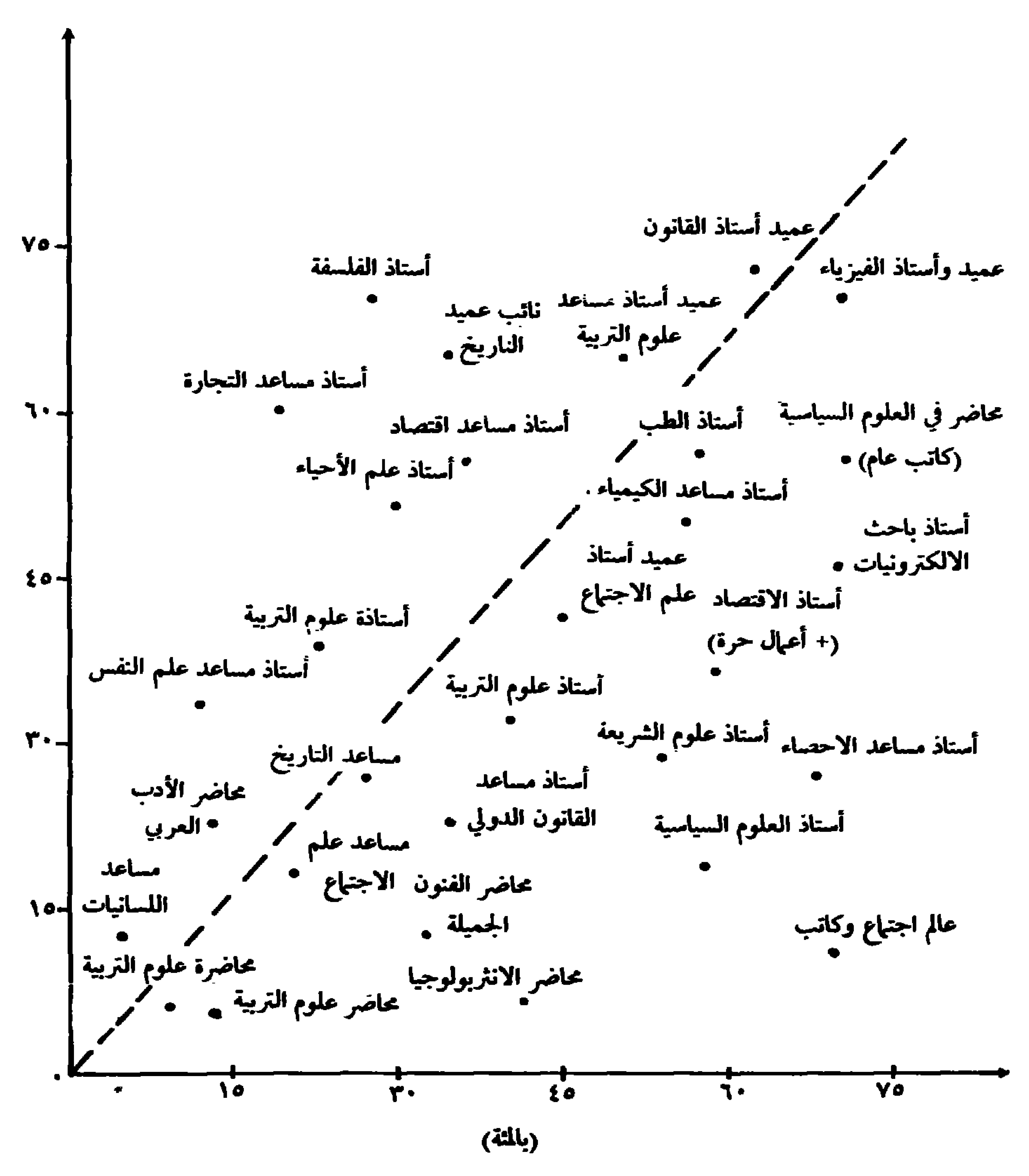
< بين فئة الأنتليجنسيا في البلدان العربية

< بين فئة الأنتليجنسيا في العالم الثالث

< بين فئة الأنتليجنسيا في أوروبا وأمريكا الشمالية

يبدو في الشكل رقم (٧ ـ ٧) أن أولئك الذين لهم رأسمال اجتماعي محدود، يحظون بمكانة ضعيفة بين الموظفين والحكوميين وبين الأنتلجنسيا عموماً في بلدهم. ومع ذلك فهم يحظون بمكانة عالية في أعين أسرهم وأقاربهم الذين يعتبرونهم أصحاب مكانة عالية في مجموعتهم. وعلى العكس من ذلك، فإن أرباب الرساميل الكبيرة، يعتبرون مكانتهم عالية ضمن كل المجموعات، ويقيّمون أنفسهم عالياً بين باقي الموظفين والرسميين والأنتلجنسيا الغربية.

شكل (٧ ـ ٨)
العلاقة بين الوظيفة الأكاديمية ودرجات السلطة والحصانة



تقويم الإجابة عن السؤال: «هل تمكّنك وضعيتك من فرض تصورك للأشياء؟»

يتضح من الشكل رقم (٧ ـ ٨)، أن أولئك الأكاديميين الذين يمارسون وظائف إدارية أو أنتلوقراطية، يعتقدون أن مكانتهم عالية ضمن الأنتلجسينا التي تشاركهم العمل الأكاديمي، ويعتقدون أيضاً أن مكانتهم تمكّنهم من فرض تصوراتهم للأمور. أما أولئك الأكاديميون ذوو المكانية المتدنية في هرمية الجامعة (المساعدون، مثلاً)، فيبدو، من إدراكهم الخاص، أن نفوذهم منعدم وسلطتهم ضعيفة ضمن الأنتلجنسيا في بلدهم.

تؤثر صرامة السلطة والنفوذ الأكاديميين وصلابتهما، بشكل كبير في بنية مواقع العاملين في الحقل الأكاديمي[20]، فهذه السلطة يطبعها في آن واحد المفاضلة والمراعاة (أو هي تفاضلية ومراعاتية) والسلطة في جانبها التفاضلي تنبني على قيم التراتب الهرمي العمودي، التي تضم، من بين ما تضم، اللامساواة في تقسيم العمل والمسؤوليات بين مختلف الأفراد والفئات بناء على موقعهم في سلم الهرم. والسلطة في جانبها المراعاتي، يرتب فيها الأفراد والفئات، الذين يؤدون نفس الوظيفة ويقومون بالنشاط نفسه أفقياً، لكن مع وجود هيمنة للبعض على البعض الآخر. وأسباب هذه الهيمنة يمكن تحديدها في كمية الرساميل وقيمتها، أي تلك الرساميل التي يراكمها الأفراد والفئات ويوظفونها، وفي الاعتبار والتقدير الذي تحظى به تلك الرساميل، وفي مدى الحاجة إليها في الحقل الأكاديمي.

وعمودية السلطة أو أفقيتها ليست بذات أهمية كبيرة، أو ليست هي العنصر المهم في المجال الأكاديمي، ذلك أن التراتب العمودي والأفقي يوجد في كل مجال مهيكل ومنظّم، ولأن هرمية التراتب متأصلة، ولا مفر منها في الوظائف والأنشطة المرتبطة بالسلطة. والنقطة الأساس هنا، توجد في العلاقة بين الترتيب والتأهيل أو عدم التأهيل والوضع خارج الترتيب، وتوجد أيضاً في ميكانزم التحكم في الآخرين وتسييرهم، الذي يسلكه الأفراد والمجموعات المتطلعون إلى الامتياز العلمي والفكري، وتوجد في علاقة القوى التي تنظّم الوجود الأكاديمي.

وبعبارة أخرى، فإن العنصر الأساس ليس المفاضلة البنيوية الوظيفية، ولكن التعارض الجدلي والتناقض في نشاط الأشخاص العاملين وفي وجودهم. ومن هذا المنظور، فإن علاقات السلطة بين الأكاديميين العرب تشير، ظاهرياً، إلى وجود خاصيات لها سمات علاقات السلطة نفسها بين الأكاديميين الغربيين، ومع هذا التماثل الظاهر، فإن السياق العربي ومجاله وزمانه وثقافته تشكّل نموذجاً أصيلاً ومتفرداً، كما سبقت الإشارة إلى ذلك. ولذا، فإن علاقات السلطة أو علاقات القوى تكون منظمة ومتشابكة، وتتبع في تنظيمها وتشابكها أهمية مستويات المحترمية التي يحظى بها الأكاديميون في حقلهم المعرفي ومجالهم الإجتماعي. ولذا، أيضاً، فإن التمثّل الذي يقيمه الأكاديمي لنفسه في سلم المحترمية، والتمثّل الذي يقيمه الآخرون له، يشكلان معاً واحداً من أسباب التنافس والصراع بين الأكاديميين، وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل اللاحق.

---

(٢٠) المصدر نفسه.

جدول رقم (٧ ـ ١)

أصناف السلط والمواقع وعلاقاتها بمختلف الوسائل والاستراتيجيات المستعملة في المجال الاكاديمي العربي

الوسائل والاستراتيجيات	مستويات المحترمية			
	الاندماج (الوظيفة المهنية)	السلطة والنفوذ	الدفاع والردع	الحصانة
ـ الانتاج الفكري والابداع ـ (الرأسمال الثقافي والتعليمي)	ـ التعيين في العمل وفقاً للشهادة الجامعية ـ الدخول إلى المجال الجامعي على أساس المعرفة	ـ المكانة الرسمية عبر القواعد المؤسساتية ـ العضوية الكاملة في م. اك ـ الاعتبار الفكري.	ـ السلطة العلمية والفكرية ـ ملكية النفوذ العلمي ـ قابل للتحدي لكن بامكانه الرد بالمثل.	ـ موقع من الاحترام العلمي والمصداقية ـ انتاج غزير وابداع ـ الرفعة العلمية ـ الرأسمال الرمزي ـ الشهرة العلمية.
ـ التكنوقراطية الادارية (الانتلوقراطية)	ـ القبول في العمل كموظف حكومي (العضوية في الجهاز الرسمي)	ـ الخبرة والمعرفة ـ القيام بدور وسيط مؤسساتي	ـ دور حراس الأبواب في الهرمية الادارية ـ المراقبة والاشراف	ـ امتيازات وسلطة صنع القرار. ـ سلطة التصرف.
ـ الانتماء السياسي والتحالفات السياسية	ـ التماهي مع أنموذج سياسي ـ الاندماج الايجابي أو السلبي ـ التصنيف السياسي	ـ اكتساب المشروعية والنفوذ عبر الانخراط العضوي	القلم مدعم ومعزز بالسيف كل واحد في الانموذج إلّا وبامكانه ردع الآخرين	ـ مكانة لا يمكن مس صاحبها وتتعلق رفعتها وضعفها بصعود أو بنزول الانموذج المهيمن
ـ العلاقات الاجتماعية (الرأسمال الاجتماعي)	ـ الاندماج كعضو في مجموعة أو دائرة اجتماعية معينة ـ ضمان الحماية عن طريق الروابط والعلاقات الاجتماعية ـ الشعور بالانتماء	ـ نفوذ وشهرة ناجمتان عن العلاقات السلطوية والروابط الاجتماعية.	ـ العلاقات الاجتماعية تمنح سلطة في التعامل مع الآخرين. ـ القدرة على مقاومة التحدي وتطاول الآخرين	ـ اكتساب الحصانة وبوسيلة الرأسمال الاجتماعي.

جدول رقم (٧ - ٢)

العلاقة بين مكانة الأب والوسائل المستعملة في تحسين موقع الاكاديمي

(نسب مئوية)

الوسائل	مكانة الأب الاجتماعية		
	عالية	متوسطة	دنيا
أن تكون له علاقات اجتماعية	١٦,٥	١٤,٥	٥٠,٠
أن يكون عضواً في حزب سياسي	٦,٥	٧,٠	١٤,٥
أن يكون عضواً في جمعية مهنية (نقابة)	٦,٥	٢,٠	٧,٠
أن يكون مُجِدّاً ومثابراً في عمله	٢٠,٠	١٠,٥	٢١,٥
أن يكون مبدعاً ومثابراً ومنتجاً علمياً	٤٧,٠	٣٧,٥	٧,٠
أن يكون خاضعاً للأوامر وممتثلاً لها	٣,٥	٢٥,٠	-
أن تكون له دوافع وحوافز وطنية	-	٣,٥	-
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠

$X^2 = 25.67$ $df = 12$ $p < 0.01$

الفَصْل الثَامِن

الصِّراع وَالتَنافس بَين الأكاديميّين

«المجال الأكاديمي، شأنه في ذلك شأن أي مجال آخر، هو مكان للصراع من أجل تحديد الشروط والمعايير التي تضفي المشروعية على العضوية وعلى الهرمية التراتبية، وهذه الأخيرة هي التي تحدد الخاصيات الملائمة والفعالة والمسؤولة عن جعلها تعمل كرأسمال يحقق الأرباح الخاصة بالمجال والمضمونة فيه»[1].

في ما سبق من الفصول تعاملنا مع الأكاديميين كما لو كانوا يشكّلون فئة موحدة، مع أنهم في الواقع ينتمون إلى كليات مختلفة ويعملون في أنشطة علمية ومعرفية متباينة. ولهذا نرى من الضروري، بعد الانتهاء من المرحلة الأولى من الدراسة، أن نميز بين المجموعات العاملة في المجال الأكاديمي على أساس اختصاصاتها العلمية والمعرفية. ذلك أن موقع الأكاديمي في المجال الأكاديمي وفي المجتمع ككل يتأثر كثيراً بالاختصاص الذي يمارسه، وكذلك تتأثر نظرة السلطات السياسية والمؤسسات الإدارية في تقويمها لمكانته. وهذا يعني أن مواقع الأكاديميين في حقولهم المعرفية وما يمتلكونه من رساميل في إطارها، هي التي تتسبب في تصنيفهم تبعاً لأوضاعهم المتميزة وللأوليات والامتيازات لذلك الاختصاص.

ومن نافلة القول أن نذكر هنا، أن لهذا تأثيراً واضحاً على وجاهتهم وعلى تمثلاتهم وعلى الصورة المكونة لهم، سواء في أعينهم هم أنفسهم أو في أعين الإدارة والانتلوقراطية (Intellocracy) والمجتمع عموماً. ولا بد أن يكون هذا التمايز بين الأكاديميين ماثلاً في أذهاننا، ونحن ندرس الأكاديميين في الوطن العربي، ونحلل تعايشهم في مجالهم، الذي يجري فيه صراع واعٍ ونشيط من أجل النفوذ والسلطة، وحيث توظّف كل الرساميل لتحقيق الغايات القصوى من النفع وتدعيم المواقع. وهذا الصراع السائد في المجال الأكاديمي شبيه بالصراع الذي وصفه بلو (Blau)[2] بكونه «سلاسل من الألعاب المختلطة والمتشابكة، تكون لكل

(١) Pierre Bourdieu, *Homo académicus* (London: Polity Press, 1988), p. 11.

(٢) Peter M. Blau, *Exchange and Power in Social Life* (New Brunswick, U.S.A.: Transaction Books, 1986).

مجموعة أعضاء نصيب فيها ولهم فيها مصالح متضاربة». ومن هذا المنظور، فإن الصراعات السائدة في المجال الأكاديمي تتعلق على الأقل، بأربعة عناصر هي: الامتياز العلمي، والتماهي الثقافي، والضرورة الاجتماعية، والموقع الأكاديمي أو الوظيفي.

أولاً: الامتياز العلمي

يسعى الأكاديمي، في إطار نشاطه، إلى أن يجعل من اختصاصه فرعاً أصيلاً في المعرفة وأن يعطيه توجهاً خاصاً، يمنحه سمة التميز عن الفروع المشابهة. ومن هنا، فهو يحارب التعميم، ويحافظ على تميزه عن «القادمين الجدد» الذين «تعوزهم الخبرة» والذين من شأنهم أن يشكلوا تهديداً لمجال سلطته بما لهم من معرفة. وهذه الإجراءات التي يتخذها الأكاديمي يمكن أن يتولد منها صراع بين الأكاديميين القدامى وبين القادمين الجدد المتطلعين إلى موطىء قدم في الحقل المعرفي.

«هناك شكوى شبه دائمة من الشبان الأكاديميين الجدد ومن قلة كفاءتهم في وظيفتهم ومسؤوليتهم. فهم ينقصهم التكوين المناسب، وهذا ما تلاحظه الهيئة التعليمية ويلاحظه الطلبة.

وفي أيامنا هاته يوجد عدد كبير ممن يعتبرون مؤهلين تأهيلاً عالياً، ولكن عدداً قليلاً منهم يستحق هذه التسمية.

وينظر بعض الأكاديميين، بسبب شهرتهم واستعلائهم إلى زملائهم نظرة لا مبالاة تنمّ عن نوع من الازدراء...

ويمكن أن يفسَّر موقفهم هذا بعقدة الاستعلاء التي تكون عند الأكاديميين القدامى نحو زملائهم الأصغر منهم سناً...

وموقفهم هذا غير بنّاء من وجهة نظر التفاعل العلمي...».

(محاضر/ اللسانيات).

ويتضمن هذا الموقف عنصراً اصطلح عليه ڤيبر بـ «الاستعلاء الخفي أو غير الظاهر»[٣]. ذلك أن كل أكاديمي بصفته صاحب معرفة وبصفته شخصاً يوجد في موقع في حقل معرفي أو علمي معين، يعتبر نفسه، بطريقة أو بأخرى، تجسيداً لتلك المعرفة أو ذلك العلم الذي ينتمي إليه. فهو ينظر إلى علمه كحقيقة أصيلة ودقيقة تعطيه حظوظاً كثيرة للرفع من مكانته الاجتماعية إلى مداها الأقصى وإلى اكتساب ما يساوقها من سلطة ونفوذ. وتأكيد الدقة والصرامة العلميتين لا ينحصر بين الأكاديميين القدامى والجدد وحسب، ولكن يتعداه إلى الطلبة الذين يعانون، في بعض الأحيان، عقدة استعلاء الأستاذ:

---

(٣) Max Weber, *From Max Weber: Essays in Sociology*, edited and with an introduction by H.H. Gerth and C. Wright Mills (New York: Oxford University Press, 1946), pp. 129 - 156.

«هناك أساتذة مشهورون، يعاني منهم الطلبة الأمرّين في الامتحانات ، فهم بدعوى صرامة علمية كاذبة يرسبون الطلبة (خاصة في الامتحانات الشفوية . . .) وبذلك يكوّنون لأنفسهم عند الطلبة صورة الجلاد ويشتهرون عندهم بالسادية . . . وهم بذلك يصبحون أشخاصاً مهمين ومتميزين ولكن ليس بعلميتهم، ولكن بقساوتهم الوحشية . وفي ممارسة العلم بهذه الطريقة، التي تتجاهل المناهج التربوية الحديثة، سلوك ينتمي إلى القرون الوسطى . والمؤسف في هذا، أن هناك تواطؤاً بين هؤلاء الأساتذة الساديين ورجال الإدارة الذين يريدون الحفاظ على سلطة كبيرة للأستاذ يضمنون بها انضباط الطلبة . فالإدارة تظن، خطأً، أن التلقين يتطلب قبل كل شيء الانضباط التام غير المشروط . فالجامعة عندنا ما زالت تحمل سمات المعسكرات . . .» .

(أستاذة محاضرة/ التاريخ) .

والملاحظ أن الأساتذة القدامى، ممن يملكون السلطة والوجاهة وحق العضوية في المجالس العلمية والاشراف أو الحفاظ على العلموية (Scientificity)، لا يقبلون بسهولة اندماج القادمين الجدد في المجال الأكاديمي، فهم يضعون العراقيل في طريقهم قبل السماح باقتسام السلطة الأكاديمية معهم . والغريب أنه يعاد إنتاج هذا الوضع ويعاد ترسيخه على الرغم من التغيرات التي تعرفها الأوضاع السوسيو ـ سياسية . ففي سوريا ومصر، على الخصوص، ما تزال المفاضلة قائمة في تقدير العاملين في الحقل الأكاديمي وتقويم أعمالهم، على الرغم من وجود تغييرات في هذين البلدين من النوع المشار إليه . وهذا ما لاحظناه مثلاً في تعليقات الأكاديميين فيهما:

«البعض من المثقفين الجدد يمكنهم أن يتحدثوا إليك الساعات الطوال في أي موضوع، ولكن تكتشف في النهاية أنهم لم يقولوا أي شيء . . . فهم يملأون سمعك بعدد من المفاهيم المجردة الفارغة . مستعملين منطقاً يؤكد شكل الأشياء ويضيع جوهرها . . . هذه هي ميزة المثقفين الجدد، فالعلم غريب عن فكرهم . والعلم أكثر جدية من بلاغة هؤلاء الفارغة . . .» .

(أستاذ/ التاريخ) .

«في نظر بعض الأساتذة، أن المستوى العلمي انخفض، وأن المعرفة العلمية عند أمثالنا من الأساتذة الشباب ناقصة وغير فعالة . فهم يعتقدون أنهم يمثّلون الأصالة والكفاءة، بينما نحن لا نمثّلها، وردّة فعلهم هاته نمط معروف عند اولئك الذين لا يستطيعون مسايرة الركب العلمي ويبقون مرتبطين بتصورات معينة يحاولون استعمالها في مقاربة كل الظواهر الاجتماعية . وعندما يواجَه هؤلاء بأفكار جديدة يكون ردهم محافظاً، وذلك بسبب الاختلاف في التصورات والمنطلقات . . . في بعض الأحيان يكون ردهم قريباً من أصحاب العقول الرافضة . . .» .

(أستاذ مساعد/ الأنتربولوجيا) .

إضافة إلى هذا قد يتطلع الأكاديمي، في بعض الحالات، إلى اكتساب نوع من السلطة والنفوذ، يمكن أن نصطلح عليه بـ «النفوذ الدائم الحضور» أو «سلطة ذات قدرة كلية(Omnipotence)» . فالأكاديمي في تطلّعه هذا يحاول أن يكون حاضراً في كل شيء وفي كل مكان: في اللجان، وفي الاجتماعات، وفي الندوات، . . . وحتى إن استحال حضوره

جسدياً، فهو حاضر عن طريق شهرته وعلاقاته وأتباعه وزملائه الـذين ينتمون إلى المجموعة نفسها. ويضع هذا النفوذ الدائم الحضور الأكاديمي في موقع تكون فيه هيمنته العلمية ذات فعالية متعددة المجالات والسياقات. وبذلك يكون موجوداً في كل مكـان وغير مـوجود في أي مكان. وبما أن هذه السلطة أو هذا النفـوذ لا يتمتعان بصفـة الدوام في السيـاق العربي، فـإن الأكاديمي يسعى، في غالب الأحيان، إلى تدعيم نفـوذه بنوع من الاعتبـار والتقديـر يتجاوزان سياقه الخاص الى سياقات أخرى.

ومن هذا المنظور، فإن من بين الـوسائـل الأخرى المكمّلة التي يتـوافر عليهـا الأكاديمي لتقـوية مكـانته ونفـوذه، وسيلة تتمثل في استخـدامه شكـلاً من اشكال التجـاوز أو التسامي (Transcendance)؛ وما نعنيه هنـا بالتجـاوز أو التسامي هـو استثمار الأكـاديمي مثلاً رأسماله المعرفي خارج مجاله الثقافي الضيّق، كأن يستثمر رأسماله في الثقافة العالميـة أو الثقافـة الغربيـة (ثقافة الميتروبول أو المركز).

ويعتمد هذا التجاوز بشكل قوي، على انتاجية الأكاديمي العلمية وعلى إبداعه المعرفي، الأمر الذي يتطلب، إلى حد ما، نوعاً من الأصالة والمصداقية العلميتين. والواقع، كما أشرنا سلفاً، أن كل اعتبار يأتي من الخارج، يكون له تأثير في موقع الأكاديمي في بلده:

«إن اولئك الأكاديميين الذين يعتبرون أنفسهم ذوي مؤهلات وكفاءات يحاولـون الحصول على الاعتبار والتقدير في المنابر الدولية. وباكتسابهم الاعتبار والتقدير في الخارج يحصلون على مكان في مجالهم الأكاديمي الوطني. وهذه الطريقة في الحصول على الحجة والتصديق من الخارج يتبعها الباحثون الجدد ممن ووجهوا بالرفض وعـدم الاعتراف بهم من قبـل ذوي المقام العلمي الـرفيع هنا في هذا البلد».

(أستاذ مساعد/ الرياضيات).

وإذا كان استثمار رأس المال في سوق المعـرفة الغـربية يسمـح للأكـاديمي ببناء نـوع من السلطة العلميـة والحرمـة، فإنـه يمنحه أيضـاً ـ وبدرجـات متفـاوتـة ـ نـوعـاً من قـوة الـردع والحصانة. وبعبارة أخرى، فـإنه عنـد نجاح الاستثمار، يكسب صاحبـه نوعـاً من التحصين المؤقت أو الدائم، ومن تحصينه ذاك يمكن أن يتحدى الأشخاص الآخـرين في مجالـه وحتى في مجال السلطة الحاكمة.

وعندما يصل بعض الأكاديميين إلى مواقع يمتلكون فيها سلطة معرفية مدعمة بالمشروعية المؤسسية الإدارية، فـإنهم من مواقعهم تلك يمثلون دور «حـرّاس الأبواب» «أو «البـوابين» إذ يسمح لهم هذا الدور بتقويم معرفة الآخرين والتصديق عليها، إما بتأكيد كفاءتهم العلمية أو برفضها. ولهـذا أيضاً، فـإن حرّاس الابـواب هؤلاء يمتلكون سلطة قبـول القادمـين الجدد أو رفضهم، أي حق محـاكمتهم وفـرض أنفسهم وفـرض تقـويمـاتهم عليهم من مـوقـع «خـبراء المعـرفـة»:

«عند ترشيحي لكرسي الأستاذية، فوجئت بالرفض ولم أُنتخب للمنصب، لأن إنتاجي العلمي، في رأي هيئة الخبراء، لا يستجيب لمتطلبات المنصب. لقد شعرت وقتها بخيبة أمل وإحباط كبيرين، وذلك لسببين، أولهما أن بعض الأعضاء في الهيئة لم يكونوا مؤهلين علمياً للحكم على معرفتي حكماً صائباً، وثانيهما أن الشخص الذي أُنتخب مكاني، لم يكن له، في رأيي ورأي الزملاء الآخرين، التأهيل العلمي المناسب. وامتيازه الوحيد أنه ينهج في كتاباته النهج الذي يتبعه معظم أعضاء الهيئة».

(أستاذ مساعد/ العلوم الإنسانية).

«بعض الأكاديميين القدامى يتسمون بجمود فكري ونظرة ضيقة لا تسمح لهم بتقبُّل أفكار جديدة أو تصورات أخرى... فعلى سبيل المثال الشخص المشرف على مجلة الكلية وعلى مجلات أخرى، رفض للمرة الثانية نشر مقال لي، ففي كل مرة يطلب مني إدخال تعديلات... أنا أعرف السبب، فهو لا يعجبه تصوري للأشياء، وهي طريقة مؤدبة منه لقول لا. والواقع أن محتوى المقالتين كان نقداً مباشراً لتصوره العلمي ولقيمه الإيديولوجية».

(أستاذ محاضر/ «ماركسي»/ الفلسفة).

ويتسبب قياس درجات «علموية» الآخرين بحسب المعايير الموضوعة ووفق القواعد العلمية والإدارية القانونية، في خلق «صراع الأقدمية» أو «صراع الأسبقية». فأولئك الذين يحتلون المواقع في المجال يفرضون طريقتهم في التفكير ويفرضون قواعد اللعبة. فهم كـ «حرّاس للعلموية» يلعبون اللعبة وفق استراتيجياتهم الخاصة ومعتقداتهم الفكرية، مما يجعلهم متحكمين في اللعبة ومسيطرين عليها. ومن البديهي أن يُرى القادمون الجدد، في هذا السياق، كأصحاب بدع أو كمخربين للعقيدة، عندما يحاولون إدخال تصورات جديدة وقواعد جديدة، ومعايير قيم أخرى تُضعف رموز الارثوذكسية. ومن البديهي أيضاً ألا يُرضي هذا «حرّاس العلموية» الذين يرون في أقدميتهم (الأقدمية تعني هنا طول المدة، والخدمات، والسن) في مفهومها الثقافي العربي، مبعثاً للاحترام والسلطة.

ولا يعتقد المحافظون على الأقدمية العلمية في أنفسهم أنهم وحسب أصحاب معرفة وتجربة عريضتين تراكمت خلال السنين، ولكن يعتقدون أيضاً أنهم يدافعون عن التوجه العلمي الصحيح وعن التقاليد. لذا، فإن كل من سوّلت له نفسه وضع تصوراتهم موضع السؤال أو تحديها، فإنه لا يعُتبر فقط تهديداً لسلطوية موقع الحراس القدامى، ولكن يُعتبر أسوأ من ذلك، إذ يعتبر راكباً مركب الشكل العلمي.

إلى جانب هذا الصراع بين الأكاديميين القدامى والجدد، هناك صراع آخر من قبيله ولكن يختلف عنه قليلاً، وهو صراع شخصي، بين من لهم موقع قدم في المجال وبين القادمين الجدد. إذ يتخذ «العنف الرمزي» طابعاً شديد الحدة، بين هؤلاء في تعارضهم وتنافسهم من أجل اكتساب الامتيازات والوصول إلى المواقع ذات النفوذ. فهم لا يدّخرون وسيلة من الوسائل المتوافرة لديهم إلا استعملوها. وإلى هذا أشار أحد المشاركين وسمّاه «أكل لحوم البشر بين المثقفين»، ويدخل فيه المؤامرات وتشويه السمعة واستعراض القوة الرمزية وتعزيز كل ذلك بالتحالفات «العشائرية الأكاديمية». وهناك استراتيجية أخرى وهي التحكم غير المباشر،

المتمثل مثلاً في التصديق على ما عند الآخرين أو إلغاء ذلك التصديق، وفي تجاوز الآخرين... إلخ وكل هذا يعطي طابعاً بوجود صراع عنيف تضيع فيه الحمائم في مواجهة الصقور التي تمتلك المؤهلات والشهادات والشهرة، وتستعملها بكاملها في هذا الصراع:

«الأستاذ الدكتور ف... شخصية علمية محترمة... كان مرشحاً لإدارة معهد الأبحاث في... وقد استعمل خصومه ـ من هم أقل منه معرفة ويريدون تولي المنصب ـ ماضيه السياسي في الحزب الشيوعي للتقليل من حظوظه في تولي الإدارة. فأشاعوا عنه الأقاويل الرخيصة لتشويه سمعته وصورته، ولخلق مناخ غير ملائم له، حتى يحولوا دون تعيينه. وقد نجحوا بالفعل في ذلك...».

(أستاذ مساعد/ علوم التربية).

وصراع المواقع هذا بين الأكاديميين ـ الذي يمكن أن يوجد حتى بين أشخاص من كليات مختلفة ـ له وضع معقد ومتعدد الأبعاد، بحيث يمكن أن يتخذ طابع «صراع غير متحضر بين أشخاص متحضرين، أو طابع صراع ينزع التحضر عن أشخاص يسمّون أنفسهم بأكاديميين متحضرين»[4]. وبما أن كل العاملين في المجال الأكاديمي والحقول المعرفية المرتبطة به يدخلون في صراع رمزي، فإنه من غير المستغرب أن تقع مفاجآت وتقلبات في الأوضاع:

«م... أحد أصدقائي القدامى، سبق أن نشرنا معاً بعض المقالات. وهو اليوم أستاذ في جامعة... منذ سنتين عندما نشر لي كتاب «الإنسانية...» دون أن أعلمه بذلك مسبقاً، انتابه نوع من الغيرة الطفولية، وأخذ ينتقد كل ما أكتب ويعارضه. وقد، بلغ حدّ توجيه بعض الأصدقاء ضدي ليمنعوا انتخابي لرئاسة جمعية...».

(أستاذ/ الأنتربولوجيا).

في هذا الصراع من أجل المصداقية، يحاول الأكاديميون الاستفادة من كل رؤوس الأموال الموضوعة رهن إشارتهم، ذلك أن قوة موقع الأكاديمي تقاس وتحدَّد بما له من رساميل. والرساميل هنا ـ سواء أكانت رمزية أم اقتصادية ـ كلها ذات أهمية في مثل الظروف التي يعيشها الأكاديمي. فكلما كانت الرساميل عريضة، كان الأكاديمي على استعداد للذهاب إلى أبعد نقطة ممكنة ولتحمُّل الأخطار أكثر من غيره ممن هم أقلّ رأسمالاً منه. فالرأسمال الاجتماعي، مثلاً، يسهّل على الفرد التحكم في الآخرين وتسييرهم وفق رغباته، والرأسمال الاقتصادي يسمح له بالانسحاب التكتيكي، والرأسمال الرمزي يمكن توظيفه للحصول على مساعدة الآخرين وتعاطفهم معه.

ثانياً: التماهي الثقافي

ويتوازى مع هذا الصراع من أجل «العلموية» (Scientificity)، مع صراع آخر سببه الاختلاف في الثقافة والتماهي بحيث يمكن موضعته في التصورات العلمية والتكوين التعليمي

(٤) لقد وصف الأديب المصري طه حسين وصفاً جيداً، هذا الصنف من الصراع عندما كان طالباً في جامعة الأزهر. انظر في هذا الصدد: طه حسين، الأيام (١٩٢٩).

والتربوي والانتماء الاجتماعي، التي ينتج منها تحديد السلطة، والامتيازات في حقول معرفية معيّنة. وربما كان هذا الصراع موجوداً في كل المجالات الأكاديمية في كل البلدان، لكن لهذا الصراع طابعاً خاصاً في البلدان النامية، مثل البلدان العربية، حيث ما زالت المؤسسات الأكاديمية المقامة على النمط الغربي فتية. ذلك أن الجيل القديم من الأكاديميين في المؤسسات العربية على الخصوص، ما يزال يتصور وظيفته ونشاطه في نمط قريب من أنماط السلوك الضاربة جذورها في تقاليد الثقافة العربية الإسلامية[٥]. هذا في وقت يوجد فيه إلى جانب هؤلاء مجموعات من الأكاديميين ممن تثقفوا في معاهد غربية ويعلّمون، حتى اليوم في بعض الحالات، بلغات أجنبية، فهم، بعبارة أخرى، مرتبطون بالمدارس الفكرية الغربية التي تشكل مدارسها ومناهجها ونظرياتها في التحليل والمقاربة بالنسبة إليهم مصدراً للتميز الفكري والثقافي ومرجعية للتماهي. وهذا يتسبب في بعض الأحيان في صراع حول الأصالة الثقافية تتجاذبه الخصوصية العربية الإسلامية وملاءمة أو عدم ملاءمة الثقافة والعلوم الغربية، كما يتسبب أيضاً في ما يُعرف بالاغتراب الثقافي أو الاستلاب الثقافي.

وهناك مشكل آخر يتعلق بالإبداع والأصالة العلمية. فَقَدْ لوحظ مثلاً، أن كثيراً من الكتب الأكاديمية[٦] ما هي في الواقع إلا نقل حرفي أو جزئي للكتب الأجنبية أو ما هي إلا إعادة أفكارها نفسها بطريقة ذكية وتقديمها إلى القراء على أساس أنها أعمال أصيلة تحت عناوين وأوصاف أخرى:

> «هناك بعض من الزملاء لهم لائحة طويلة من المنشورات. فالكم كثير ولكن المحتوى والقيمة لا يتعديان، مع الأسف، المستوى الأولي للكتب المدرسية...
>
> إنهم يسمّون إنتاجهم هذا إنتاجاً ثقافياً علمياً وأنا أسمّيه الابتذال والتكرار والعقم... انهم يكتبون الأشياء نفسها حول المواضيع نفسها بطريقة مضجرة وبعبارة مغايرة...
>
> بعضهم يقوم بذلك بطريقة مدغولة، فهم يعيدون نشر الشيء نفسه الذي نشروه من قبل بالعربية، بلغات أخرى... (حتى يزيدوا في لائحة منشوراتهم).
>
> ربما كان ذلك بسبب أن تجارة النشر مفتوحة في وجه أي كان... ولكن القليل هو الذي يصل حقاً إلى إنتاج علمي أصيل...
>
> حذار من أن تُبهر بهؤلاء الكتّاب الذين يكتبون في كل شيء والذين تجدهم حاضرين في كل نقاش وفي كل منبر... فالكثير منهم ينقصه الإلهام الفكري والثقافي...».

(أستاذ/ الأنتربولوجيا).

---

(٥) لقد اختص العلماء في الماضي بالاحترام الكبير من قبل الطلبة. وقد كانت تخول لهم سلطة واسعة من طرف آباء الطلبة ومن المؤسسات الرسمية. كما أن العلماء الأكبر سناً، كانت تجربتهم وكبرهم في السن يعطيانهم حقوقاً وسلطة على من هم أصغر سناً من زملائهم. أما اليوم، وحتى وإن كانت بعض المظاهر السلطوية ما زالت موجودة في العلاقات بين الطلبة والأساتذة، فإن هذه تعرف تغييراً كبيراً بفعل إدخال النظام التعليمي الغربي.

(٦) انظر على الخصوص النقد اللاذع لهشام شرابي في مؤلفه: **مقدمات لدراسة المجتمع العربي** (بيروت: الدار الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٥)، ص ١٠٠ ـ ١٠٨.

وهذا المشكل يجعل أولئك الذين يعتبرون أنفسهم «باحثين أو مثقفين أصلاء» ينتقدون بشدة ما يسمّونه «العلموية الكاذبة» أو «الارتزاق الثقافي». فالباحثون الاصلاء يعتقدون أنهم يفهمون جيداً وضع أولئك الذين يسترزقون مادياً من نشر «كل هذه الأصناف من النفايات». (أنظر الاستجواب رقم (١) في الملحق). فبالنسبة إلى هؤلاء الأصلاء لا تضر هذه الطريقة في ممارسة العمل الثقافي والفكري وحسب بالعلم والمعرفة، ولكنها تضر أيضاً بالصورة العلمية والثقافية للمجموعة التي ينتمون إليها[٧].

إضافة إلى هذا، يُعتبر هذا العمل نوعاً من غش المستهلك، وذلك بخيانة ثقته فيهم وفي أصالة إنتاجهم الثقافي. وهذا ما يجعل الكثيرين يقتنعون بضرورة الرجوع إلى أعمال الباحثين الأجانب ودراساتهم، إن هم أرادوا أعمالاً أكثر جدية. وأصحاب هذا الإنتاج هم من عرّفهم ڤيبر (Weber)[٨]، بأنهم أناس لا يعيشون وحسب من أجل العلم وحسب، ولكنهم يعيشون بالعلم أيضاً. ونحن نضيف هنا أن هناك أيضاً من يعيش على حساب العلم.

في كثير من الحالات يجد الأكاديميون أنفسهم، ولأسباب مختلفة إما تاريخية وإما تعليمية وإما عائلية، أحاديي اللغة أو أحاديي الثقافة، في مجتمع ينبني أساساً على استعمال لغتين وثقافتين، بحيث يكون السياق المجتمعي متجذراً في عالمَين من الرموز والقيم والتقاليد والأنماط الفكرية والعقلانية (على سبيل المثال: المغرب والجزائر وتونس ولبنان).

والأكاديمي في هذا الوضع يعاني من الحرمان من واحد من نمط الرموز أو نمط الثقافة. وهذا الحرمان يبدو واضحاً في رساميله، بحيث قد يتخذ الحرمان من رأس المال شكلاً من أشكال الاغتراب عن المحيط الثقافي، سواء أكان هذا الاغتراب عن الثقافة العربية الإسلامية أم عن الثقافة الغربية:

«أبي كان مثقفاً ثقافة فرنسية، وأنا بدوري تعلمت في مدارس البعثة الفرنسية والتحقت بعدها بجامعة في باريس. فالعربية كانت دائماً بالنسبة إليّ لغة ثانوية... وحتى إن كنت لا أحتاج إليها اليوم في عملي، فإنني أشعر دائماً أن عليّ أن أدرسها أحسن... والواقع أن عملية التعريب تتسع يوماً بعد يوم...».

(محاضر/ اللغة الفرنسية وآدابها).

وفي بعض الأحيان يجعل الأكاديمي من اغترابه وسيلة للاستعلاء عبر انتمائه إلى حقل يمنحه هوية ثقافية ورمزية. ولكن لهذه الهوية في الواقع مظهرين مختلفين. المظهر الأول منها متجذر في الثقافة المحلية الوطنية ـ من رموز ولغة وتقاليد ـ التي ترمز إلى شكل من أشكال الأصالة والارتباط بالهوية العربية الإسلامية. ولهذا فإن أولئك الذين يرتبطون بالثقافة المحلية يعتبرون تعليمهم تعليماً أصيلاً بحق، ويرون أنفسهم يعملون بالتصاق مع واقعهم، لأنهم

---

(٧) المصدر نفسه، ص ١٠٢ ـ ١٠٤.

(٨) Weber, *From Max Weber: Essays in Sociology*, pp. 129 - 156.

يحاولون فهم ذلك الواقع عبر هيكل علمي نابع من ثقافتهم. وهم في هـذا يلقون اللوم عـلى زمـلائهم «المغرِّبـين» (نسبة إلى الغـرب) أو الموجهـين توجهـاً غربيـاً. علاوة عـلى هذا، فهم يعتبرون تحليلات زملائهم «المغرِّبين» للثقافة العربية تحليلات غـير ملائمـة، لأنهم يستعملون فيها تخطيطات وأنماطاً فكرية غربية. ولهذا فإنهم:

«. . . متأثرون بالأفكار الغربية، ويستعملون بكيفية آلية المقاييس الغربية في مقاربتهم المجتمع العربي، ذلك لأنهم ينقصهم الأصالة وفي بعض الأحيان يصلون إلى نتائج متحيزة. . .».

(أستاذ مساعد/ الفلسفة الإسلامية).

«لقد كنت من بين الفوج الأول الذي تخرج، بعد الاستقلال، في جامعة القاهرة. . . وفي ذلك الوقت كان الفرنسيون والمثقفون بالفرنسية يسيطرون في كل المستويات في هذا البلد. . .

وكنا، المثقفين ثقافة عربية، نشكّل «طبقة ثانية» في الأنتلجنسيا في بلدنا العربي هذا.

وعلى الرغم من كل الصعوبات، فأنا دائماً فخور بأنني تعلمت فقط بالعربية. . .».

(أستاذ/ الأدب العربي).

المظهر الثاني للهوية، ويبدو عند أولئك الذين يتماهون مع الثقـافة الغـربية، ويـرون في تماهيهم ذاك شكلاً من أشكال المشاركة في العصرنة وفي الثقافة العالمية المهيمنـة، التي تتضمن فكراً عالمياً. لكن فكرة العالمية هاته تلقى نقداً عند البعض:

«سؤال: ألا ترى في بقائه ملتصقاً بثقافته، نوعاً من السقـوط في النعرة الإثنيـة أو الانغلاق عـلى الذات، الذي من شأنه أن يعزله عن عالمية هذا العالم؟

«جواب: في الواقع، هذه العالمية هي التي تمثّل تهديـداً لتميّزنـا الثقافي وأصـالتنا. . . فـالمثقف العربي في لهثه وراء العالمية يفقد الاتصال بمصادره الثقافية وبجذوره. . .».

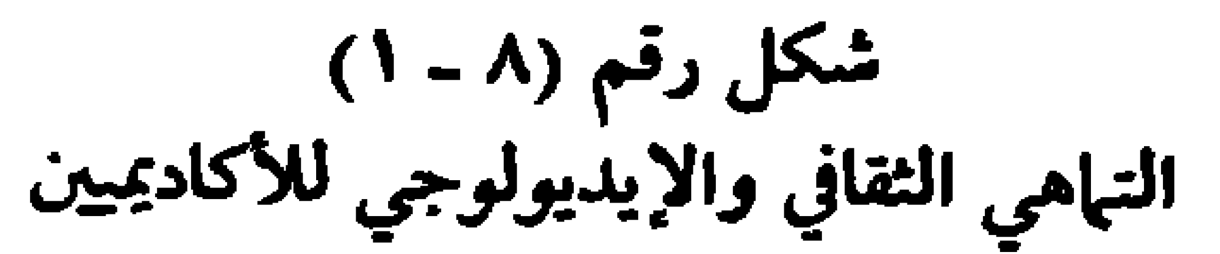
(أستاذ مساعد/ الفسلفة الإسلامية).

أما المثقفون ثقافة غربية فهم ينظرون من جهتهم إلى الموجهين عربياً في ثقافتهم، بأنهم يعانون من الاقليمية والشعبوية (Populism) ومن شكل من أشكال العزلة الثقافية الفكرية:

«إنه أستاذ معرب ولا يحسن أي لغة أجنبيـة. وكل مصـادر أعمالـه تعتمد أسـاساً عـلى ما كُتب بـاللغة العـربية. . . وتحليـلاته في الغـالب متـأخـرة سنـوات عـما يجـري في المحـافـل العلميـة الدولية. . .».

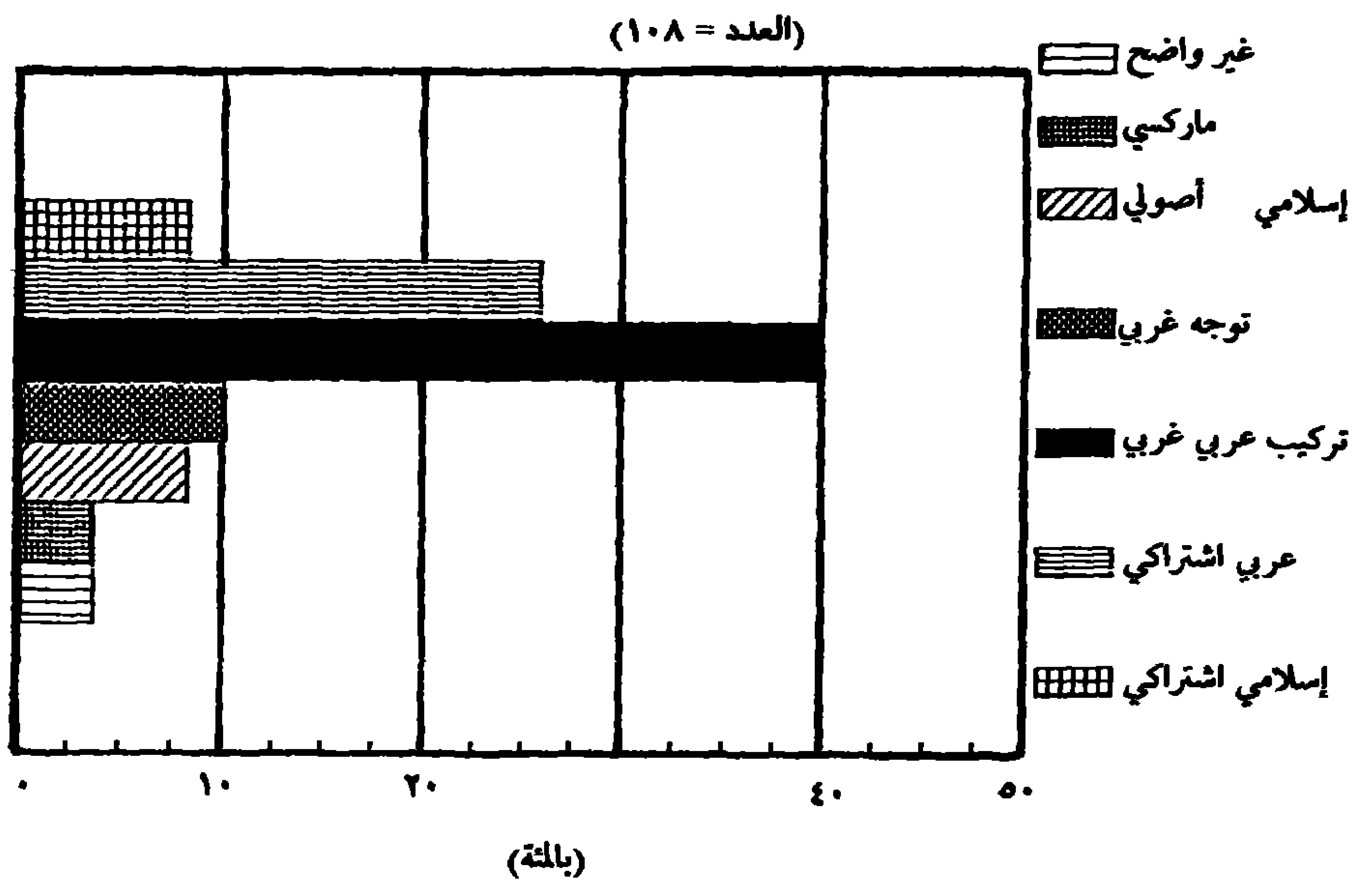
(محاضر وباحث/ علم الاجتماع).

في هذا السياق يقول ذوو الاتجاه الغربي عن المعربـين بأن هؤلاء يحـاولون أن يجعلوا من ثقـافتهم التعليمية الأحـادية رمـزاً من رموز الأصـالة أو شكـلاً من أشكالهـا. في حـين يعتـبر المغربون أن العالم سائر نحو العالمية وأن عالمية الفكر والمعرفة طريق مـلائم للابـداع وتطوره. والاغتراب من منظورهم، مشكل ثانـوي. فالتـوجه الغـربي لا يعطي التصـاقاً معينـاً بأحـد،



شكل رقم (٨ - ١)
التماهي الثقافي والإيديولوجي للأكاديميين

(العدد = ١٠٨)



أهم تيار مهيمن في التماهي الإيديولوجي والسياسي عند الأكاديميين هو ذاك المشكّل من تركيب يجمع بين التقاليد العربية والتقاليد الغربية (ليبرالية واشتراكية). ويأتي في المرتبة الثانية، التيار العروبي الداعي إلى الوحدة العربية وإلى الجامعة العربية، وتشكّل الماركسية، كما هي مستلهمة في الثقافة المحلية، أداة للعصرنة والتحديث في هذا التيار. ويساير هذا المنحى التيار الإسلامي الاشتراكي. ويأتي في المرتبة الثالثة الإتجاه الغربي، ويتبعه التيار الإسلامي الأصولي.

إضافة إلى أن كل إنسان ـ لا محالة ـ هو مغترب عن شيء ما. وفي هذا يرى العروي[٩] أن الاغتراب لا ينحصر سببه في التغرّب (نسبة إلى الغرب)، ولكن قد يكون ناتجاً عن التعرّب، خاصة عندما يركز التعرّب على التماهي مع قيم الماضي. وإلى الوقت الراهن الاغتراب تجاهل أحدهما الآخر، أو التأكيد على واحد منهما على حساب الآخر[١٠]، وبالتالي، فإن هذا أدى إلى صراع آخر حول الهوية خاصة في جانبه الديني المتعلق بدور الإسلام ووضعه في المجتمع

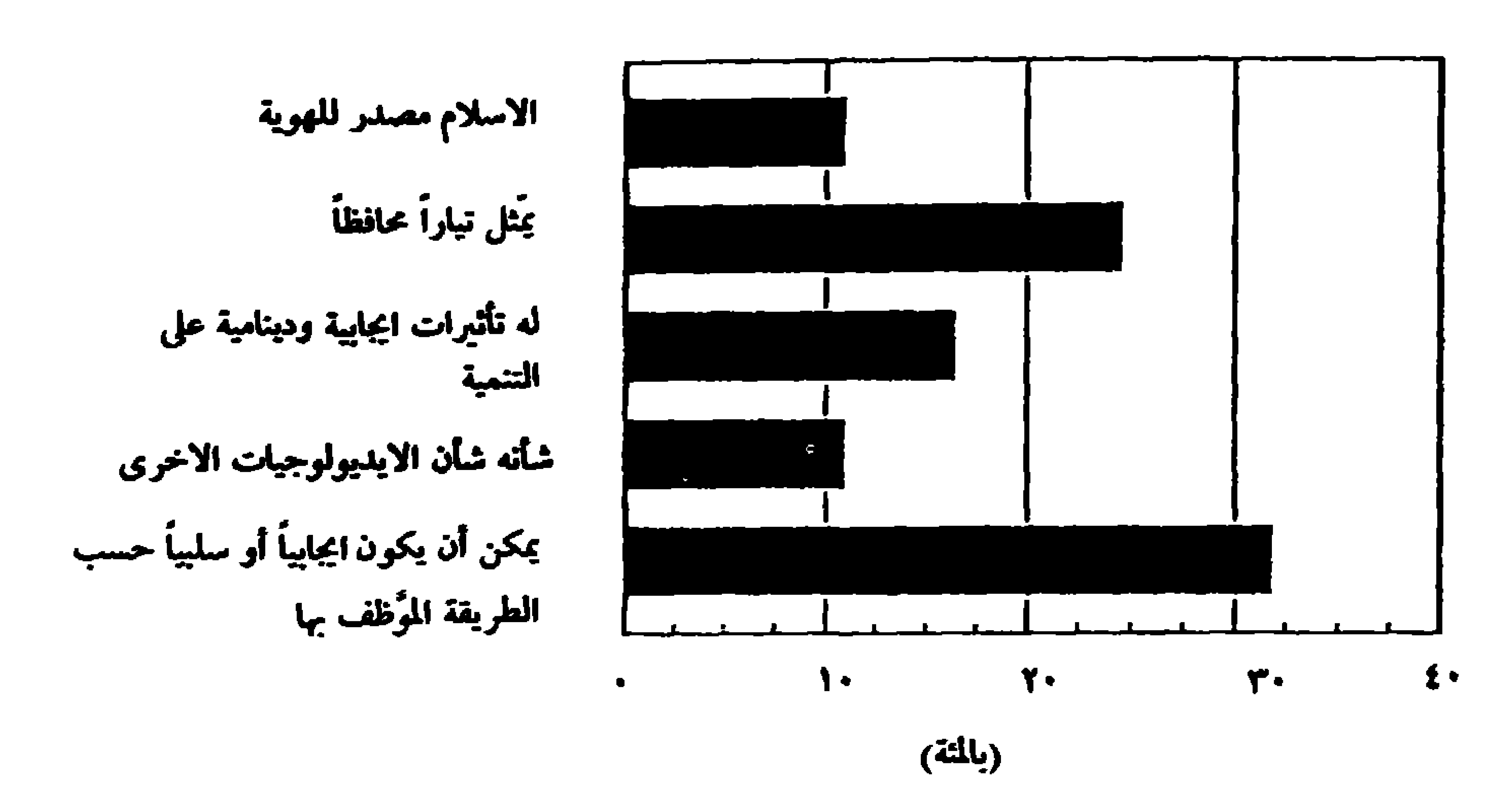
---

(٩) Abdallah Laroui, *The Crisis of the Arab Intellectual: Traditionalism or Historicism?*, translated from French by Diarmid Cammell (Berkeley, Calif.: University of California Press, 1976), pp. 153 - 165.

(١٠) كان هؤلاء بحكم المولد والنشأة نتاجاً للثقافة العربية الإسلامية وكانوا بحكم التعليم الرسمي والممارسة العلمية وأتباعاً لثقافة الغرب، ومن ثم فإن هؤلاء الاكاديميين يعيشون ثنائية فكرية وثقافية. وسواء كان ذلك جلياً أم خفياً، فإنهم يعانون نوعاً من التناقض الوجداني. ويبدو هذا واضحاً مثلاً عند الكاتب المغربي عبد الكبير الخطيبي، أستاذ علم الاجتماع، الذي تشخص كتاباته إلى حد ما، هذا الوضع. كما يرد ذلك مثلا في مقاطع من كتابه الذاكرة الموشومة:

Abdelkebir Khatibi, *La Mémoire tatouée* (Paris: Denoël, 1971).

شكل رقم (٨ - ٢)
دور الإسلام في المجتمع العربي المعاصر كما هو في تقويمات الأكاديميين



يعتبر ثلث الأكاديميين أن دور الاسلام في المجتمع العربي المعاصر قد يكون ايجابياً وقد يكون سلبياً، إذ يتعلق الأمر بالطريقة التي يُستغلّ بها، ومن يستغله، والاهداف المستغل من أجلها، والظروف المستغَلّ فيها. ومن ثم، فإن ربع الأكاديميين (خاصة النساء) يرى في الاسلام قوّة سلبية تدعم التيار المحافظ. وعلى العكس من ذلك يرى نصف الأكاديميين أن الاسلام يمثّل عنصراً مهماً في الهوية الثقافية، ويشكّل عاملاً ايجابياً ودينامياً في تحديث المجتمع. وأخيراً، يرى عُشر المشاركين أن الاسلام في المجتمع العربي المعاصر تحركه التطلعات السياسية، وأنه يوظّف في هذا الشأن، كما توظّف الايديولوجيات الأخرى، في غايات أخرى.

العربي الحديث. وقد وجد هذا الصراع في البلدان العربية منذ مطلع القرن إلا أنه أخذ بعداً جديداً في العقود الأخيرة. ولا يزال الأكاديميون في خضمّ نقاش[11] هذا البعد الذي يُعزى إلى التأكيد الشديد الذي وقع على الثقافة الغربية وإيديولوجيتها في البلدان العربية:

«لقد فاجأ الإسلام المثقفين والسياسيين والجنود والمراقبين الأجانب عندما ظهر كقوة سياسية، وربما شعر بالصدمة أكثر من غيرهم، اليساريون العرب. فهم يواجهون اليوم اختياراً عسيراً في إعادة اعتبار إيديولوجيتهم وربما حتى التخلي عنها.

---

(١١) Luc Barbulesco and Philippe Cardinal, *L'Islam en questions* (Paris: Bernard Grasset, 1986); Jean - Claude Vatin, «Seduction and Sedition: Islamic Polemical Discourses in the Maghreb,» in: William R. Roff, ed., *Islam and the Political Economy of Meaning* (London: Croom Helm, 1987), and

فؤاد زكريا، الحقيقة والوهم في الحركات الإسلامية المعاصرة (القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٦)، ومحمد رضا محرم، تحديث العقل السياسي الإسلامي (القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٦).

قبل اليوم كان بإمكان الإشتراكي العربي أن يأتي إلى العمال ويتحدث إليهم مستشهداً بأقوال ماركس، أما اليوم فعليه أن يستشهد، ولو جزئياً بالقرآن...».

(أستاذ مساعد/ الاقتصاد).

أما الآخرون الذين يميلون إلى التحليل المفصَّل، فيقولون إن الظاهرة في كلّيتها ما هي إلا نتيجة للسياق الاجتماعي الراهن، وستنتهي عندما تحلّ محلها تغييرات أخرى. ويرون في أولئك المثقفين الذين يساندون الحركات الإسلامية أن علمهم ذلك تطبعه اللاعقلانية:

«الحركات الإسلامية كما تظهر اليوم: تمثّل، في نظري، شكلاً من أشكال الاحتجاج الشعبي. وككل احتجاج لا يمكن أن يستمر إلى ما لا نهاية...

إضافة إلى أن هذه الحركات الإسلامية ما هي إلا تعبير عن هذا الجيل المُحْبَط والمقموع والمغترب. وعندما تتغير الأوضاع ويظهر بديل آخر، ستموت هذه الحركة من ذات نفسها...

والمثقفون الذين يساندون هذه الحركات، تحركهم إيديولوجيا ظرفية ليس لها برنامج واضح يسير وفق المتطلبات العلمية. والنقطة الأكبر فعالية في هذه الحركات هي الإشكالية الأخلاقية التي يعتبرونها (أصحاب هذه الحركات) مفتاح تغيير للمجتمع تغييراً كلياً، وهذا غير معقول لأن الأخلاق ليست شرطاً وحسب، فهي أيضاً علة ونتيجة...».

(أستاذ/ الفلسفة).

بينما يميل آخرون إلى تحميل القيادات السياسية الموجهة توجهاً غربياً مسؤولية التطرف الإسلامي:

«هذا الانبعاث الإسلامي لا بد أن يُعزى إلى السياسة الامبريالية والليبرالية والتوجهات الغربية التي تنهجها وتمارسها الأنظمة الغربية، أو إلى ما تخلّفه هذه التوجهات من انعدام توازن إيديولوجي وسياسي.

فالناس ليس لديهم من طريقة بديلة للتعبير عن أنفسهم سوى التماهي مع التيارات الإسلامية. إنها خطوة إلى الوراء في سيرورة تقدم المجتمع العربي وتغيره».

(محاضر/ الاقتصاد).

ولكن مع هذا، هناك آخرون يرون أن الفكر الغربي أثّر في المثقفين وضلّل أحكامهم المتعلقة بالظاهرة الإسلامية:

«كثير من المفكرين في هذا البلد، ممن تأثروا بنظريات التحديث والجدل المادي، ساد في كتاباتهم إلى نهاية السبعينيات، أن الإسلام كقوة اجتماعية قد انتهى. ولكن التاريخ أثبت عكس ذلك. والسبب في خطأهم يجب البحث عنه في اغترابهم عن المجتمع العربي الإسلامي وثقافته وفي تبعيتهم للفكر الغربي في تحليل الواقع المحيط بهم. وقد لاحظنا منذ سنوات أن هؤلاء أصبحوا أكثر حذراً في أقوالهم».

(أستاذ/ الحقوق).

وهناك كثيرون ممن تقلقهم التيارات الإسلامية وينتقدون ظهورها:

«اننا اليوم في المجتمع العربي نمرّ في مرحلة تاريخية حرجة، علينا أن نختار فيها بين الرجعية الظلامية وبين التنمية العصرية. أنا شخصياً ليس لديّ شيء ضد الإسلام كعقيدة وهوية، ولكن عندما يستغله آخرون كقوة لشل التطور التاريخي وإرجاعه إلى الوراء، إلى مبادىء مرّ عليها خمسة عشر قرناً، فإني أرى في ذلك خطراً على وضع عالمنا المعاصر...».

(أستاذ/ الطب).

أما أولئك الذين يعتقدون في فعالية الثقافة الغربية، فقد فوجئوا بهذه العودة السريعة إلى التيارات الإسلامية وانتشارها الواسع بين الفئات المثقفة (خاصة النساء):

«كنت أظن في البداية أن الانبعاث الإسلامي ما هو إلا احتجاج مؤقت... ونوع من التمرد سينتهي بعد مدة قصيرة، لكن يبدو أنه ينمو باستمرار... فعلى سبيل المثال ـ النصف تقريباً من الطالبات في المدرّج الذي أدرّس فيه محجبات... وعندما أفكر في كل السنوات التي قضيناها في المطالبة بحقوق المرأة، فإني أرى في هذه الحركات (الإسلامية) أمراً مذهلاً...».

(أستاذة محاضرة/ اللسانيات).

ثالثاً: الضرورة الاجتماعية والبراغماتية العلمية

إضافة إلى الصراعات التي رأيناها، هناك صراع آخر أساسه التخصصات المعرفية، لا سيما بين أصحاب التخصصات الإنسانية من جهة، وأصحاب التخصصات العلمية والتقنية من جهة أخرى. وأول ما يُلاحظ في هذا الصراع أنه صراع مواقف وتصورات. وقد سبق أن وصف سنو (Snow) وصفاً جيداً تمثلات كل فريق منها للآخر:

«المثقفون الأدباء في قطب، والعلماء ـ وأكثر تمثيلاتهم لهم المختصون في العلوم الطبيعية ـ في قطب آخر. وبين الفريقين هوة من انعدام التفاهم المتبادل؛ ويصحب انعدام التفاهم هذا (خاصة عن الشباب) بعداء وكراهية، بل وأكثر من ذلك يصحب بنقص في فهم الآخر. فكل منهما له صورة مشوهة، بشكل غريب، عن الآخر، ومواقفهما مختلفة حتى على المستوى العاطفي، بحيث لا يستطيعان أن يجدا أرضية مشتركة يقفان عليها. فغير العلماء (أصحاب العلوم الإنسانية) يميلون إلى الاعتقاد بأن العلماء وقحون ومتبجحون.

ويترسخ في ذهن غير العلماء أن تفاؤل العلماء سطحي، وهم غير واعين ظروف الإنسان. ويعتقد العلماء من جهتهم أن المثقفين الأدباء ينقصهم نقصاً كلياً بعد النظر، خاصة في عدم اهتمامهم بأخيهم الإنسان. فهم، بمعنى أكثر عمقاً أضداد للمثقفين يتوقون وحسب إلى قصر فنهم وفكرهم على اللحظة الوجودية الراهنة. وهكذا دواليك...»[١٢].

وعلى الرغم من أن وصف سنو وُضع في الأصل للمثقفين الانكليز، فإن كثيراً مما جاء فيه ينطبق على السياق العربي. ذلك أن مواقف من هذا النوع يمكن أن توجد عند المثقفين

---

(١٢) Charles Percy Snow, *The Two Cultures and a Second Look* (Cambridge, Eng.: Cambridge University Press, 1959), p. 69.

العرب. ففي الحين الذي يتهم فيه أصحاب العلوم الإنسانية التقنيين بـأن «رؤوسهم ناشفـة» وعقليتهم روتينية، وأن المجتمع بالنسبة إليهم ما هو إلا مجموعة أرقـام ومعطيـات إحصائيـة، يلصق العلماء والتقنيون بالإنسانيين تُهم الطوباوية والتلاعب بالألفاظ وانعـدام العلمية والتـأثر بالتصورات المثالية للواقع[١٣]. والواقع أن تشويه السمعة المتبادل هذا لا يشكّـل سوى جـانب واحد من الصراع، أما الجانب الأكثر إثارة فهو المتعلق بالمكانة في المجتمع والأهمية التي تعطى لكـل فريق في المؤسسـات. وقد وضـح لنا هـذا واحد ممن استجـوبناهم ـ وهـو تقنـوقـراطي وأكاديمي سابق ـ وجهة النظر هاته بأمثلة محسوسة:

سؤال: «ألا تعتقد أننا تحدّثنا وتأملنا بما فيه الكفاية في مجتمعنا وقضاياه، وأنه آن الأوان لنقوم ببنائه»؟

جواب: ولكن المجتمع يمكن أن يبنى بالجهد النظري والفكر...

حسنـاً، إنه تـأمُّل عقـلي مثالي حسن، ولكن مـا يهمني أنا هـو بنـاء المجتمـع في مستـوى بنيتـه التحتية، أعني البناء الذي هو إنجاز مادي محسوس...

أمـا المقاربـات والتحليلات النـظرية التي تقـدمها فهي في نـظري سريعـة الـزوال... عنـدي عشرات من الدراسات والتقـارير النـظرية... المجتمـع لا يمكنه أن يتغـير بالتـأمل النـظري، ولكن بالعمل الإجرائي... إننا في حاجة إلى خبراء وخبرة... هل باستطاعة علم الاجتماع أو الفلسفة حل مشكل الجفاف؟ طبعاً لا، إذاً فلا حاجة سريعة لنا بها الآن...».

(مدير، أستاذ جامعي سابق/ الزراعة).

ومن هنـا، فإن أصحـاب العلوم الإنسانيـة يستنكرون، علنـاً أو ضمنـاً، المكـانـة التي تعـطى لحقولهم المعـرفية وممـارستهم العلميـة، ويـدافعـون عنهـا وعن أنفسهم في مـواجهتهم المؤسسة الرسمية والمجموعات الأكاديمية الاخرى. ويلاحظ الإنسانيون وجود نـوع من التآمر بين النخبة التقنيـة والنخبة السيـاسية التقنـوقراطيـة للتنقيص من مكانتهم، وذلـك في الحد، مثلاً، من المساعدات المادية المختلفة التي تقدَّم اليهم.

ويمكن النظر إلى هذا الوضع من منظور آخر، فهنـاك من يرى أن الاعتبـار الذي ينعم به التقنيون ـ الذي يُترجم على شكل مساعدات وتسهيـلات ـ ما هـو في الواقـع إلا تعبير عن حاجة المجتمعات العربية في مجهوداتها التنموية.

وبما أن هذا الموقف نابع من إيديولوجيـة التيار التقني[١٤] السـائد اليـوم، فإنـه من نافلة القول، التذكير بأن مكانة التقنيـين ووجاهتهم في الـوقت الراهن همـا في أوجهما وعـزهما، أي

(١٣) M'hammed Sabour, *The Cultural Identification and Alienation of the Arab Intelligentsia: An Empirical Study on the Moroccan Educated*, University of Joensuu, Research Reports of the Faculty of Education, Sociology of Education; no. 9 (Joensuu: University of Joensuu, 1985), pp. 74 - 77.

(١٤) M'hammed Sabour, *Development Between Westernization and Traditionalization and the Role of the Intelligentsia*, no. 9 (Joensuu: University of Joensuu Publications, 1988).

على العكس من مكانة أصحاب العلوم الإنسانية. فحتى لو اعتبرنا أن الدراسات الإنسانية (خاصة العلوم الاجتماعية والفلسفة) مهمة، فإن الحاجة إليها غير أكيدة. وقد وضّح لنا هذا، بطريقة براغماتية واحد ممن استجويناهم، وهو أستاذ جامعي سابق، انتقل إلى العمل الإداري ومنه إلى العمل الدبلوماسي:

«بطبيعة الحال، نحن في حاجة إلى الأشخاص المؤهلين، ولكن من نحن في حاجة إليه أكثر، الكهربائي أم الاقتصادي؟ الحرفي الماهر أم الفيلسوف؟ المرشد الزراعي أم عالِم السياسة؟ وأنا لن أتردد لحظة واحدة في أن أقول لك إننا في المرحلة الراهنة في التنمية، في حاجة إلى العمال المختصين والحرفيين المهرة أكثر من حاجاتنا إلى المختصين في الاقتصاد والسياسة والفلسفة. إن حاجتنا ليست في التنظيرات والمهارات الأدبية ولكن في المؤهلات التقنية العملية»[15].

وهناك عامل آخر في هذا الوضع، وهو المأزق الذي يجد فيه أنفسهم أصحابُ رؤوس الأموال الموضوعة في العلوم الإنسانية والفلسفة. ففي أغلب الأحيان لا يجدون بديلاً عن سوق الدولة لاستثمار معرفتهم. وفي المقابل، فإن التقنيين أو «العلماء البلهاء» (Idiots Savants) كما سماهم غولدنر (Gouldner)[16] مدلّلون وينعمون بالامتيازات كافة في هذا الباب. ولربما كان عدم تسيسهم عاملاً مفيداً في تفسير موقف الحظوة هذا. إضافة، طبعاً، إلى أن سوق العمل في القطاع الخاص مفتوح لهم على عكس أصحاب العلوم الإنسانية (على سبيل المثال: الطب والهندسة).

وفي مقابل هذا التفضيل الذي يلقاه التقنيون عند الأنظمة الرسمية، فإن هذه الأخيرة تشك في إيديولوجيات أصحاب العلوم الإنسانية وشعورهم السياسي نحوها. ولربما يكون لهذا أيضاً تأثير على الاعتبار الذي يلقاه هؤلاء عند المؤسسة الرسمية. كما يجب ألا يغرب عن بالنا، كثرة عدد الخريجين في العلوم الإنسانية، وتأثير ذلك في مكانتهم في قانون العرض والطلب، إذ إن الطلب قليل على معرفتهم في المجتمعات العربية النامية[17]:

«هناك مثالية نفعية تسود عند صانعي القرارات تعطي فيها الأفضلية للتحديث التقني. ويعني إهمال العلوم الإنسانية والحط من مكانتها لأسباب براغماتية، أن الأكاديميين الذين يمارسون هذه العلوم أقل وجاهة وقيمة من الآخرين... وأولئك الذين يعملون في الحقول التقنية (العلوم

---

(١٥) Ghazi A. Al - Gosaibi, *Arabian Essays* (London: KPI, 1982).

(١٦) Alvin Ward Gouldner, *The Future of Intellectuals and the Rise of the New Class: A Frame of Reference, Theses, Conjectures, Arguments, and a Historical Perspective on the Role of Intellectuals and Intelligentsia in the International Class Contest of the Modern Era* (New York: Macmillan Press, 1979), p. 52.

(١٧) Ronald Philip Dore, *The Diploma Disease: Education, Qualification and Development* (Berkeley, Calif.: University of California Press, 1976).

ويمكن للقارىء أن يجد تحليلات أخرى متعلقة بالموضوع عند:

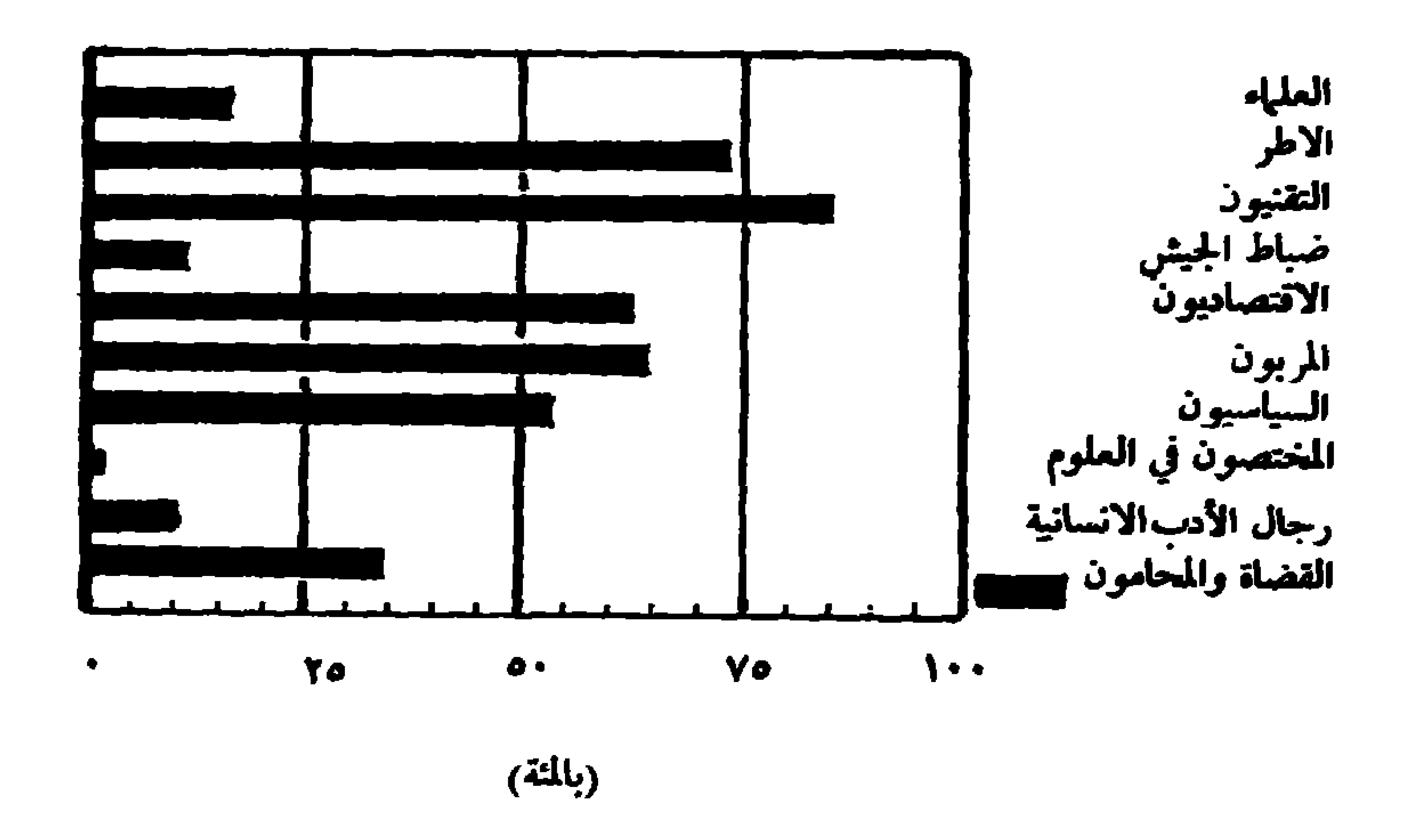
Jones M. Thourson, «Allocation of Students in North African Universities,» *Higher Education*, vol. 10, no. 3 (May 1981); Habib El-Malki, «L'Université marocaine: Enjeu d'une crise de croissance,» *Lamalif*, no. 180 (septembre 1986), pp. 27 - 31, et Mohamed Souali, «L'Université à l'épreuve de sa mutation,» *Lamalif*, no. 180 (septembre 1986), pp. 21 - 26.

المفضّلة)، باستطاعتهم الحصول بسهولة على المنح والمساعدات والإمكانات، ويتمتعون بحرية أكبر في عملهم، بالقياس مع حقلنا المعرفي».

(أستاذ مساعد/ العلوم الإنسانية).

شكل رقم (٨ - ٣)

أهمية الفئات المتعلّمة كما وردت في تقويمات الأكاديميين



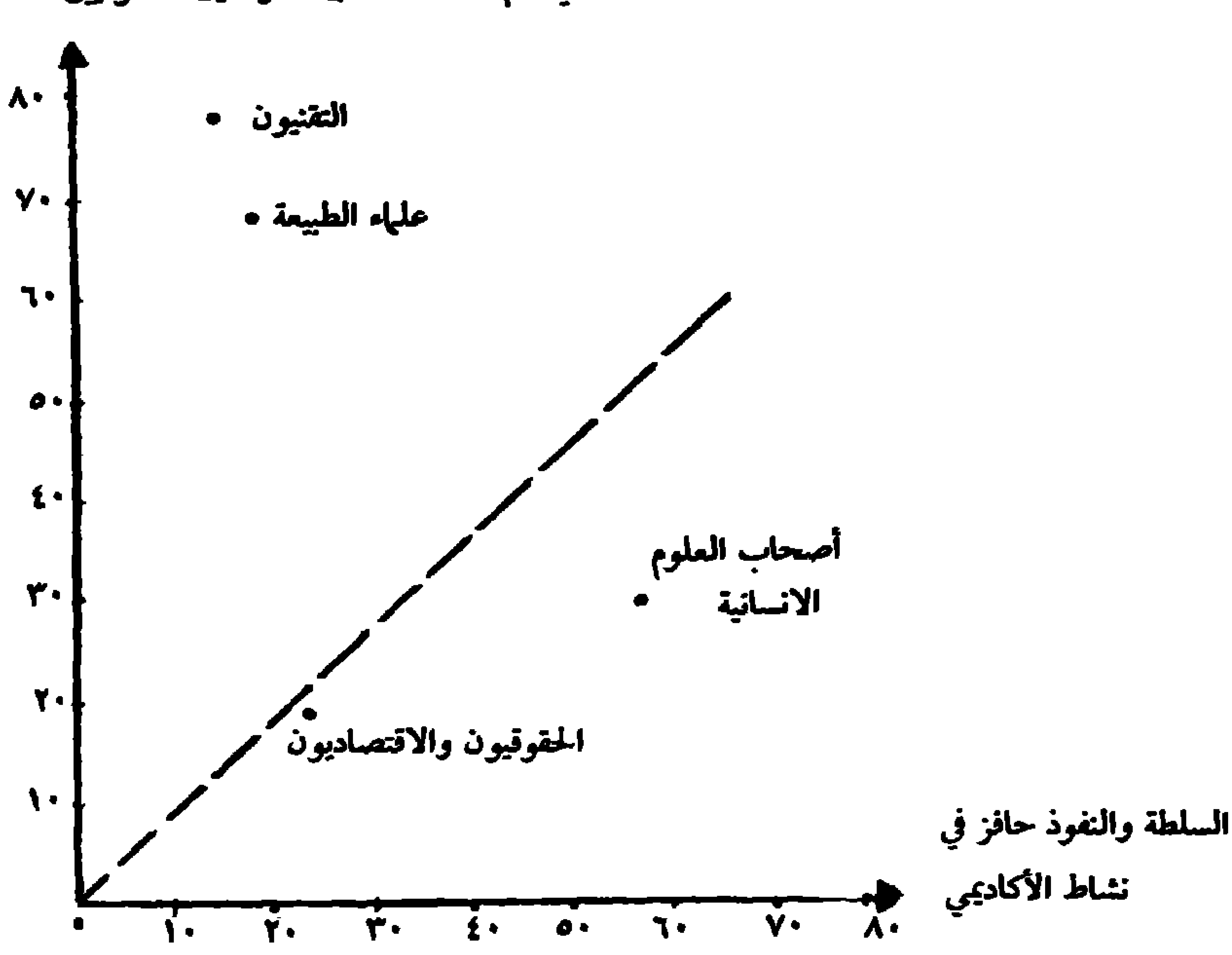
طلبنا من المشاركين تعيين خمس فئات من الفئات المتعلمة التي يرون أنها مهمة في تنمية بلدهم. وكانت الاجابات كما هو واضح في الشكل رقم (٨ - ٣). ويدل هذا الشكل على الأهمية المعطاة لمختلف الفئات المتعلمة في المجتمع العربي المعاصر، إذ حصلت فئتا التقنيين والاطر على نصيب الاسد. وهذا يؤكد إلى حد ما غلبة نظرية «التيار التقني» التي تعتبر أن تحقيق التنمية لا يمكن أن يتم إلا عبر اكتساب المعرفة التقنية بكيفية خاصة(*). واعتبر النصف السياسيين والاقتصاديين والمربين (بحكم الانتماء إلى المهنة) ذوي أهمية في التنمية. ومن الامور المثيرة أن المختصين في العلوم الإنسانية جاءوا في الترتيب بعد ضباط الجيش والعلماء. ومما يزيد من الاثارة والدهشة أن أغلب المشاركين الذين أعطوا هذا التقويم ينتمون هم أنفسهم إلى الميادين المعرفية المرتبطة بالعلوم الانسانية، الأمر الذي يسمح بالقول إن هناك نوعاً من التنقيص للذات يسود عند أصحاب العلوم الإنسانية والاجتماعية.

(*) Abdallah Laroui, *The Crisis of the Arab Intellectual: Traditionalism or Historicism?*, translated from French by Diarmid Cammell (Berkeley, Calif.: University of California Press, 1976), pp. 153 - 165.

وأخيراً، فإن سيطرة التوجه التقني الذي يشيد بفريق على حساب فريق آخر - يعطي قيمة لنوع خاص من الرأسمال المعرفي ويحابي أصحابه. وبالتالي فإن هذا يؤدي إلى وضع يظهر أنه يجرح كبرياء العاملين في العلوم الإنسانية.

شكل رقم (٨ ـ ٤)

العلاقة بين المكانة والحقل المعرفي



يبينّ الشكل رقم (٨ ـ ٤) أن المختصين في العلوم التقنية والطبيعية يقوّمون مكانتهم بين الموظفين الحكوميين (الإداريين والبيروقراطيين) تقويماً عالياً ويعتبرون في الوقت نفسه أن السلطة والنفوذ لا يشكلان حافزاً في نشاط الأكاديمي. أما المختصون في العلوم الإنسانية والإجتماعية، فيرون أن مكانتهم في أعين الموظفين الحكوميين الآخرين أقلّ من المتوسط العام، ويعتبرون في الوقت نفسه أن الأكاديميين تحفزهم دوافع اكتساب السلطة والنفوذ. في حين تقوِّم فئة الحقوقيين مكانتها في مستوى متدنٍّ، ويبدو أنها لا توافق على ما ورد من أن السلطة والنفوذ يشكلان حافزاً في نشاط الأكاديمي.

ويمكن أن نستخلص مما سبق أن أولئك الذين تعوزهم المكانة اللائقة ويُحرمون من السلطة والنفوذ هم الذين يؤكدون أكثر من غيرهم أهمية هذين العاملين.

رابعاً: الأكاديميون والإداريون العسكريون

«إعلم أن السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بها على أمره. . . وأما في وسط الدولة فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف لأنه قد تمهد أمره. . .

فتكون أرباب الأقلام في هذه الحاجة أوسع جاهاً وأعلى رتبة وأعظم نعمة وأقرب من السلطان مجلساً وأكثر إليه تودداً وفي خلواته نجياً لأنه حينئذٍ آلته التي يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه

والنظر إلى أعطافه وتثقيف أطرافه والمباهاة بأحواله...»[١٨].

ولعل أكثر الصراعات إثارة في المجال الأكاديمي، هو ذاك الصراع الذي ينشأ عن محاولة أصحاب السلطة المؤسسية مراقبة نشاطات الأكاديميين، وعن ادعائهم لأنفسهم سلطة حفظ النظام والقانون داخل الحرم الجامعي، حتى في الحالات التي يمس فيها عملهم ذاك بحرية الجامعة واستقلاليتها. ومن هذا ما يحاوله الإداريون الجامعيون في إطار ما يخوله لهم النظام القائم من سلطات، من فرض هيمنتهم على صنع القرار في الجامعة ومراقبة ما يجري فيها وتدخلهم في كل أمورها. وهم في عملهم هذا يدركون وضعهم في الجامعة كما لو كانوا الأعمدة التي تقوم عليها. ويعلق كوزر (Coser) في هذا الصدد:

«لقد وصلت سلطة الإداريين في الجامعة إلى ما وصلت إليه لسبب بسيط، وهو واقع الحاجة إليهم. وهذا ما يؤدي إلى التوترات القائمة بين الإداريين وباقي العاملين في الجامعة. وكثير من تاريخ المؤسسات الأكاديمية الحديثة يمكن أن يُكتب في إطار هذه التوترات، وبخاصة في التوتر الناشىء عن الميل الطبيعي الموجود عند الإداريين في الحد من امتداد الجامعة وتنوعها... فهم يحاولون إدخال جداول تنظيمية وقنوات محدودة للسلطة وللتواصل، كل هذا من أجل أن يحاربوا ما يبدو لهم أنه فوضى وحالة تراخٍ عند الأكاديميين. أما العاملون الآخرون في الجامعة فيشعرون من جهتهم أن الروتينية والبيروقراطية تُنقصان من امتيازات الأكاديمي وحريته...»[١٩].

وحتى إن كانت أقوال كوزر تأخذ مرجعيتها من المؤسسة الأكاديمية في الغرب، إلا أنها يمكن تطبيقها، إلى حد ما، على المؤسسة الجامعية في البلدان العربية. ذلك أن الأكاديميين العرب غير مستثنين في هذا الباب، فهم يعانون سيطرة الإداريين وسلطويتهم:

«أصبحت سلطات المسؤولين الإداريين واسعة في المجال الأكاديمي، والبعض يعتقد أن التعليم العالي لا يمكنه السير في البلدان العربية من دون إدارة جيدة. مما يعني في الممارسة الفعلية، التأكيد الزائد على البيروقراطية والبيروقراطيين في الجامعة والتعليم عموماً. أما من وجهة نظري الخاصة، فإني أعتقد أنه يجب أن تكون للأكاديمي اليد العليا في أمور الجامعة. وفوق هذا وذاك، أنشئت الجامعة من أجل المعرفة لا من أجل البيروقراطية».

(أستاذ مساعد/ علم الاجتماع).

ولهذا، فالسلطة المؤسسية وسلطة الدولة والبيروقراطية تنعكس في المجال الأكاديمي، بحيث يكون على الأكاديميين أن يقتنعوا بضرورة الطاعة والامتثال للنمط السائد في الدولة، وبضرورة تعزيزه بإنتاجهم العلمي، ونقلهم المعرفة. أما أولئك الذين لا يمتثلون له، أو كما عبر عنه سمير خلف:

«أولئك الذين يختارون طريق المعارضة المفتوحة التي لا تعرف التنازل، فإن الأمر ينتهي بهم إما

---

(١٨) Abdelrahman Ibn Khaldūn, *The Muqaddimah: An Introduction to History*, translated from the Arabic by Franz Rosenthal (New York : Bollingen Foundation, 1958). vol. 2, p. 47.

(١٩) Lewis A. Coser, *Men of Ideas* (New York: Free Press, 1965), p. 185.

إلى الفصل عن العمل وإما إلى النفي السياسي. وهذه من بين أشياء أخرى التي تؤدي إلى الهجرة الكبيرة للأدمغة العربية»[20].

وبما أن الدولة تحتكر توزيع المناصب والوظائف، وتمتلك سلطة القمع والإكراه، فإن ذلك يتمثل في المجال الجامعي في أولئك الذين تخوّل لهم السلطة القانونية والتنظيمية والاقتصادية، بصفتهم إداريين ومنفذين وحرّاساً ووسطاء بين المؤسسات الرسمية والجامعة. وهؤلاء يؤكدون على أهمية دورهم في الجامعة ويمجدونه:

«فعالية التعليم تتعلق بشكل كبير بفعالية التخطيط والتنظيم، ونحن نشدد دائماً على العقلانية والدينامية في إدارة التعليم العالي. فنحن ننسق البرامج التعليمية ونراقب سيرها، حتى نحصل على أفضل النتائج الممكنة وبالطريقة التي تساير سياستنا التنموية. ونعتقد أن الإدارة لها الدور الأساسي في تحقيق هذه الغاية».

(نائب الكاتب العام لجامعة...).

وسياسة الفعالية والعقلانية هاته، التي يدافع عنها الإداريون تغيظ الأكاديميين:

«هؤلاء رجال الإدارة ورثوا في آن واحد الاستبداد الشرقي والبيروقراطية الاستعمارية، ومن ثم يجعلون حياة الأستاذ صعبة لا تُطاق... فهم يرفعون حق «الفيتو» ضد أي قرار... ويتدخلون فوق هذا، في أشياء هي من المفروض أنها من امتيازاتنا... ولكن سلطتهم نابعة من السلطة الرسمية، فهم عملاء لها هنا، ويتصرفون كما لو كنا موظفين عندهم يؤدون أجرتنا من جيوبهم...».

(محاضر/ الحقوق).

«تشكّل الجامعة بالنسبة إلى صانعي القرارات عندنا، مؤسسة منضبطة ومنظمة تنظيماً محكماً ومسيّرة تسييراً حسناً أكثر مما تمثّل بالنسبة إليهم مؤسسة لممارسة المعرفة. وهذه الأخيرة (المعرفة) تتطلب مناخاً تسود فيه الاستقلالية والحرية والمرونة بحيث يمكن الباحثين أن يقولوا فيه رأيهم حول أنشطتهم.

الجامعة لا يمكن أن تسير كما يسير المعمل، ومع الأسف الشديد، الكثيرون من الأكاديميين، لا يميزون في تسييرهم بين المعمل والجامعة...».

(محاضر/ علوم التربية).

«ولأن التقنوقراطيين يعتقدون في أنفسهم أنهم الممثلون الشرعيون للسلطة التي تفوّضها لهم الوزارة، فإنهم يستعملون سلطتهم تلك كسلطة إكراه ويعززونها بما لهم من سلطة تنفيذية من أجل إخضاع الآخرين لرغباتهم... وذلك عبر ما يعرف بـ «العنف البيروقراطي»، ويمكن أن تتجسد قراراتهم في الطرد أو التوبيخ...».

أستاذ مساعد/ الاقتصاد).

---

(٢٠) Samir Khalaf, «The Growing Pains of Arab Intellectuals,» *Diogenes*, no. 54 (Summer 1966), pp. 59 - 80.

وتؤدي هذه الزيادة في المراقبة الإدارية في المجال الأكاديمي، إلى كثير من أنواع ردود الفعل عند الأكاديميين، فمنهم من يندمج، ومنهم من ينسحب، ومنهم من يكيّف نفسه ومنهم من يتمرد ويثور. وبعبارة أخرى هناك من يندمجون لأسباب شخصية (كالمنفعة والمصلحة والتطلعات الإدارية)، وباندماجهم ذاك يصبحون أعضاء مهيمنين لتأييد الايديولوجيا المهيمنة. أما المنسحبون، فلا يعتبرون أنفسهم جزءاً من النظام ويغتربون عنه، وفي هذه الحالة، يعرّضون أنفسهم بكيفية آلية لعمليات الانتقام.

أما المجموعة التي تكيّف نفسها مع النظام، فإنها تلبس جلد الحرباء وتتلون مع المواقف كما تلونت. وأعضاء هذه المجموعة مرنون ومتعاونون وموافقون، ومستعدون للجلوس في أي مقعد يقدَّم اليهم، والاندفاع في أي خطاب يُعرض عليهم. وبعبارة أخرى، فهم على استعداد، على أساس أن عملهم عمل علمي وليس سياسياً. وهم في الواقع يحاولون إخفاء انتهازيتهم تحت ستار عدم الانتماء السياسي وتلبيس ضياعهم الثقافي قناع الإيديولوجيا البراغماتية الحيادية.

وكما سبقت الإشارة إليه، فإن للدولة اليد العليا في المجال الأكاديمي، إضافة إلى المراقبة الإدارية، هناك في كثير من الحالات المراقبة المباشرة للجيش ووزارة الداخلية بل إن هناك بوليساً رسمياً خاصاً بالجامعة يُعرف بـ «الحرس الجامعي». وبإمكانه التدخل في نشاط الطلبة الأكاديميين (وفي هذا شكل من اختبار علاقة القوة بين السلطة السياسية والسلطة الثقافية). وحول هذا الوضع علّق لنا أحد المشاركين بما يلي:

«في الوقت الذي خلق فيه الغرب جامعة عصرية وزودها بالاحترام، المتمثل موضوعياً في استقلالية الجامعة وحرية الأستاذ، فإننا نحن هنا، أخذنا النظام التعليمي والمناهج التعليمية عن الغرب، ولكن أهملنا أن نأخذ معها الاعتبار الذي يعطى للعلم والعلماء والمواقف الإيجابية منهم. فقافلتنا تسير ولكن تسير سيراً أعمى من دون هدف. ومساهمتنا التاريخية في بناء الجامعة العصرية هو إحداثنا تنظيماً من «البوليس الأكاديمي». ومهمة هذا البوليس هي مراقبة الطلبة والأكاديميين ومنعهم من التعبير عن أفكارهم في القضايا الاجتماعية. وبعبارة أخرى فإن المعرفة التي يتلقونها ويتعلمونها، ممنوع توظيفها في المجتمع.

وإذا كان الغرب قد أخذ منا في الماضي علومنا ومناهجنا ومؤسساتنا، فإنني أشك في أنه سيأخذ عنا هذا البوليس الأكاديمي... ربما من الممكن تصديره إلى أمريكا اللاتينية. قد يكون هذا السوق مهتماً بهذا النوع من القوة البوليسية».

(أستاذ/ العلوم السياسية).

وفي بعض البلدان العربية ذات الحزب الوحيد المهيمن على كل شيء، يكون وجود الأكاديمي في الجامعة مرتبطاً في الغالب باندماجه في النمط الإيديولوجي السائد فيها، لأن في ابتعاده عنه لن يكون في منأى عن الخطر، حتى بدعوى الحيادية. ففي الواقع لا تعترف الثقافة العربية بالحياد، والوضع المحايد فيها وضع مشكوك فيه وغير قار. فالحياد غالباً ما يعني نقصاناً في المبادىء، أو أن الشخص المحايد مشكوك فيه يعمل في الخفاء ليتجاوز

الآخرين. ولذلك، فإن الأكاديمي في وضع الحياد يعرّض نفسه للمخاطر، وأقل ما يمكنه أن يفعله بدلاً عن الحياد، هو الاندماج السلبي في النظام. وما نعنيه بالاندماج السلبي هو الالتحاق بالنمط السائد دون مشاركة نشيطة فيه أو قيام بأعمال من شأنها أن تعزز قوّته وسلطته. أما في الواقع المعاش، فإن هذا يتسبب في وضع الأكاديمي في وضع محنة تكون فيه كرامته عرضة للاستهزاء والإهانة:

«هناك كثير من أمثالي، ممن يختلفون مع القيادة السياسية والوضع الحالي، ولكن ماذا في إمكاننا أن نفعل؟ فليس بإمكاننا أن نواجه الآلة العسكرية التي تراقب هذا المجتمع وتسيطر عليه بيد من حديد...».

(محاضر/ علوم التربية).

في وضع مثل هذا، يحاول الأكاديميون (خاصة المنتمون منهم سياسياً) تملُّك نوع من السلطة، بكل ما هو متوافر لديهم من وسائل، لمواجهة التغيرات والتقلبات التي ليست بالغريبة المستبعدة في مؤسسات البلدان العربية. فقد يتمّ بين عشية وضحاها رفض أشخاص وتخلٍ عن أفكار دون سابق إعلام، وهكذا يحاول الأكاديميون تحصين أنفسهم داخل قلاع دفاعية من أجل الدفاع عن النفس (وذلك بتوظيف كل رؤوس أموالهم)[21]. وبعبارة أخرى فإنهم يعملون على تملك كل الوسائل التي تحميهم ضد التقلبات والانقلابات والمؤامرات والتهديدات التي تطال مهنتهم، كسلب الامتيازات والتنقيص من القيمة.

وبما أن جل الاكاديميين واعون وضعهم هذا، فهم يعتمدون أولا على رأسمالهم الثقافي والمعرفي وإنتاجهم العلمي وإبداعهم، من أجل تثبيت وضعهم في حقل معرفي معين، ثم يعملون، ثانياً، من وضعهم ذاك على اكتساب السلطة الكامنة فيه وفي رأسمالهم. وبعد ذلك يعمدون إلى استثمار رؤوس أموالهم وتحويلها إلى سلطة ذات قوة وفعالية دائمتين. وكلما كانت عملية الاستثمار في وضع قويّ، تعززت قيمة الرساميل وتوسعت أبعادها وكانت ذات فعالية. وفي هذا يقول بلو (Blau): شخص برأسمال عريض يمكن أن يعيش من الفائدة التي يجنيها منه دون أن يمس رأس المال»[22].

وهناك تعارض آخر، تتواجه فيه مختلف الحقول المعرفية مع الجهاز الإداري، ويوجد هذا التعارض عندما ينفذ إلى الكليات ومعاهد الأبحاث أشخاص غير مؤهلين للبحث العلمي، فلا هم يملكون كفاءة البحث ولا هم يملكون التكوين الضروري للتسيير الإداري. وعندما يحدث ويوجد هؤلاء في مراكز قيادية في معاهد الأبحاث والجامعات، فإن توجههم يكون بيروقراطياً أكثر مما يكون مستلهماً من البحث العلمي:

---

(21) وبالنسبة إلى التحليل التاريخي لعلاقة المثقف بالسلطة السياسية، انظر: الحبيب الجنحاني، «المفكر والسلطة في التراث العربي الإسلامي،» ورقة قدّمت إلى: الجمعية العربية لعلم الاجتماع، الانتلجنسيا العربية، ندوة عقدت في القاهرة بتاريخ ٢٨ ـ ٣١ آذار/ مارس ١٩٨٧ ([تونس]: الدار العربية للكتاب، [١٩٨٩]).

(22) Blau, *Exchange and Power in Social Life*, p. 134.

«كيف يمكنك أن تظن أن البحث يمكن أن يتطور هنا. فقبل كل شيء، مدير المعهد، بيروقراطي أكثر مما هو رجل بحث وعلم. فهو في حياته لم يقم بأي عمل ميداني، ومركز الدراسات هذا، موجه في الأساس للقيام بأبحاث دراسية اجتماعية وتربوية. والمدير وبعض مساعديه تكوينهم في الأساس في العلوم الطبيعية والرياضيات. فهناك إذن تصوران متعارضان لمنهجية البحث وأهدافه.

سؤال: كيف أصبح ممكناً، أن شخصاً هكذا يتولى مسؤولية هذا المركز؟

جواب: سؤال وجيه جداً، يمكنك أن تطرحه على الوزارة وصانعي القرارات، الذين اتفق أنهم من أصدقاء المدير».

(محاضر وباحث).

وواحدة من النتائج المترتبة على هذا الوضع، هي تأخر البحث العلمي الذي ما يزال في بداياته الأولى. هذا بالإضافة إلى أن البحث في بعض الميادين (كالعلوم الإنسانية والاجتماعية) لا يحظى، في ما يبدو، بدعم مهم من طرف المنظمين والمخططين وصانعي القرارات[٢٣].

ومصدر الصراع هنا بين الباحثين والإداريين لا يكمن وحسب في وجود غير المؤهلين على رأس مراكز الأبحاث، لكنه يكمن أيضاً في سلوك هؤلاء ومواقفهم من الباحثين. فالمديرون لا يكتفون بالتسيير الإداري لهذه المراكز ولكنهم يشرفون أيضاً على عمليات البحث ويتدخلون في ميادين علمية تخرج عن نطاق اختصاصهم. والواقع أنهم عُيِّنوا في مناصب قيادية (كمدراء أبحاث، وعمداء إلخ . . .) بسبب ولائهم للنظام القائم، على الرغم مما فيه من تعارض مع المعايير الأكاديمية والمبادىء الجامعية. وهم في وظيفتهم يطبِّقون ««سياسة المقص»:

«بما أن معهدنا ممول بكيفية كبيرة من طرف الدولة، وجزئياً من بعض الدول ذات النفوذ الإقتصادي، فإن نتائج الأبحاث تتعرض لرقابة هيئة النشر، فإما تعاد إلينا للتخفيف من حدة خلاصاتها، وإما يُطلب منا حذف بعض الأقوال التي تنتقد المسؤولين الكرماء. . .».

(محاضر وباحث).

ومن هذا المنظور يرى هول (Hall)[٢٤] «أن طبيعة الأنتلجنسيا يمكن أن تُفهم بطريقة أفضل عندما يعود المرء إلى انكارها».

---

(٢٣) انظر: Nathir G. Sara, «Problems of Educational Research in the Middle East,» *International Review of Education*, vol. 21, no.1 (1975); Hassan Ali Al - Ebraheem and Richard P. Stevens, «Organization, Management and Academic Problems in the Arab University: The Kuwait University Experience,» *Higher Education*, no. 9 (1980), and Saleh Ziay M. Al - Ghambi, *Educational Research in the University: A Comparative Study of Saudi Arabia and Morocco* (Michigan: University Microfilms International, 1985), pp. 340 - 350.

(٢٤) John A. Hall, «The Curious Case of the English Intelligentsia,» *British Journal of Sociology*, vol. 39, no. 3 (September 1979), pp. 291 - 306.

والواقع أن هذه الأفكار يمكن أن تفسر لنا جانباً وحسب من المشكل، وهـذا الجانب لا يقيم الاعتبار اللازم للمحددات السوسيو ـ ثقافية والتاريخية والمعوقات الظرفيـة، التي خلقت فيها تلك الأفكار، والتي من دونها لا يمكننا فهمها وتقويم طبيعة نتاجها وأصالته. لقـد اقترح ريمـون آرون[٢٥] منـذ أكـثر من عقـدين من الـزمن، أن علماء الاجتماع الـروس راضـون عن مجتمعهم ولكنهم غير راضين عن علمهم، وأن علماء الاجتماع الأمريكيين راضون عن علمهم ولكن غير راضين عن مجتمعهم. وإذا أراد المـرء أن يصيغ عـلى هذا المنـوال في وصف العلماء العرب، فيمكن القول عنهم إنهم غير راضين لا عن علمهم ولا عن مجتمعهم:

«إنه ادعاء كاذب ومضلّل أن يقول المرء عن المجتمع العربي إنه يتطور. فهناك حـالة ركـود تامّ بكـل مـا تحمله الكلمـة من معنى. فعن بعض البلدان (العـربيـة) يمكن القـول دون تـردد إنها دول تسير في طريق التأخر.

فالعلم فقد مصداقيته لأنه حبيس سياق غير علمي وأكثر الدراسات الاجتماعية متحيـزة. فليس فيها سوى تحليلات ودراسات وصفيـة حذرة، وغـير دقيقة أو نـاقدة. فعلماء الاجتـماع العرب، يمرون بتجربة مريرة من العجز والضعف...».

(عالم اجتماع وكاتب).

لقد حلّلنا في هذا الفصل أربعة أصناف من الصراعـات التي تسود في أعـمال الأكاديمي إما بكيفية متوازية وإما بكيفية عِلّية. وبما أن هـذه الصراعات تُحمّـل بمصالـح ودوافع خـاصة وقواعد لعب معينة، فإنها تكـون في الغالب مـرتبطة بعضهـا بالبعض الآخـر ومتراكبـة. ومع ارتباطها وتـراكبها، يمكن إعـطاء الخطوط العـريضة لثـلاثة أشكـال متوازيـة، منها في المجـال الأكاديمي وهي: صراعات بين المهيمَن عليهم (في مّا بينهم) وصراعـات بين المهيمنـين (في ما بينهم) وصراعات بين المهيمنين والمهيَمن عليهم. وتبدو هذه الصراعات في مظهرين مختلفين، مظهر واضح يعبرّ عنه علانية بالرفض والاحتجاج والخصام، وفي النقاش العمومي. ويتمّ كل هذا بطريقـة مباشرة أو عـبر الآخرين أو عـبر الكتابـة. ورغم أن هذا الصراع علني، فهـو لا يتخذ طابع المواجهة المفتوحـة خاصـة وهو يـدور في وسط مشهور عنـه الحفاظ عـلى الأوضاع والامتثال واحترام الأقدمية. أما المظهر الثاني، فيتمثـل في صراع خفي يعبر عنـه بموقف عـزل الذات واللامبالاة، وعدم الاستجابة للأعراف السـائدة بـين الأقران في الحقـل الواحـد أو في الحقول الأخرى.

---

(٢٥) Raymond Aron, *Les Etapes de la pensée sociologique* (Paris: Gallimard, 1967), p. 13.

جدول رقم (٨ - ١)

العلاقة بين حقول المعرفة وكم المنشورات

(نسب مئوية)

كم المنشورات	حقول المعرفة			
	العلوم الطبيعية والطب (العدد = ١٥)	الحقوق والاقتصاد (العدد = ٢٣)	العلوم الانسانية والاجتماعية (العدد = ٥٥)	العلوم التقنية والهندسة المعمارية (العدد = ١٣)
قليل	٢٦,٧	١٧,٤	١٠,٩	٦١,٥
متوسط	٤٠,٠	٢١,٧	٣٠,٩	٣٠,٨
كثير	٣٣,٣	٦٠,٩	٥٨,٢	٧,٧
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

$X^2 = 21.27$ df = 6. $P < 0.00$

في الوقت الذي لم ينشر فيه المختصون في العلوم التقنية سوى كم قليل من المقالات (بالنسبة إلى كل واحد)، ولم ينشر أصحاب العلوم الطبيعية سوى كتاب واحد وعدد قليل من المقالات (بالنسبة إلى كل واحد)، فإن المختصين في العلوم القانونية والاقتصادية والعلوم الانسانية نشروا كماً هائلاً. فكل المشاركين من هذه الصنوف الأخيرة سبق أن نشر كل واحد منهم ثلاثة كتب على الأقل وعدداً مهماً من المقالات. أحد المشاركين كان قد نشر عند اتصالنا به ٢٨ كتاباً وعدداً كثيراً من المقالات. ويبدو أن كم المنشورات يتناسب عكساً مع المكانة التي يحظى بها الأكاديميون وما يتمتعون به من تقدير ووجاهة. ومن ثم، فإن الأكاديميين المختصين في العلوم الانسانية يرثون وضعهم المتدني.

جدول رقم (٨ - ٢)
النقص في الاعتبار كسبب من أسباب هجرة الادمغة العربية، كما ورد في تقويمات مختلف الفئات الاكاديمية
(نسب مئوية)

النقص في الاعتبار سبب في هجرة الأدمغة	العلوم الطبيعية والطب (العدد = ١٣)	القانون والاقتصاد (العدد = ٢٠)	العلوم الانسانية والاجتماعية (العدد = ٥٤)	العلوم التقنية والهندسة المعمارية (العدد = ١٣)
موافق موافقة قوية	١٥,٤	٣٠,٠	٤٤,٤	٧,٧
موافق	٢٣,١	٤٥,٠	٢٠,٤	-
متردد	٤٦,٢	٢٥,٠	١٨,٥	٥٣,٨
غير موافق	١٥,٤	-	٩,٣	٧,٧
معارض بشدة	-	-	٧,٤	٣٠,٨
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

$X^2 = 33.41$ df = 12. $P < 0.00$

يدل هذا الجدول على أن الاكاديميين العاملين في العلوم الاجتماعية والحقوق والاقتصاد يوافقون على ما ورد في صيغة سؤال من أن النقص في الاعتبار والاحترام في الوطن يؤدي إلى هجرة الأدمغة من البلدان العربية. ولعل في هذا تفسيراً للواقع الوجودي لهذه الفئات الأكاديمية.

جدول رقم (٨ ـ ٣)
تقويم مختلف الفئات الاكاديمية لمكانتها بين الموظفين الحكوميين
(نسب مئوية)

المكانة	حقول المعرفة			
بين الموظفين الحكوميين	العلوم الطبيعية والطب (العدد = ١٢)	الحقوق والاقتصاد (العدد = ١٩)	العلوم الاجتماعية والانسانية (العدد = ٥٣)	العلوم التقنية والهندسة المعمارية (العدد = ١٣)
دنيا	-	١٥,٨	٧,٥	٧,٧
متوسطة	٣٣,٣	٦٨,٤	٥٨,٥	١٥,٤
عليا	٦٦,٧	١٥,٨	٣٤,٠	٧٦,٩
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

$X^2 = 17.73$ df = 6. $P < 0.006$

يبيّن الجدول رقم (٨ ـ ٣) أن أولئك الاكاديميين المختصين في العلوم التقنية يقوّمون مكانتهم بين الموظفين الحكوميين (البيروقراطيين والاداريين) تقويماً عالياً، بينما يعتبر الاكاديميون الآخرون مكانتهم في وضع متوسط. في حين يعتبر ثلث الاكاديميين المنتمين إلى العلوم الانسانية مكانتهم عالية، وجل هؤلاء من الاكاديميين ذوي النفوذ والشهرة ممن ارتفعت أسهم رساميلهم في السوق الاكاديمي وحقلهم المعرفي.

الفصل التاسع

مكانة الأكاديميين العرب ووظيفتهم

أولاً: مكانة الأكاديميين العرب

«المكانة، شأنها شأن رأس المال، تزيد بالاستغلال، ووجاهة الفرد (ضمن هذه المكانة) ترتبط في جانب كبير منها بوضعه الطبقي، وذلك في اعتمادها (مثلاً) على وجاهة أولئك الذين يقبلونه ويعاشرونه ويعتبرونه واحداً منهم. فإذا شارك الفرد أشخاصاً من ذوي وجاهة عالية، وعلى مساواة تامة معهم، فإن من شأن ذلك الرفع من وجاهته هو شخصياً. ولهذا السبب تكون مشاركة وجهاء القوم مجزية. وللسبب نفسه، يعرّض المرء الذي يعاشر باستمرار أشخاصاً أقل وجاهة منه نفسه لخطر اعتباره من قبل الجماعة، واحداً من مستوى من يعاشرهم، وبذلك يفقد وجاهته. أما الجزاء الذي يمكن أن يحصل عليه من وراء معاشرة من هم أقلّ منه اجتماعياً - كالاحترام الذي يحظى به في تفاعله معهم - (والذين يربحون من معاشرته)، فيمكن أن يتضمن خسارة الشخص مقامه الاجتماعي»[1].

تتحدد المراعاة و«المحترمية» اللتان يحظى بهما الأكاديمي، وكذا الامتيازات التي تمنحه اياها الوظيفة التي يقوم بها في المجتمع، في جانب كبير منها، بمكانة الأكاديمي الاجتماعية، التي هي في الواقع محصلة رأسماله الثقافي الرمزي المضاف إلى نفوذه الاجتماعي وإلى الجزاء المادي الناتج منهما.

ويرى ڤيبر[2] أن المكانة والشرف الإجتماعي اللذين يحظى بهما الفرد يمكن أن ينبنيا على الأصل العائلي والعمل في الوظيفة والملكية والثقافة. ومن ثم، فإن الأكاديميين العرب

---

(١) Peter M. Blau, *Exchange and Power in Social Life* (New Brunswick, U.S.A. : Transaction Books, 1986), p. 133.

(٢) Max Weber, *Economy and Society: An Outline of Interpretive Sociology*, edited by Guenther Roth and Claus Wittich; translators Ephraim Fischoff... [et al.], 2 vols. (Berkeley, Calif.: University of California Press, ©1978).

كمجموعة تجمعهم عضوية المجال الاكاديمي، يمكنهم الحصول على مستوى معينّ من الوجاهة، وهذه الوجاهة تكون متضمَّنة في مقدار ما لهم من رأسمال علمي وفي مقدار ملكيتهم المعرفة. ويمكن تحديد الاكاديميين كأشخاص ينتمون إلى فئة ذات مكانة معينة تتميز عن الفئات الأخرى وعن مكانات تلك الفئات بممارستها نشاطاً فكرياً واحداً. إضافة إلى هذا، يمكن أن تحدد الفئة الأكاديمية بالقيمة الرمزية لإنتاجها وبتشابه الاستهلاك لإنتاج فكري وعلمي معينّ. أما عن نشاط الأكاديميين في حقل معرفي داخل المجال الأكاديمي، فإن هذا النشاط يميزهم كفئة أكاديمية (عن الفئات الأكاديمية الأخرى) بما يضمه نشاطهم ذاك من امتيازات وفوائد (أو بما يحرمهم منها).

إضافة إلى هذا الاعتبار الاجتماعي الرمزي، يكون للمكانة جانب قانوني ومقنن. وتأخذ المكانة قانونيتها هاته من التعيين الرسمي والمصادقة الرسمية على الألقاب والشهادات العلمية التي تخوّل اصحابها ممارسة سلطة المعرفة والخبرة. أما الاحترام الذي تنعم به المكانة، فإما أنه يُبنى على الصورة التقليدية المكوِّنة لتلك المكانة في المجال الإجتماعي والثقافي الذي يمارس فيه الأكاديميون نشاطهم، وإما أنه يُبنى على أهمية المعرفة وإجرائية الخبرة المرتبطة بها. وقد تكون هذه الاهمية نظرية أو معرفية أو ذرائعية أو قانونية.

وتقدَّر أهمية المكانة ـ بوصفها شكلاً من أشكال التميز ـ بالنفوذ والسلطة اللذين تسبغهما المكانة على الأكاديميين. ويمكن ملاحظة ذلك، مثلاً، في مدى استقلاليتهم وحرية نشاطهم، بالمقارنة مع فئات اجتماعية أخرى، خاصة مع فئتي المثقفين البيروقراطيين، والبيروقراطيين. ويعني ارتباط المكانة باستقلالية العمل، في الممارسة العملية، قدرة الأكاديميين على اختيار مصادرهم ومراجعهم، دون إخضاع أنفسهم للنموذج السائد وطلب موافقته المسبقة. وفي هذه الحالة، يكون في مقدورهم التعبير عن أنفسهم وعن انتقاداتهم، والابتعاد عن القواعد التي يسنها النموذج السائد في الدولة. ومن ثم، أيضاً، يمكنهم حماية مصالحهم والمناورة من أجل الحفاظ عليها وعلى هويتهم الثقافية وتميّزهم عن الآخرين.

ونظراً إلى الوضع الراهن في البلدان العربية، فإن الأكاديميين العرب يتطلعون إلى اكتساب قدر من الاحترام والاعتبار، بحيث يرغبون في مكانة أكاديمية معززة ومكرَّمة ومعترف بها. ولربما كان اكتساب المكانة وضمان بقائها، من بين الأهداف الأساسية التي يسعى الأكاديميون العرب إلى بلوغها. وعن تطلّع من هذا القبيل يقول لينسكي (Lenski)[٣] «إن الرغبة في المكانة يتولد عنها نهم جامح، بحيث قليلون هم الذين يقنعون بما وصلوا إليه من تشريف واحترام ـ مهما بلغ ذلك التشريف وذلك الاحترام ـ دون تطلّع إلى اكتساب المزيد عندما تتاح لهم الفرصة»، ولربما كانت المكانة عينها تخلق حاجات خاصة بها في التطلع والترقي، لكن اتضح لنا من أجوبة الأكاديميين العرب الذين استطلعنا رأيهم في هذه الدراسة، أن المكانة التي يسعى إليها هؤلاء

(٣) Gerhard Emmanuel Lenski, *Power and Privilege: A Theory of Social Stratification*, McGraw - Hill Series in Sociology (New York: McGraw - Hill, 1966), pp.37 - 38.

خالية من هذا التطلع، ذلك أن تطلّعهم إلى المكانة ليس من أجل الترقي، ولكن لأن المكانة تشكّل في ذاتها ضرورة حيوية بالنسبة اليهم:

«المجتمع الذي لا يحترم مسؤولوه وعامته رجال العلم، مجتمع من دون وعي علمي. يجب أن يُعتبر رجال العلم لا على أساس المبادرة المبهمة والوعود، ولكن يجب أن يكون اعتبارهم في المساعدة المادية التي تقدّم إليهم وفي الرفع من مكانتهم.

ورجال العلم في أيامنا هاته يصارعون من أجل البقاء في مجتمع يسود فيه المال والاستهلاك».

(أستاذ مساعد/ القانون العام).

«إننا نعيش تحت ضغط مادي ونفساني، فالوجاهة والاعتبار اللذان نعم بهما الأساتذة في الماضي أصبحا اليوم في خبر كان.

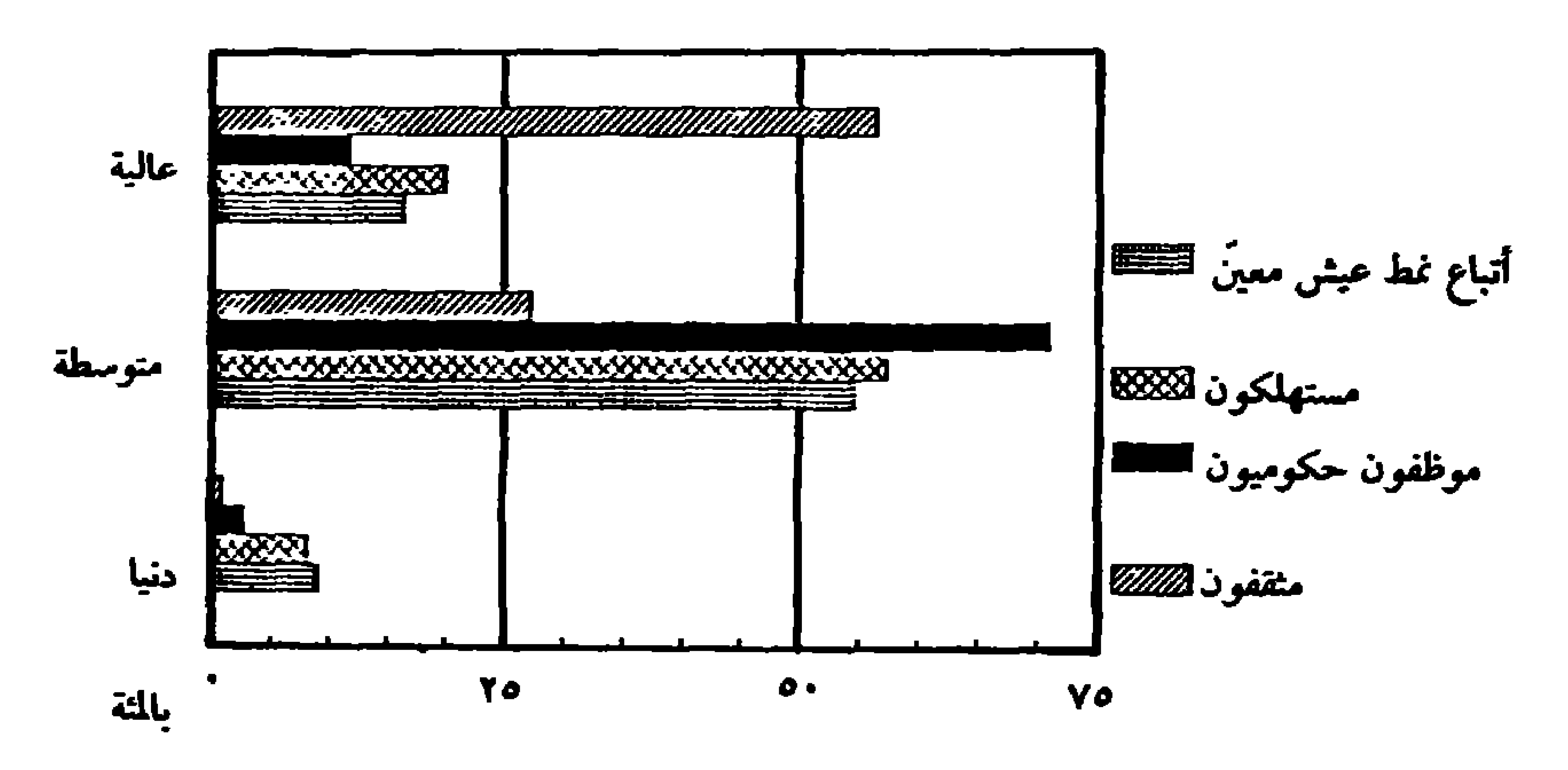
إضافة إلى هذا، هناك قوى رقابية موازية تمارس على الأساتذة كل أشكال القهر والقمع...».

(أستاذ/ الشريعة).

«هناك، في الغرب يحترمون علماءهم، أما هنا، فيقمعونهم. هناك يفتحون لهم أبواب المؤسسات العملية والأكاديمية، أما هنا فيفتحون لهم أبواب السجون. هناك يكرّمون رجال العلم بالاعتبار والجزاء وهنا يرسلون البوليس لمراقبتهم، حتى في حرمهم الجامعي، أو عندما يتكرمون عليهم، يحجزون لهم تذكرة ذهاب، من دون عودة، إلى المنفى...».

(محاضر/ العلوم السياسية).

شكل رقم (٩ - ١)
وضعية الاكاديميين كما يتصورونها بأنفسهم من خلال الوظائف والادوار التي يقومون بها (العدد = ١١٠)

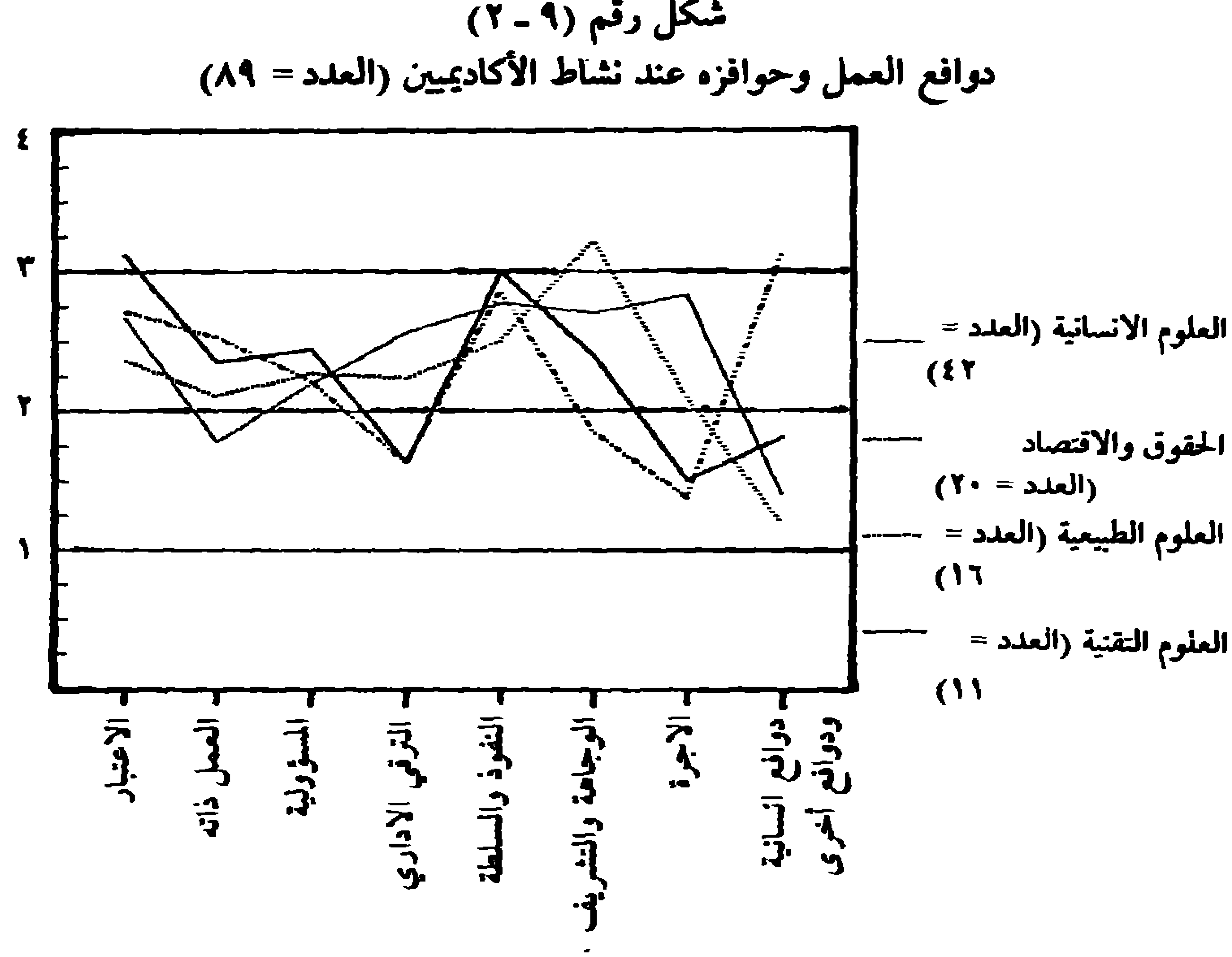


لقد طلبنا من الاكاديميين أن يرتبوا أنفسهم في السلّم الاجتماعي وفق إدراكهم الذاتي له ومن خلال منظورات أوضاعهم المختلفة ومؤهلاتهم. وأتضح، كما هو مبيّن في الشكل رقم (٩-١)، أن الاغلبية ترى أن لها سمات تربطها بالطبقة المتوسطة، وذلك في نمط عيشها واستهلاكها وفي طبيعة الوظيفة الحكومية التي تشغلها. =

= وفي الوقت نفسه تعتبر الاغلبية نفسها ضمن الطبقة العليا اعتباراً لثقافتها ورأسمالها المعرفي. وأما أولئك الذين يضعون أنفسهم ضمن الطبقة العليا بسبب نمط عيشهم واستهلاكهم، فينتمي أغلبهم الى المغرب والامارات العربية لأن الاكاديميين في هذين البلدين يُعتبرون ادارياً واقتصادياً في وضع أحسن من البلدان الاخرى. وأما أولئك الذين يضعون أنفسهم في أسفل السلّم، فينتمي أغلبهم الى مصر، نظراً لما يعرفه هذا البلد من صعوبات اقتصادية. وهناك أيضاً من يضع نفسه في أسفل السلّم بسبب أصله الاجتماعي.

شكل رقم (٩ - ٢)

دوافع العمل وحوافزه عند نشاط الأكاديميين (العدد = ٨٩)



يظهر من الشكل رقم (٩ - ٢) أن دوافع السلطة والنفوذ والوجاهة والتشريف تشكّل حوافز للعمل عند المشاركين المنتمين إلى الانتليجنسيا العربية. بينما تشكّل دوافع الاعتبار والمسؤولية والدوافع الإنسانية حوافز للعمل عند الاكاديميين التقنيين.

نتيجة هذا الوضع الذي تولّده الحاجة، يدافع شومبار دو لوي (Chombart de Lauwe)[٤] عن فكرة تقول: «إن الحاجة تشكّل قوة تنظّم التصور والعقلنة ومجهود العمل، بطريقة تجعل كل ذلك يعمل على تغيير الوضع القائم». والأكاديميون يحاولون، بسبب وجودهم في مجتمع بيروقراطي، استعمال كل رؤوس الأموال الموضوعية رهن إشارتهم - كما سبقت الإشارة إلى

(٤) Paul Henry Chombart de Lauwe, *Pour une sociologie des aspirations: Eléments pour des perspectives nouvelles en sciences humaines*, bibliothèque médiations; 63-64 (Paris: Denoël; Gonthier, 1971), p.29.

ذلك ـ من أجل الاندماج في الوسط الأنتلوقراطي والبيروقراطي، لأن باندماجهم ذاك يعززون مكانتهم وسلطتهم. وفي هذا الصدد يرى سمير خلف[5]. أن الأكاديميين، بصفتهم فئة مثقفة، تنقصهم الوجاهة والمكانة، ولربما كان ذلك ـ يضيف خلف ـ نتيجة التقاليد الثقافية أو نتيجة اختلاف حاجات كل مجتمع. فالقيمة والأهمية اللتان تعطيان للمعرفة ولمن يمثلونها، تختلف بحسب الأزمان والمجتمعات. ويعزز خلف فكرته بأمثلة من عدد من الدول: «في ألمانيا تطوّق أكاليل المجد هامات الأساتذة والباحثين وينعمون بالوجاهة والمكانة العالية، وفي أمريكا تعطى للخبراء، وفي فرنسا تعطى لرجال الأدب والكتاب، وفي إفريقيا تعطى للأيدلوجيين السياسيين الصاعدين، أما في العالم العربي، فتُعطى، بسبب تقلبات الأوضاع السياسية والمشاكل الاقتصادية، للانتليجنسيا البيروقراطية والسياسية التي تحتل اليوم قمة الهرم الإجتماعي»[6].

وعلى الرغم من أن في هذا القول كثيراً من التعميم، إلا أنه يصف في ما يخص الوطن العربي، وصفاً جيداً توزيع السلطة والنفوذ والعوامل المحددة لمكانة المثقفين. ولهذا فإن الأكاديميين العرب متعطشون لاكتساب الاعتبار، ذلك أن الاعتبار يمثل عاملاً مهمّاً في نشاطهم الأكاديمي.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى يتطلب وجود المعرفة نوعاً من دعم السلطة المؤسسة والسياسية. وهناك بطبيعة الحال أشخاص يملكون السلطتين معاً، المعرفية والسياسية. وإذا جاز أن نقول إن السلطة يمكن أن توجد دون نوع من المعرفة، فإنه لا يجوز أن نقول إن المعرفة يمكن أن توجد دون نوع من السلطة. فسلطة المعرفة في ذاتها تمارَس في أماكن العلم والمعرفة. وما نعنيه هنا بالسلطة، تلك السلطة التي تحيط صاحبها بهالة من «المحترمية». ويرى كونراد وسزلينيي (Konrad et Szélenyi)[7] في نقاشهما للمعرفة والسلطة، أن بين المعرفة والسلطة علة ذات بعدين. فالمعرفة تخلق صنفاً من السلطة خاصاً بها، وفي الوقت نفسه تجذب السلطة إليها صنفاً خاصاً من المعرفة. والأكاديميون، كأرباب نفوذ، يحيطون أنفسهم بسلطة المعرفة التي تمكّنهم في المقام الأول من فرض نظرتهم العلمية على الآخرين ومن سلطة تقويم كفاءاتهم ومؤهلاتهم. ولهذا فهم يمتلكون سلطة الرفض والقبول بالنسبة إلى من يريد الالتحاق بمجالهم. وهذا النفوذ المدعوم بالسلطة يدفع الأكاديميين، بوعي منهم أو بغير وعي، إلى ممارسة نوع من «الحمائية الثقافية» التي تتطلب استراتجيات وقواعد لعب خاصة بها. ويبدو أن هذا متأصل في البنية الأكاديمية، إذ يصف بورديو هذه البنية بهذا الوصف: «إن البنية الأكاديمية هي، في أي حين من الزمن، حالة من علاقات السلطة بين الأشخاص العاملين، أو بوصف آخر أكثر دقة هي حالة من علاقات السلطة المخولة لهم ضمن حقوقهم، أو فوق هذه المخولة لهم في المؤسسات التي ينتمون إليها، ذلك أن المواقع التي يحتلونها في هذه البنية هي التي تحرك الاستراتجيات الرامية إلى تغييرها (أي

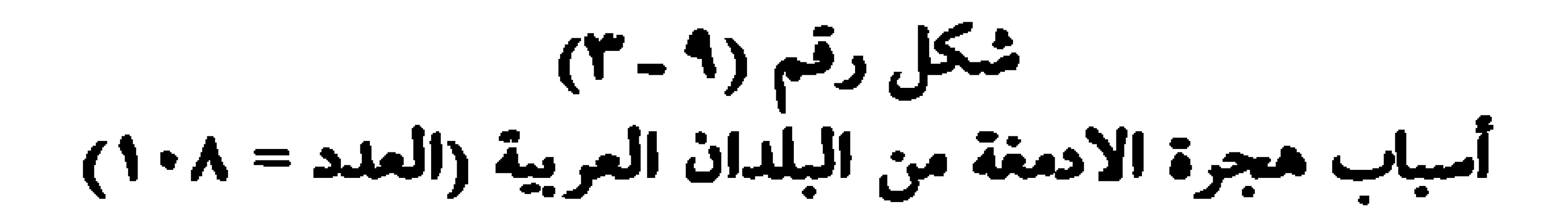
---

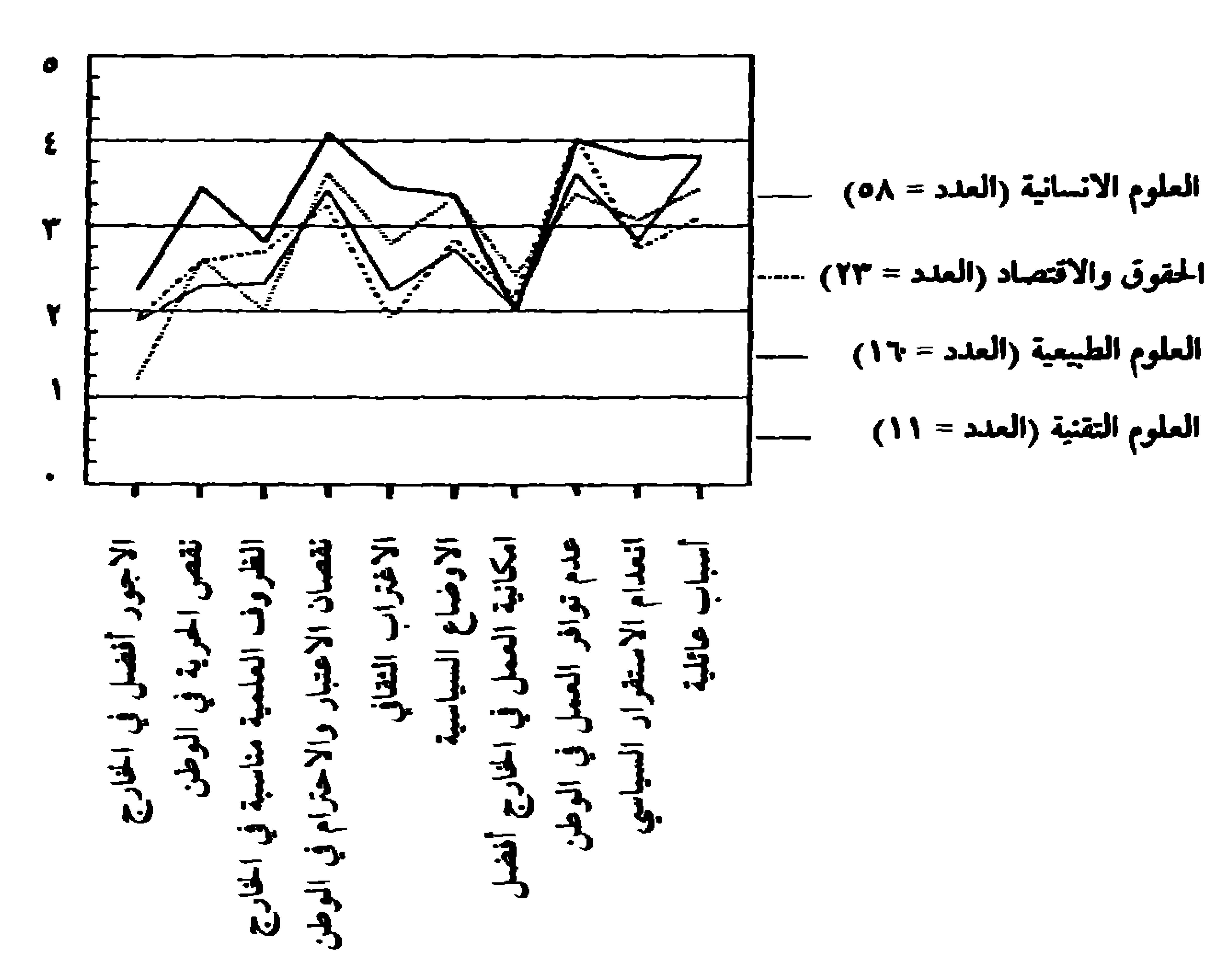
(٥) Samir Khalaf, «The Growing Pains of Arab Intellectuals,» *Diogenes*, no. 54 (Summer 1966), pp.59 - 80.

(٦) المصدر نفسه، ص ٥٩ ـ ٨٠.

(٧) George Konrad and Ivan Szélenyi, *The Intellectuals on the Road to Class Power*, translated by Andrew Arato and Richard E. Allen (New York: Harcourt Brace Jovanovich; Brighton: Harvester Press, 1979), pp.37 - 38.

البنيـة) أو الرامية إلى الحفاظ عليهـا، إما بتغيير علاقـات القوة بـين مختلف السلط، وإما بـالحفـاظ عـلى تلك العـلاقات كما هي، أو بعبارة أخـرى التغيير أو الحفـاظ عـلى المعـادلات القـائمـة بـين مختلف أصنـاف رؤوس الاموال»[٨].


شكل رقم (٩ - ٣)
أسباب هجرة الادمغة من البلدان العربية (العدد = ١٠٨)



من خلال هذه الاجوبة يرى المشاركون ان نقصان الحرية والاحترام والاعتبار وعدم توافر العمل المناسب تشكل أسباباً رئيسية في هجرة الادمغة العربية نحو الغرب.

والـواقع أن لكـل حمائيـة ثقافيـة تنشأ في الحقـل الأكاديمي، عـواقب تظهـر في المجال، فيكون هناك الخـاسرون السلطة والمتطلعـون إليها والـراغبون فيهـا. فأربـاب النفوذ بصفتهم حراساً «للعلموية»، يستغلون رأسمالهم ونفوذهم في وضع القواعد والأسس الرمـزية للمجـال الأكاديمي والقدماء بصفتهم حرّاساً للأبواب يعملون على أن تكون لديهم اليد العليا في صنـع القرارات واحتكار كل القنوات ومراقبة السير الإداري للأكاديميين: وذلـك بعرقلة تـرقيتهم أو التخفيف من وتيرة سيرها مثلاً.

وغالباً ما تشكّل الوجاهة والمكانة والمصلحة مصادر للتنافس بـين الأكاديميـين، إذ يكون من غير اليسير عليهم الاعتراف بها بعضهم لبعض. ولهذا، يلاحظ المرء أن كثيراً من نشـاط

(٨) Pierre Bourdieu, *Homo académicus* (London: Polity Press, 1988), p. 128.

الأكـاديميين وتـطلعاتهم وسلوكهم يعمـل ويسير في اتجـاه تعزيـز المكانـة وضمان بقـائها. ومن البديهي أن في هذا التعزيز اكتساب قدر من «المحترمية» والسلطة والوجاهة.

وتتعلق المكانة والوجاهـة، في قدر كبـير منها، بنـوع السلطة التي تخولها المعرفـة والنفع الـذي يمكن أن يُجنى من وراء استثمارهـا في مجالات أخـرى، ذلـك أن تـوزيـع المكـافـأة في المجتمع، حسب لينسكي (Lenski)[9] يسايـر توزيـع السلطة. وعن ذلك ينشـأ التنافس بـين الأكاديميين العاملين في الحقل المعرفي الواحد أو بين الأكـاديميين من مختلف الحقـول، إذ المهم في هذا التنافس أن يجمعهم سياق أكاديمي واحد. وفي إطار هـذا يحاول الأشخـاص العاملون في المجال الأكاديمي إقامة نوع من سياج اجتماعي يحوط مجـالهم، كأن يعمـدوا إلى رسم حدود ومـوانع تحفظ تميـزهم وتضمن احترامهم وتمنـع اندمـاج غير العـارفـين (Profane) في حقلهم المصون. وإذا ما حاول غير العارفين تخـطي تلك الحدود، فـإن الأكاديميـين يضعونهم مـوضع الشك والريبة، ولا يكتفون باتهامهم بحمـل «الابتذال» إلى مجالهم فقط، ولكن يلصقون بهم تهمة الهرطقة. إضافة إلى هذا، يشكل هذا السياج، في رأي ڤيبر، عمليـة ترغب من خـلالها مجمـوعة مـا في الحصول عـلى أقصى ما يمكن من المكـافأة والجـزاء، وذلك بتحـديـد المصـادر والفرص في دائرة معينة لا يلجها إلا من تـوافرت فيـه شروط تأهيـل معيّنة[10]. ولهـذا، يشعر القادمون الجدد إلى المجـال الأكاديمي بالاستضعاف، أو أنهم «مستضعفون» نسبياً في مواجهتهم من سبقوهم إلى المجال، خاصة إذا كان هؤلاء القادمون ينتمون إلى طبقة محرومـة من رؤوس الأموال الاجتماعية والاقتصادية والرمزية، ويعتمدون فقط على رأسمالهم المعرفي:

«بسبب أصـلي العائـلي، كان لقب أستـاذ يرنّ في مسـامعي، وكنت أرى في تحقيقه أوجـاً . . . لكن بعـد أن أصبحت أستاذاً اكتشفت أن كـل مـا تحمله حقـائبي لا يتعـدى عـدداً قليـلا من الشهادات دون صداقات قوية، ولا ارتباطات مهمة . . .».

(محاضر / الانثربولوجيا).

«أسرتي، أسرة فلاحة غير متعلمة، كل ما ورثته منها تعليم تبسيط و«الـبركة». أمـا الباقي فقـد جاهدت في الوصول إليه بنفسي. في مجتمع كهذا، يلازمك أصلك الفقير مـلازمة الـظل، فهو معـك أينما كنت، وتـراه العين مجسداً فيك وحـواليـك. ولا يمكنـك التخلص منـه، وحتى إن حاولت، فهناك واقع وحدود تلزمك مكانك . . .».

(محاضر / الفلسفة).

والواقع أن هذا الوضع خانق بالنسبة إلى القادمين الجدد ـ من الصنف الذي أشرنا إليه ـ ذلك أن التحاقهم بفئة الأكاديميين يتطلب منهم جهوداً مضاعفة قبل تحقيق الإنـدماج الـذي من دونه لا يمكنهم اكتساب الاحترام. وحتى حصولهم على موطىء قـدم في المجال الأكـاديمي

---

(٩) Lenski, *Power and Privilege: A Theory of Social Stratification*, p.63.

(١٠) Frank Parkin, *Marxism and Class Theory: A Bourgeois Critique* (New York: Columbia University Press, 1979), p.44.

يكلّفهم فكرياً ونفسانياً أضعاف ما يكلّف الآخرين، إذ يكون على هؤلاء أن يصارعوا لا من أجل الاندماج وحسب، ولكن أيضاً من أجل إيجاد مقعد لهم وتحقيق وجودهم في المجال الأكاديمي. ومن الطبيعي أن يؤدي هذا إلى خلق توترات بين الأشخاص. ومن هنا يلاحظ أن كثيراً من الجهد الفكري للأكاديميين يضيع في بناء وضعهم وتكوين الصورة اللائقة به، وبعد ذلك يضيع جهد آخر في الحصول على الوسائل الكفيلة بحماية ما تحقق وتعزيزه.

وإذا كان الأكاديمي يعيَّن في المؤسسة، ويندمج فيها بكيفية قانونية ومشروعة، فإن ما يحدد موقعه ويميزه يرتبط في المقام الأول برأسماله الثقافي والتعليمي. وهنا يدخل عامل آخر وهو المكان الذي أخذ فيه معرفته والمصدر المعتمد فيها ومؤهلاته الجامعية. ومن هنا يطرح مثلاً هذا السؤال: هل درس الأكاديمي في بلد شيوعي شرقي؟ أم أنه درس في بلد رأسمالي غربي؟ أو هل أتم دراسته فقط في احد البلدان العربية[11]. وفي ما يلي نماذج من أجوبة المشاركين تلقي الضوء على أهمية هذا العامل:

«في الوقت الراهن هناك فيض في عدد أصحاب الشهادات، ولكن هناك نقصاً في ذوي القيمة منهم. فكل واحد يريد أن يعيّن أستاذاً في الجامعة كيفما كانت الشهادة الحاصل عليها. خذ مثلاً، هناك واحد درس في يوغوسلافيا أو روسيا وقضى فيها سبع سنوات، ثم عاد بدكتوراه، ولا أدري كيف حصل عليها... كل ما أدريه أنه يرغب في أن يعطى له كرسي في الجامعة...».

(عميد وأستاذ/ العلوم السياسية).

ورد ما يلي، في حديث رئيس جامعة وهو يقدم إليّ أستاذة جامعية:

«لي الشرف أن أقدم إليك الأستاذة ... إنها من خيرة أساتذة اللغات عندنا... لقد أتمت دراستها في الولايات المتحدة (في اللغة الانكليزية وآدابها). هل تعلم أنها تتحدث بأربع لغات؟... وهل تعلم أيضاً أن والدها هو الدكتور... الأستاذ والكاتب المشهور... بالتأكيد أنك اطلعت على واحد من كتبه ... أستاذتنا الشابة تسير على خطى والدها ... لقد درس والدها في فرنسا...».

(رئيس جامعة وأستاذ سابق/ الكيمياء).

ومن بين النماذج الأخرى التي يمكن إدراجها في موضوع مكانة الأكاديميين، نموذج «العلماء» في الوقت الراهن. فالعلماءالذين احتكروا بالأمس مجال المعرفة، أصبحوا اليوم في وضع يأسفون فيه على ما فقدوه، ويشعرون أن أصحاب المعرفة الجديدة تجاوزوهم وتخطوهم:

---

(11) تقاس وجاهة الشهادات العلمية (كرأسمال تعليمي) أيضاً بوجاهة المعهد أو الجامعة التي منحتها وكذا السياق الذي تم فيه الحصول عليها. مثلاً هناك فروق بين جامعة فانسين وجامعة السوربون، وبين جامعة في الوطن العربي وأخرى من العالم الثالث.

«في الماضي كان العلماء ينعمون بالاحترام الكبير من عامة الناس ومن السلطة السياسية، وهذا الاحترام ليس، وحسب، من أجل معرفتهم، ولكن من أجل علمهم بالفقه والشريعة اللذين هما أعمدة المجتمع الإسلامي.

وعندما أرى اليوم المثقفين الملحدين، الذين لا يحملون أي احترام للإسلام، يلقون المكافأة والاعتبار، أشعر بالمرارة.

أنا لا أدافع عن وضعي الخاص ولكني أشجب الاعتبار الذي يلقاه هؤلاء الملحدون أعداء الإسلام الذي هو القوة الروحية لمجتمعنا.

سؤال: في رأيك، هل يجب إعطاء العلماء والفقهاء اعتباراً أكبر؟

جواب: بالتأكيد، فهؤلاء هم أول من حارب الهيمنة الغربية في الماضي، وحافظ على هوية هذا الوطن. وما يزال العلماء يقومون بذلك الدور إلى اليوم.

فلولا عملهم ونشاطهم لكان الوضع أسوأ مما هو عليه اليوم...

إن سرطان الإلحاد والمادية بلغ حداً لا يطاق في العقود الأخيرة ... ولكن الإسلام اليوم، والحمد لله، يستعيد قوّته في المجتمع. والجيل الجديد، سيحمل مشعل الدفاع عن المجتمع الإسلامي ضد المسيحية والشيوعية والصهيونية ... وسيعيد إلى الإسلام والمسلمين كرامتهم ووضعهم التاريخي المنير...».

(إمام وأستاذ/ الشريعة).

ثانياً: وظيفة الأكاديمي في بعديها المتأصل والنزعي

بعد أن أعطينا الخطوط العريضة لمكانة الأكاديميين العرب، نعتقد أنه أصبح بالإمكان فهم وظيفتهم الثقافية والفكرية. والواقع أن وظيفة الأكاديميين تتمثل في بُعدين: بعد في نوعيتها وبعد متأصل فيها[١٢]. يرى مانهايم (Mannheim)[١٣]، في تحليله دور المثقف، أن على هذا الأخير أن يتعالى عن القوى السياسية المتصارعة وعن المصالح المتضاربة، وأن يضع نفسه في موقع محايد غير منتمٍ (الواقع أن الموقع المحايد يشكل نوعاً من الانتماء)، بحفاظه على نزاهته العلمية التي يستعملها في تحليل الظواهر الاجتماعية وانتقادها دون تحيّز لهذه القوة أو تلك. وهناك منظور آخر مخالف لهذا كالذي نجده في نظرية غرامشي (Gramsci)، الذي يرى أن على المثقف أن يضع نفسه ومعرفته رهن الصالح العام، بحيث تعبّأ كل قدراته الفكرية وإبداعه ومهاراته من أجل توعية الجماهير، وبذلك ينحاز انحيازاً عضوياً إلى هؤلاء كطبقة[١٤].

---

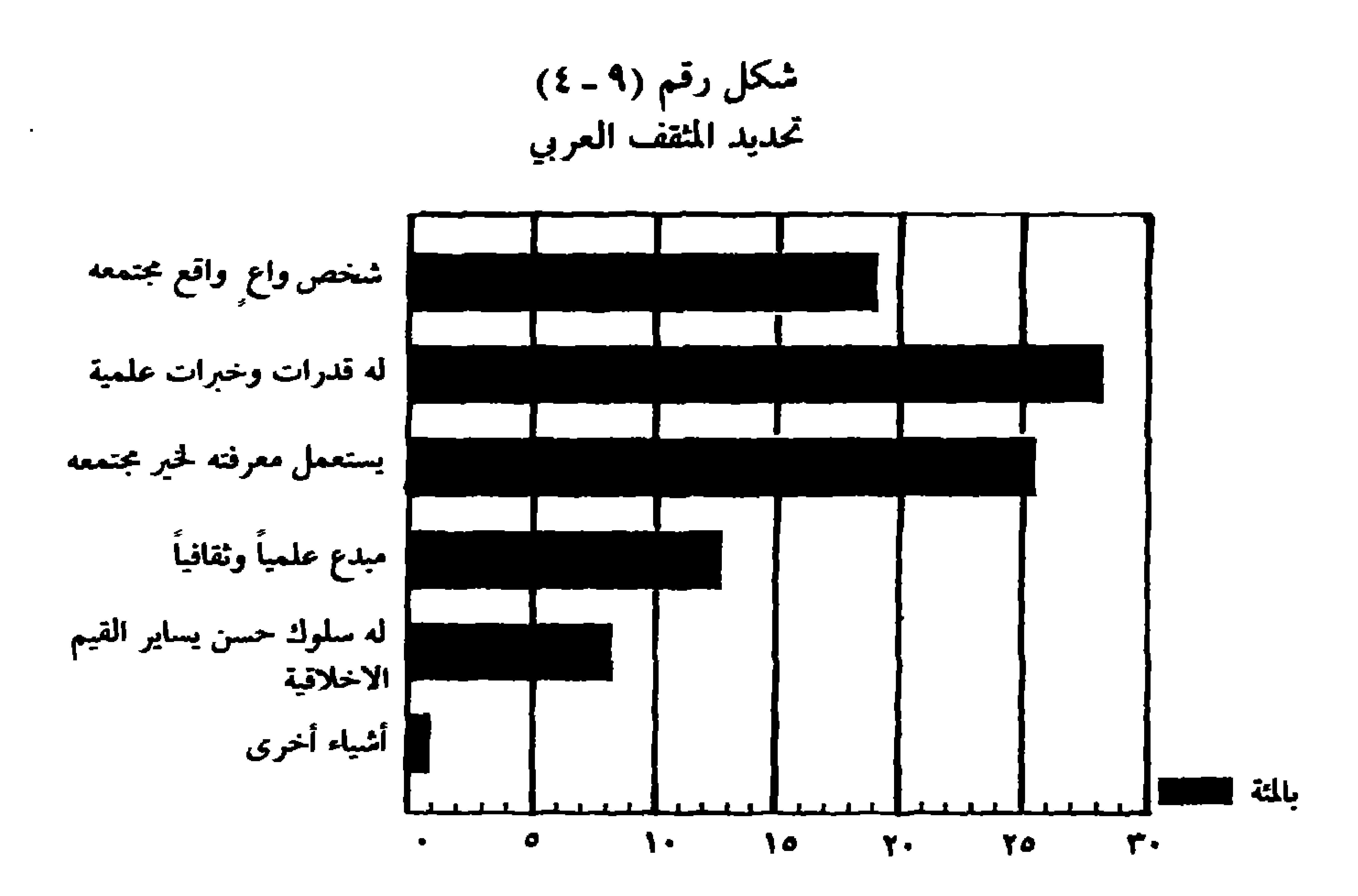
(١٢) Konrad and Szélenyi, *The Intellectuals on the Road to Class Power.*

(١٣) Karl Mannheim, *Ideology and Utopia: An Introduction to the Sociology of Knowledge*, with a preface by Louis Wirth (New York: Harcourt, Brace and World, 1936).

(١٤) Antonio Gramsci: *The Modern Prince and Other Writings*, New World Paperbacks; N W - 78 (New York: International Publishers, °1957), and *Selections from the Prison Notebooks*, edited by Quintin Hoare and G.N. Smith (London: Lawrence and Wishart, 1971).

وعلى الرغم من الاختلاف الموجود بين هذين المنظورين، في محتواهما وغاياتهما، فإنهما معاً محددان بعوامل سياسية وإيديولوجية، ومتأصلان معاً في سياق وزمن معينين كان فيهما التصور الكوني للمثقف ما يزال مهيمناً بقوة[15]. وما يهمنا في هذا أن ما هو مطلوب من المثقف ومتوقع منه يشكل السمات الأساسية في تعريف المثقف العربي اليوم (أنظر الشكل رقم (٩ - ٤)) ولربما كان في هذا ميول مثالية عند المثقف.

شكل رقم (٩ - ٤)
تحديد المثقف العربي



يتضح من التقويمات المبيّنة في الشكل رقم (٩ - ٤) أن ثلث المشاركين تقريباً يرى أن المثقف العربي يمكن تحديده على أساس أنه شخص مثقف ثقافة عالية ويجب أن تكون له خبرة علمية وإبداع فكري. في حين يربط باقي المشاركين تحديدهم بعلاقة المثقف بمجتمعه. وهكذا يعتبر ثلث المشاركين أن على المثقفين وضع ثقافتهم ورأسمالهم المعرفي رهن اشارة مجتمعهم، وذلك لأن المثقفين واعون أكثر من غيرهم واقع مجتمعهم وملتزمون بقضاياه.

ولكن إذا نحن نظرنا بتمعّن إلى الواقع الوجودي للمثقف العربي، فإنه يحق لنا أن نقول إن أي تصور يحتم على المثقف أن يكون «غيرياً» (نسبة إلى الغير/ ضد الأنانية) وينفي عنه المصلحة الشخصية ـ من أجل مصلحة المجتمع ـ لا يمكنه أن يصدق على جميع المثقفين في كل الأحوال.

---

(١٥) انظر: Rolland Romain, «Déclaration d'indépendance de l'esprit,» dans: *Œuvres choisies* (Moscow: Editions du Progrès, 1979), pp. 254 - 255, et Michel Foucault, «Truth and Power,» in: Charles Lemert, ed., *French Sociology: Rupture and Renewal Since 1968* (New York: Columbia University Press, 1981), pp. 293 - 307.

«غالباً ما يُعطى الأكاديمي صورةً مثالية، يظهر فيها كالكلب الأمين، الذي يهتم أولاً وقبل كل شيء بمجتمعه وقيمه ورموزه وأخلاقه وثقافته... الخ. وإذا ما خالف هذه الصورة أو انحرف عنها، تكون على استعداد لاتهامه بأنه وصولي ومثقف زائف ومادي...

ونتناسى أن المثقف العربي ما هو إلا كائن بشري له حاجياته وتطلعاته كسائر البشر...».

(أستاذ مساعد/ العلوم الإنسانية).

ومن الأكيد أنه في الأزمات الوطنية أو العالمية، يأخذ البعد المتأصل مكان الصدارة في نشاط المثقف، ويصبح الأكاديمي ملتزماً بهذه القضايا دون أن يُفقده ذلك وجوده الثقافي. فهو يشعر في هذه الحالة أن بإمكانه الالتزام بهذه القضايا التي ربما تقدّم إليه السياق التاريخي الوحيد الذي يمنحه قوة الدفاع عن نفسه وحقوقه وفرض سلطته الثقافية، وذلك من خلال صراعه ودفاعه عن سلطة الآخرين وحقوقهم.

«تنتج عن الأزمات الكبرى، تغيرات كبرى... فلربما أصبح أناس كبار صغاراً وأناس صغار كباراً. فخلال التغيرات الكبرى التي عرفتها البنية الاجتماعية والايديولوجية لهذا المجتمع في الخمسينيات والستينيات، أصبح كثير من «المثقفين» ممن لم تكن لهم صلة بالعلم، سلطات علمية، بسبب تأييدهم الايديولوجيا الصاعدة، وتأييد الايديولوجيا لهم. وفي السياق نفسه، فقد كثيرون من العلماء المحترمين مكانتهم، إذ اتهموا وقتها بالرجعية...

وفي السنوات الأخيرة نسي جيل المثقفين الجدد «المتحررين» كل شعاراتهم «التقدمية» «القديمة» وصنعوا أسوأ مما صنع سابقوهم.

فلم يكن نشاطهم الثوري والتزامهم إلا من أجل تحقيق المصلحة الشخصية...».

(محاضر/ العلوم الاجتماعية).

وربما يرى البعض في ملكية المثقف رأسمالاً ثقافياً وعلمياً حافزاً له في نشاطه الأكاديمي. ولكن قيمة رأس المال هذا، تتعلق - كما بيّنّا ذلك في مواضع كثيرة - بالمكانة التي يمنحه إياها رأسماله ذاك في حقله المعرفي وفي المجتمع ككل. ومن هذا المنظور، فإن الأكاديمي لا ينفق وقته فقط في الاندماج في مجاله ونقل المعرفة وتلقينها، ولكنه ينفقه أيضاً في الحفاظ على مقعده في المجال الأكاديمي وفي الاهتمام بحياته الفكرية والثقافية، أو بعبارة أخرى يكون مهتماً، بكيفية مباشرة أو غير مباشرة، ، بعلة وجوده، أما صورة «المثقف الشهيد» الذي يضحي بحياته من أجل العلم، وفق ما هو مطلوب من رجال العلم دون انتظار للجزاء والشكور، فإنها ربما لم تعد موجودة سوى في قصص البطولة الأغريقية وميتولوجيتها.

ونعتقد من جهتنا، ونحن على مشارف الانتهاء من هذه الدراسة، أن الحكم على المثقف الأكاديمي العربي يتطلب من الدارس أن يأخذ في اعتباره جملة من المعطيات، منها:

أولاً: أن جل الأكاديميين العرب ينتمون إما إلى الطبقة المتوسطة وإما إلى الطبقة الدنيا، وأنهم أوائل الأفراد (في العائلة أو القبيلة أو الجيل) الذين تمكنوا من تأهيلات علمية عالية والتحقوا بالمجال الأكاديمي. **ثانياً:** أن النظام التعليمي الذي انتجهم نظام تعليم

نخبوي وأن المجهودات والرساميل التي بذلتها أُسرهم وهم أنفسهم في سبيل اكتساب المعرفة كثيرة. **ثالثاً**: أن أُسرهم (بالمعنى الضيق وبالمعنى الواسع للكلمة) تنتظر النفع والفائدة من وراء وصولهم إلى المجال الأكاديمي. فإذا ما نحن أخذنا في الاعتبار هذه المعطيات وغيرها أمكننا آنذاك القول إن صورة المثقف الموجود فقط من أجل خلاص الآخرين والدفاع عن الضمير الاجتماعي، غير صحيحة ولا واقعية في جميع الحالات. صحيح أن كل فرد يرغب في أن يفعل شيئاً ما، في إطار نشاطه الوظيفي أو خارجه، لصالح الجماعة، ولكن شريطة أن يلقى ذلك العمل القبول والجزاء من طرف الجماعة. وفي حالة المثقف يتضمن هذا الجزاء الموضوعي، في غالب الأحيان، مظهراً متأصلاً في نشاطه. ولهذا، فإن المثقف الأكاديمي لا يعمل فقط من أجل خلاص الآخرين، ولكنه يعمل أيضاً، وفي الغالب، من أجل خلاصه الشخصي. وقليل هم أولئك الذين يكونون على استعداد للقيام بانتحار ثقافي أو ليقدموا أنفسهم كبش فداء من أجل الآخرين أو من أجل النظام. ولا نريد أن يُفهم من قولنا هذا أن الأكاديمي شخص ذو نعرة ذاتية يسعى إلى مصلحته وإرضاء ذاته، بل ما نريد قوله هو أن الاكاديمي في الواقع المعاش، عندما يساهم بشيء ما لصالح المجتمع، تنعكس عليه تلك المساهمة وتعود عليه بالنفع الشخصي. ومن هنا نطرح سؤالاً مفتوحاً نابعاً من واقع الأكاديمي العربي: إذ كيف يمكن هذا الأكاديمي أن يمارس نكران الذات وأن يلتزم بقضايا مجتمعه (كقضية التنمية، مثلاً) أو بقضايا كبرى، في وضع غير قارّ، ويمسّ استقرار حياته كمثقف ويمس علة وجوده؟

إن الأكاديمي يتطلع إلى أن يكون له اعتبار خارج موقعه الثقافي، فهو يريد لمعرفته أن تكتسب مكانة خارج سياقها، وأن تحصل على اعتبار عالمي، إذ يشكّل هذا الاعتبار الخارجي عوامل تعزيز موقعه الأكاديمي والاجتماعي في وطنه. ومن هنا يُلْحظ في البلدان العربية أن الاكاديميين يسعون إلى الحصول على الاعتراف بهم وبمعرفتهم خارج مجالهم الأكاديمي الوطني. ويتم ذلك عن طريق مشاركتهم في الأنشطة الأكاديمية والأوساط العلمية الدولية. وتمثل المؤسسات الأمريكية والأوروبية، من بين هذه الأوساط، بالنسبة إلى الأكاديميين العرب مصدراً للاعتبار ومرجعاً له. إضافة إلى هذا، يمثّل هذا الاعتبار عنصراً في حماية الأكاديمي. فبقدر ما يحققه من اعتبار في «الميتربول» بقدر ما يحصل عليه من احترام في وطنه.

«نشطت ثقافياً ما يزيد على عشر سنوات، وتمثّل نشاطي في نشر مجموعة من الكتب وعدد مهم من المقالات. لكن أعمالي لم تحظَ بالتقدير اللائق بها... وفي الوقت الذي تُرجمت فيه كتبي إلى الانكليزية، واستُقبلت بنقد جيد في الخارج، تبدلت الاوضاع تبدلاً تاماً... فالغريب أنه أعيد نشر كتبي القديمة... وإن وضعي تغيّر تماماً في المجال الاكاديمي من مجرد باحث عادي إلى عالِم محترم. واليوم تُبذل جهود لترجمة أول كتاب كتبته».

(أستاذ/ الاقتصاد)

«لم يكن أحد يحمل أعمالي على محمل الجد، عندما كنت أطلب من المسؤولين المساعدة المادية والوقت اللازم للعمل في المختبر...

لكن بعد أن نُشر لي مقال بالانكليزية عرضت على أحدى الجامعات الأمريكية العمل كباحث أولاً ثم كأستاذ ثانياً. . . كان ذلك حدثاً أثار حفيظة زملائي كما أثار ادارة الجامعة. وأحد البيروقراطيين المعادين للعلم والبحث العلمي، الذي كان يجد دائماً العذر الملائم لعرقلة الطلبات التي تقدمت بها من أجل تمويل أبحاثي، قد جاء اليّ واعتذر عن مواقفه السلبية السالفة مني قائلاً إنها لم تكن غلطته هو لكنه كان يتلقى الأوامر من الدوائر العليا التي كانت تعارض مشاريعي. واليوم، لا أزال أستاذاً زائراً في الولايات المتحدة. . . وعلى الرغم من الصعوبات الاقتصادية هنا، فإن أبحاثي تلقى الدعم المادي الكافي. . .».

(أستاذ باحث/ الطب).

وتوحي هذه المقتطفات بأن الاعتبار الذي يلقاه الأكاديمي في وسطه يتأثر كثيراً بالاعتبار الذي يلقاه في الخارج. وهذا الاعتراف لا يمكن أن يتحقق عبر الرأسمال الاقتصادي أو الاجتاعي، ولكن عبر الإنتاج العلمي والفكري. وفي هذه الحالة فإنه يصل إلى هذا الموضع العالمي، ولا يستعمل هذه الوسيلة، إلا أولئك الذين توافرت لهم مؤهلات علمية عالية.

الفصل العاشر

الاكاديمي العربي:
مصارع ثيران دون موليتا(*)

(*) موليتا: قطعة القماش الأحمر التي يستعملها مصارعو الثيران في اسبانيا لإرهاق الثور.

بيني وبينَ البابِ أقلامٌ وَمِحْبرةٌ،
صَدَىً متأفِفٌ،
كُوَمٌ من الوَرَقِ العتيقْ.
هَمُّ العبورِ،
وخطوةٌ أو خطوْتانِ
إلى يقينِ البابِ، ثمَّ إلى الطريقْ.

كذبٌ،
دَمي ينحَرُّ، يشتمني، يَئنُّ:
إلى متى أزني، وأبصقُ
جَبهتي، رئتي
على لقبٍ وكرسيٍّ
أُضاجعُ مومياءْ؟
أنا لستُ منكم طغمةَ آلنسَّاكِ.

وآللحمَ آلمقدَّدَ في خلايا آلصومعَهْ
لن يستحيلَ دمي الى مصْلٍ
كذبتُ، كذبتُ،
جرُّوني إلى آلساحاتِ، عرُّوني
آسلخوا عني شِعَارَ آلجامعَه[1].

---

(١) مقطع من ديوان الناي والريح في: خليل حاوي، الاعمال الكاملة (بيروت: دار العـودة، ١٩٧٢)، ص ١٦٩ - ١٧١.

يقول شيلز (Shils)[2] عن مثقفي البلدان النامية (والاكاديميون من ضمنهم) إن هؤلاء «يعتقدون في حقيقة العلم وفي الخلاص عن طريق تطبيقه، فهم لا يعتقدون في حكمة مسنّي القبيلة (كما كان الأمر في السابق) ولكنهم يعتقدون في حكمة عقلانية الإدارة». وربما نوافق شيلز في ما ذهب إليه، لكننا نضيف، أنهم يعتقدون أيضاً ـ وهذا صحيح، على ما يبدو، في البلدان العربية على الأقل ـ أنهم ضحايا الثقافة، وأن عملهم تحوّل إلى عمل روتيني بفضل تدخّل الإدارة ذاتها. ذلك أن الاعتقاد في الخلاص عن طريق العلم، لم يساعد الأكاديميين العرب بشيء، حسب ما يظهر، في تحقيق خلاصهم، وإذا كانت احتمالية الاعتقاد في المسنين قد ضعفت في جهات أخرى، فإن الأكاديميين العرب ما زالوا متشبثين، وبطرق مختلفة، بمساعدة المسنين وبرأسمالهم الرمزي وبـ «بركتهم».

لقد بيّنت هذه الدراسة أنه لا يمكننا أن نفهم موقع الأكاديمي ومكانته فهماً جيداً إلّا إذا أخذنا بعين الاعتبار كل العوامل المرتبطة بوجود الأكاديمي في مجاله وتعايشه فيه وعلاقاته الخاصة، وعلاقاته مع المجموعة التي تشاركه المجال، وعلاقاته في محيطه الاجتماعي. وقد بيّنت الدراسة أيضاً، أن لهذا الوجود (أو لهذه العلاقات) مظاهر متعددة يتخذ البعض منها طابعاً جدلياً ومتناقضاً.

وتحتل ثقافة الغرب في المجال الأكاديمي العربي اليوم موقعاً مهيمناً، إذ تلقى كامل الدعم من الزعامة السياسية المعجبة بالغرب والمغرمة بتقنياته التي تريد توظيفها في مجتمع توجهه توجهاً غربياً. وتزيد أهمية هذا الموقع باطراد، فهي في طريقها إلى موقع لا رجمة فيه ولا يمكن تعويضها فيه. وبعبارة أخرى، فإن قيمة الأكاديمي لا تتعلق برأسماله المعرفي، ولكنها تتعلق أكثر بنوعية ذلك الرأسمال ومصدره. ذلك أن المجتمع العربي يمر اليوم بعملية تحديث وتطور اجتماعيين يستخدم فيها نموذج الغرب وأنماطه وخبراته وحلوله. ومن ثمة، فالأكاديمي الذي يمتلك معرفة الغرب وخبرته يحتل موقعاً بارزاً مرفقاً باعتبار يفوق ما يلقاه أصحاب المعرفة غير الغربية.

ويلاحظ في توجهات البيروقراطية العربية وتصوراتها للنشاط الأكاديمي، اتجاه معادٍ للثقافة، إن بكيفية مباشرة أو غير مباشرة. والواقع أن هؤلاء البيروقراطيين لا يقدّرون، من موقعهم القوي، قيمة العمل الأكاديمي، وأهمية الأكاديميين. ولعل في هذا ما يفسر عدم ارتياح الأكاديميين وشكواهم من البيروقراطيين والتنظيمات البيروقراطية والروتينية التي يطبعون بها العمل الأكاديمي[3]. ذلك أن الأكاديمي في هذا الوضع محاصر في درب لا مخرج له منه،

---

(۲) Edward Shils, «The Intellectual in Developing Nations,» *Dialogue*, vol. 1, no. 2 (1968).

(۳) عندما نتمعن في عواقب هذه التنظيمات البيروقراطية وآثارها في عملية التنمية الوطنية في البلدان العربية، يمكننا أن نوافق كارل مانهايم على فكرته القائلة بأن «في المجتمعات التي تُستَغَلّ فيها كل الطاقات في حدودها القصوى من أجل التنظيم، لا تترك في تلك المجتمعات سوى فرص قليلة للتفكير والتأمل والانطواء على الذات، بحيث تصبح النخب السياسية والمنظمة هي المهيمنة، في حين تحقق النخب المفكرة والعلمية =

فهو لا يفلت من العين الرقيبة للبيروقراطي أو الإداري الذي يسهر على حماية النظام، أو على الأصح، هو في رحمة البيروقراطية. وإذا كان الأكاديمي في الغرب يتمتع بنوع من الحرية والاستقلال في العمل، فإن هذه الحرية وهذه الاستقلالية محدودتان جداً في أغلب البلدان العربية، التي يقرر فيها كل شيء في المستوى البيروقراطي، إذ إن الأستاذ لا حول له في التأثير الفعال في القرارات التي تخص مجاله. وإذا حدث وكان هناك تمثيل ما للأكاديميين في دوائر صنع القرار، فإن القرارات تكون مهيأة مسبقاً، ويبقى دور التمثيل شكلياً وحسب.

ويعرف المجال الأكاديمي العربي في ضوء ما خلصنا إليه من نتائج أشكالاً عديدة ومختلفة من الصراعات بين الأفراد والمجموعات. وإذا كان بعض هذه الصراعات متأصلاً في كل المجالات الأكاديمية ومعروفاً فيها (كالصراع من أجل النفوذ والسلطة والتميز)، فكان بذلك يخرج عن نطاق المحددات الثقافية الخاصة، فإن هناك صراعات، تخص السياق العربي وحده، كالصراع من أجل المشروعية الثقافية والأصالة والهيمنة والمصداقية العلمية أو الصراع الناتج من توزيع السلطة في المجتمع ورسم الحدود بين ما هو إداري سياسي وما هو أكاديمي علمي.

ومما خلصنا إليه أيضاً، أن عدد مستهلكي الانتاج المعرفي الأكاديمي محدود جداً، وأن ما يحصل عليه الأكاديمي من جزاء مادي مقابل بيع معرفته في السوق الرسمي للدولة، لا يمكّنه من العيش عيشة كريمة (ونعني هنا خاصة أولئك الأكاديميين المختصين في العلوم الاجتماعية والإنسانية)، ذلك أن الأكاديمي يعتمد بكيفية كبيرة على الدولة، وعلى المهيمنين عليها الذين يمثلون نوعاً جديداً من الرعاة المحسنين الذين كانوا يرعون العلم والعلماء في الماضي. وإذا كان الأكاديميون اليوم في البلدان العربية لا يعتمدون كلية على الدولة في استهلاك إنتاجهم الفكري والثقافي (كما كان شأن العلماء في الماضي حين كانوا يعتمدون كلية على الأمراء وعلى الأرستقراطية)، فإنهم يعتمدون عليها في جانب آخر، فهي تمثّل دوراً أساسياً بحسبانها صاحب فضل عليهم ومصدر رزق لهم.

ومن هنا، فإن سوق الدولة حاسم في استثمار رأسمال المعرفة (على سبيل المثال في التعليم والبحث. . .). وإذا كانت علاقة العلماء بالأمراء وتبعيتهم لهم مباشرة وشخصية في الماضي، فإن علاقة الأكاديميين اليوم بالرعاة المحسنين تتخذ طابعاً غير شخصي يتمثل في الدولة المركزية. ومع هذا، فإن مكانة الأكاديميين ما زالت تحمل، إلى حد ما، سمات مشابهة لما كانت عليه مكانة العلماء في الماضي، وهي النقص في الاعتبار والتقدير الذي عاناه العلماء في الماضي ولا يزال الأكاديميون يعانونه في الحاضر.

ويبدو اليوم الأكاديمي وهو يتطلع عن وعي تمليه متطلبات سياقه الاجتماعي والأكاديمي، إلى رسم صورة تتلاءم وقدراته الفكرية والعلمية وتطلعاته منها، وإلى تحقيق

= والفنية. . . وجودها بصعوبة، وحتى إن فعلت، فتكون فعاليتها محدودة جداً». انظر:
Karl Mannheim, *Man and Society* (London: Routledge and Kegan Paul, 1940), p. 83.

وضع ينعم فيه بالبقاء والمشروعية والمصداقية خارج إطار علاقاته الاجتماعية والعائلية الخاصة، بحيث يزاوج في هذا الوضع بين الاستقلالية وعدم التبعية والاعتماد على الذات. وعلى الرغم من هذا التطلع، فإن العلاقات الاجتماعية والعائلية ما زالت تمثّل دوراً أساسياً وحيوياً بالنسبة إليه.

وإضافة إلى ما قاله ريمون آرون[4] «من أن الأكاديمي لا هدف له سوى الحفاظ على المعرفة وتوسيعها ونقلها، من أجل المعرفة ذاتها»، فإن الأكاديمي العربي، في ما يبدو، يرغب أيضاً في الحصول على الاحترام والتقدير باستغلاله مهاراته المهنية؛ حتى وإن كان في الواقع لا يتخذ دائماً «صنعته العلمية» موضوعاً في ذاتها أو من أجل ذاتها. ذلك أن الأكاديمي مهتم اهتماماً نشيطاً بتمرير معرفته في قنوات أخرى من أجل أهداف إضافية: كالرفع من مكانته وتحسين صورته والسمو بتفوقه والزيادة في سلطته ونفوذه. وهذا يعني أن تمثّل المثقف وجوده ووظيفته الذي يركز فيه على الذات بكيفية متأصلة يطغى على الصورة الكونية الطليقة التي نحاول أن نرسمها له أو نتصوره بها في مفاهيمنا عنه.

وعلى الرغم من أن عدد المشاركين، المحللة إجاباتهم في هذه الدراسة، قليل نسبياً، فإنه يمكن القول إن الأكاديمي العربي يمر بتجربة صعبة في حياته الراهنة، فهو يبدو، من جهة أن له إدراكاً عالياً لذاته ولتصوره نفسه كمثقف وكمالك لرأسمال معرفي، ولكنه يبدو، من جهة ثانية غير راضٍ عن وضعه الاقتصادي والمادي ووضعه السياسي، وغير راضٍ عن المؤسسة التي تشرف على نشاطه وتنظّمه. وعندما يقارن نفسه، علمياً وفكرياً، بالأكاديمي الغربي، يعتقد أنه قد حقق المستوى نفسه من القدرات التي حققها الغربي، بيد أنه يبدو، في الحديث عن حريته الأكاديمية واستقلالية نشاطه، كأن لديه شعوراً بنقصان ما في هذا الباب وفي المكانة التي يحظى بها والتقدير الذي يلقاه. فوضعه الفكري والعلمي لا يلقى، في أكثر الحالات، الجزاء الملائم نتيجة وضعه غير المريح كأجير وكموظف حكومي.

ومن بين الأشياء الأخرى، التي تستحق الإشارة هنا، أن المجتمع العربي يمر اليوم بأزمة عميقة تمس الهوية الثقافية وإعادة البناء الاجتماعي والمشروعية الإيديولوجية والاقتصادية والتبعية العلمية والتقانية. وتنعكس هذه الأزمة، أو هذه الأزمة المتعددة الأبعاد، على وجود الأكاديمي ونشاطه. ونتيجة ذلك، فإن الأكاديمي العربي يمر دائماً بنوع من الأزمة التي أشار إليها العروي بقوله: «أزمة المثقف تعكس أزمة مجتمعه»[5]. وبعبارة اخرى، فإن الأكاديمي العربي محدَّد تاريخياً بالسياق الذي يعيش فيه، وإن أي تحسُّن يطرأ في مستوى السياق يمكن أن يكون له نظير في نشاطه وتفاعلاته ومكانته.

---

(٤) Raymond Aron, *Historical and Recent Types in G.B. de Huszar: The Intellectuals: A Controversial Portrait* (Glencoe, Ill.: Free Press, 1960), p. 166.

(٥) Abdallah Laroui, *The Crisis of the Arab Intellectual: Traditionalism or Historicism*, translated from French by Diarmid Cammell (Berkeley, Calif.: University of California Press, 1976), p. 153.

ويبدو في المجتمعات التي تمر بأزمة تغيير، كتلك التي يمر بها المجتمع العربي، أن النموذج الايديولوجي والسياسي السائد يتحمل مسؤولية كل ما يجري فيها، وقد كان هذا النموذج في الماضي، وما يزال إلى اليوم، مبنياً على مبدأ «القانون والنظام والسيف». ومن المتوقع من الأكاديمي، تبعاً لمبادىء وظيفته وثقافته وطبيعة ميوله المهنية والعلمية، أن يموضع نشاطه خارج الشبكة التي يحكيها النموذج الرسمي. وهذا ما دفع بالنموذج إلى أن يُظهر ردود فعل معادية للثقافة والمثقفين، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وبالتالي إلى أن يؤدي هذا التيار المعادي للثقافة إلى مواجهة بين الأكاديمي ورب السلطة السياسية. وقد بيّنت هذه الدراسة وجود هذا الصراع وإصراره على البقاء، واكتسابه سمات لا تختلف كثيراً عن السمات التي كانت تطبع العلاقة بين العالِم ورجل السلطة في الوطن العربي في العقود السالفة، وبعبارة أخرى يمكننا القول إن ما خبره المجتمع العربي من تغيرات في البنى والمؤسسات وتقسيم العمل، لم تؤثر تأثيراً كبيراً في توزيع السلطة وعلاقات السلطة بين عالم الفكر وعالم السياسية. إذ من المعلوم أن هذا الأخير كان قد هيمن باستمرار في تاريخ العالم الاسلامي على عالم الفكر. وإلى اليوم ما يزال أرباب الفكر يعيشون تحت رحمة عالم السياسة وسلطته. وعندما ننظر في معطيات الوقت الراهن وما هو مطلوب فيها من جهود ومن معاناة من الأكاديمي، سنلحظ، في أغلب الحالات، وجود نوع من التناقض والتعارض بين واقع الأكاديمي من جهة ومتطلبات النموذج السياسي من جهة أخرى. فالأكاديمي، كما عبّر عن ذلك رَسِل بصورة بليغة ومقنعة: «شأنه شأن الفيلسوف والفنان ورجل الأدب، لا يمكنه القيام بعمله بكيفية مرضية إلّا إذا شعر بأنه موجَّه من قبل دوافعه الداخلية الخلاقة، وأنه ليس بمهيمَن عليه من طرف سلطة خارجية»[٦].

وتخلق هذه الأزمة المنعكسة في المجال الأكاديمي تنافساً حاداً ومتميزاً بين العاملين في هذا المجال وأرباب السلطة والمتطلعين إليها. ولربما كان لهذا التنافس أو هذا الصراع السمات نفسها التي توجد في المجال الأكاديمي الغربي، إلّا أن السياق العربي يختلف فيه حجم هذا الصراع الذي يتخذ بعداً أكبر بسبب الاستراتيجيات التي توظّف فيه لبلوغ مستويات في السلطة، تختلف في حجمها وقوّتها عن الغرب. وقد أظهرت الدراسة بوضوح، في هذا الباب، أن الرأسمال الاجتماعي يمثّل دور أداة أساسية لبلوغ السلطة.

ومن بين الأمور الأخرى التي خلصت إليها الدراسة، أن مكانة الأكاديمي العربي لم تبلغ بعد مستوى عالياً يناسب نشاطه ويساير ما ينبغي أن تكون عليه حريته الأكاديمية ووضعه المادي: فالأكاديمي العربي يشكو باستمرار من النقص في التقدير والاحترام الذي يعانيه. ويبدو أن رضى المرأة الأكاديمية أقلّ من رضى زميلها الرجل، وهذا ناتج من المواقف الاجتماعية والثقافية من جهة، ومن العلاقات الرابطة بين المرأة والرجل من جهة ثانية. وحسب ما أوضحته الدراسة، فإن أغلب النساء الأكاديميات ينتمين إما إلى الطبقة العليا وإما

---

(٦) Bertrand Russell, *The Impact of Science on Society* (London: Allen and Unwin, 1952), p. 135.

إلى الطبقة المتوسطة، وإن أُسر معظمهن تتمتع برأسمال علمي وثقافي عالٍ نسبياً. ولكن كل هذه العوامل لا تؤثر بشكل كبير في موقع عملهن بين الرجال الأكاديميين. ومع ذلك، فقد تحسنت مكانة المرأة الأكاديمية تحسناً كبيراً بالمقارنة مع ما كانت عليه منذ عقد أو عقدين وحسب.

وكما كان متوقعاً، فإن الأكاديميين الذين يملكون رؤوس أموال متنوعة ويستثمرونها استثماراً جيداً، كانوا أقل انتقاداً لوضعهم في المجالين الأكاديمي والاجتماعي، من المحرومين من مثل هذه الرساميل، وأكثر رضى عن وضعهم منهم. والواقع أن أولئك الذين ورثوا رساميل اقتصادية وثقافية وزاوجوها برساميل رمزية واجتماعية أخرى، يقولون إنهم يمتلكون النفوذ والسلطة التي تمكّنهم، في اعتبارهم، من التأثير تأثيراً مهماً في ظروف وجودهم. ويزيد هذا التأثير بكيفية خاصة، عندما تلقى تلك الرساميل التقدير والاعتبار من جانب الدوائر المؤسساتية والإدارية.

وهؤلاء الأكاديميون الراضون عن وضعهم، هم من بين أولئك الذين حوّلوا رساميلهم إلى سلطة انتيلوقراطية داخل هرمية الدولة، بحيث إن نجاحهم في الحصول على مواقع سلطة ونفوذ مؤثرة، ينعكس بكيفية عامة على وجودهم في المجال الأكاديمي، وينعكس بكيفية خاصة على وضعهم الاقتصادي. وهم في ذلك يكتسبون شهرة بقوة الردع في المجال الأكاديمي، ويضمنون لموقعهم فيه نوعاً من الحصانة. وعلى أي حال، فإن الحصانة في السياق العربي، حسب ما يبدو، نسبية وفي وضعية تبعية. فإذا كانت حصانة الباحث أو العالِم «الحقيقي» ترتبط، في أغلب الحالات، بالتقدير والاعتبار الذي يلقاه في «الميتربول»، فإن حصانة الباحث «غير الموهوب» (أو كما يحلو للبعض أن يسميه «المثقف الزائف») ترتبط أساساً بانتمائه السياسي وريعية الدولة التي يخدمها أو ترتبط بما يملكه من رساميل.

وفي بعض الحالات، لا يصارع الأكاديميون من أجل فك عزلتهم في مجالهم الأكاديمي والثقافي فحسب، ولكنهم يصارعون أيضاً ضد «إقليميتهم» في مواجهة السياق العالمي لهم أو في مواجهة «الميتربول العلمي الغربي».

وكما هو الشأن في كل نموذج سياسي أو نسق اجتماعي، فإن هناك في الوقت الراهن في المجتمع العربي، ثلة من السعداء ممن يستفيدون من النموذج القائم الذي يحابيهم. وتتكون هذه «الثلة السعيدة» من أولئك الذين امتلكوا كل صنوف الرساميل وراكموها، وضمنوا لرساميلهم تلك الحجم المناسب والمرونة اللازمة والفعالية الضرورية لاستثمارها في سوق الدولة، مهما تبدلت الأحوال واختلفت الظروف.

وإذا كان الرأسمال الثقافي الموروث والرأسمال المعرفي المكتسب، يشكلان، في ما يبدو، أداة مهمة في الحصول على موقع في المجال الأكاديمي، فإن الرأسمال الاجتماعي المدعم بالرأسمال الرمزي (سواء في المجال الأكاديمي أو خارجه) يبدو هو أيضاً ذا أهمية حيوية في السياق العربي. والواقع أن خصوصية السياق هاته تعكس الواقع الثقافي المهيمن فيه والمتجذر في «الذهنية الاجتماعية العلائقية» (نسبة إلى أهمية العلاقات فيها).

أما أولئك الأكاديميون الذين بإمكانهم ممارسة أعمال حرة، نظراً إلى خصوصيات المعرفة التي يمتلكونها (مثل الأطباء والمحامين والمهندسين والمعماريين)، فإنهم عادة ما يكونون أكثر رضى عن مكانتهم وموقعهم من الآخرين. ذلك أن السوق الحر، الذي غالباً ما يستثمر فيه هؤلاء رأسمالهم المعرفي وخبرتهم، يشكّل بالنسبة إليهم، الحقل الرئيسي في ممارسة نشاطهم. أما سوق الدولة، فهو في هذه الحال، بمثابة أداة للحفاظ على رأسمال رمزي متمثل في الامتياز والعضوية في المجال الأكاديمي. وغالباً ما يستغل هؤلاء عضويتهم هاته في أهداف تجارية محض، باستعمالها في الدعاية والشهرة لأعمالهم الحرة، كأن يشهر أحدهم نفسه بأنه أستاذ (بروفسور) في جامعة كذا أو خريج جامعة كذا. . . بحيث إن المكانة الأكاديمية تضفي المصداقية على المعرفة كسلعة معترف بها رسمياً ومستعملة في النطاق الرسمي. إضافة إلى أن الوظيفة الرسمية في سوق الدولة، تمكّن هؤلاء «المثقفين المقاولين» من استكمال دخل جيد في آخر الشهر ومن وضع مريح عند التقاعد.

وبما أن أغلبية الأكاديميين تنتمي إما إلى الطبقة المتوسطة وإما إلى الطبقة الدنيا، وهذه تكون رساميلها محدودة عادة في الرأسمال المعرفي (الشهادة)، فإنه بإمكاننا القول إن الأغلبية تشعر، نتيجة محدودية رأسمالها هاته، بالإحباط والخيبة والألم. ويلحظ هذا في المرارة المحمولة في أقوالها وفي النبرة الاحتجاجية التي تتحدث بها عن مكانتها. ويظهر ذلك خصوصاً عند الاكاديميين الذين تنحصر رساميلهم المعرفية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، والذين يعانون أكثر من غيرهم، في ما يبدو، النقص في الاعتبار والتقدير الذي يستحقونه استحقاقاً كاملاً.

وقد اتضح لنا في معاينة كثير من الحالات، أن الأكاديميين يؤدون مهامهم العلمية بقليل من الحماس، وهذا ينعكس، بالطبع، على الإنتاج الثقافي والعلمي في البلدان العربية. إذ في هذه الحال، لا يمكننا الحديث عن الإبداع الفكري أو التقدم العلمي، لأن الأكاديميين مغتربون عن عملهم، تنقصهم حرية العمل وما يصاحبها من شعور بالإنجاز وإشباع لرغبات الذات. وتماشياً مع ذلك، يكون نشاط الأكاديميين مطبوعاً بعدم الاستقرار وانعدام الهدف، لأنهم يمرون بمأزق التماهي الثقافي، نظراً إلى أن أغلبهم هو نتاج مباشر أو غير مباشر لتأثيرات ثقافة الغرب. وقد أثبتت هذه الدراسة صحة نتائج أبحاث سابقة قمنا بها[7]، ومن بينها أنه يمكن ملاحظة نوع من الانفصام في الهوية الثقافية عند كثير من الأكاديميين، خاصة عند أولئك الذين عانت هويتهم الثقافية الوطنية التأثير الكبير القادم من الغرب.

واغتراب المثقف، كما جاء عند فيصل دراج[8]، ليس اغتراباً ثقافياً وحسب، ولكنه

---

(٧) انظر: M'hammed Sabour, *The Cultural Identification and Alienation of the Arab Intelligentsia: An Empirical Study on the Moroccan Educated*, University of Joensuu, Research Reports of the Faculty of Education, Sociology of Education; no. 9 (Joensuu: University of Joensuu, 1985).

(٨) فيصل دراج، «اغتراب المثقف العربي،» المستقبل العربي، السنة ١، العدد ٢ (تموز/ يوليو ١٩٧٨)، ص ١١٨ - ١٢٣.

اغتراب متعدد الأوجه. فالمثقف المغـترب هو أولاً ذاك الشخص الـذي ليس بإمكـانه ممـارسة ثقافته بكيفية أصيلة، وهو ثانياً ذاك الذي يعاني القمع بسبب انتقاده ظـروف عمله أو رفضها أو التشكي منها، وهو ثالثاً ذاك الـذي يحرمـه النموذج (السيـاسي أو الإيديـولوجي) اقتصـادياً وسياسياً وإيديولوجياً، ورابعاً وأخيراً هو ذاك الذي يعيش حالة من الحصار الوجودي الذي لا يمكنـه فيه اتخـاذ القرار ولا التعبـير عن الذات أو الكتـابة. ونتيجـة كل هـذا، يصبح المثقف مغترباً عن السير التاريخي العالمي وعن سياقه وعن ذاته. وقد وضح في الدراسة أن الأكـاديمي العربي يمر، إلى حد ما، بكل مظاهر وأشكال الاغتراب ويعانيها.

وبعبارة أخرى، فإن وضع الأكاديمي يشبه وضع مصارع ثيران من دون «موليتا».

الفصل الحادي عشر

إنتقادات الأكاديميّين وتقويماتهم هذه الدِّراسة

«والعالِم هو ذلك الإنسان الذي عليه أن يحمل على عاتقه كل معارف عصره، وكل المساهمات التي جاء بها الماضي، وكذلك آمال المستقبل، فيجب عليه أن يكون موسوعة في المعرفة. وإذ كان هناك من درس يجب أن يقرّ في أذنيك، فهو أن العالِم ليس شيئاً، وان الأنسان هو كل شيء، وأنك تحمل في ذاتك كل قوانين الطبيعة، وأنك لا تعرف بعد كيف ان كرية من النسغ (الجاري في عروقك) تنيم كل العقل فيك، وأنه محتم عليك أن تعرف الكل، وأنه عليك أن تتحدى الكل...»[1].

«ورد في سفر من المزامير أن رجلاً غنياً كدّس أموالاً هائلة بعد تعب وشقاء كبيرين، وأنه لم يكن يُعرف له وارث يرث أمواله. وذلك شأني، سأترك من ورائي تراثاً فكرياً ورأسمالاً ليس بالهين، ولكن للأسف، أعرف حق المعرفة من سيرثه. إنه ذلك الوجه الذي أشد ما أكره، الذي ورث إلى الآن أحسن ما في الكل، وسيستمر في القيام بذلك، إنه المدرِّس، إنه الأستاذ»[2].

كيرغارد

عندما يُقبل باحث على دراسة فئة من فئات المجتمعات النامية ـ كما هو الشأن في المجتمعات العربية ـ فسيخيّل له، لا شك في ذلك، في البداية أن فئة المثقفين سيكون الوصول إليها أقرب من الوصول إلى غيرها، وأنها ربما ستكون أقل تحرُّزاً من غيرها عندما يتعلق الأمر ببحث أمبريقي تكون هي موضوعاً له، وذلك لما هو معهود في هذه الفئة من ألفة بالأبحاث العلمية. لكن فوجئنا بأن هذا لم يكن حال الفئة التي أقبلنا على دراستها، بل يمكن القول، دون مبالغة زائدة، إن الأنتلجنسيا العربية ربما كانت أصعب فئة يمكن دراستها في

---

(1) Ralph Waldo Emerson, «The American Scholar,» in: George Bernard de Huszar, ed., *The Intellectuals: A Controversial Portrait* (Glencoe, Ill.: Free Press, 1960), vol. 1, p.137.

(2) Soren Kierkegaard, «The Professor,» in: Huszar, ed., Ibid., vol. 1, p.117.

الوطن العربي. ونورد في ما يلي بعضاً من الأسباب التي تفسر، في نظرنا، هذه الصعوبة واحتراز هذه الفئة:

١ ـ تقاليد البحث الأمبريقي ما تزال في بداياتها، وما تزال محدودة الانتشار.

٢ ـ طرح قضايا إيديولوجية وسوسيولوجية والسؤال عنها، في بلدان تنعدم فيها حرية التعبير أو تكون محدودة يُعدّ من قبيل الاستنطاق البوليسي. ولهذا كان من الواجب علينا، في بعض الحالات، القيام بشروح مطولة للمشاركين بغية إقناعهم بالحياد العلمي للدراسة وبأهدافها، وربما استغرق هذا نصف الحوار.

٣ ـ كان البعض يرى ـ بسبب الهابتوس ـ في الأسئلة التي تُطرح عليه بمثابة القيام بعملية تجريد لآرائه التي يعتبرها متفردة وغير قابلة للمقارنة. والبعض اعتبر البيانات الإحصائية عملية تُفقد آراءه قيمتها وتجعلها تافهة، أو رأى فيها تبسيطاً للواقع الاجتماعي المعقد.

٤ـ إضافة إلى شك بعض المشاركين في مصداقية الدراسات الأمبريقية، فإنهم أعربوا عن عدم ثقتهم في قدرة صاحب الدراسة على تأويل أفكارهم تأويلاً سليماً وصحيحاً، مما سينجم عنه، في نظرهم، نتائج متحيزة وغير صادقة. وهذا يدلنا على أن الأنتلجنسيا العربية لا تقبل «تحريف» أفكارها، كما يحدث عادة في عدد من المنشورات الغربية التي تدعي العلمية.

٥ـ كان بعض المشاركين حذراً جداً في التعبير عن آرائه بصراحة لأنه يعتبرها جزءاً من أسراره الشخصية، التي لا يمكن البوح بها لأي قادم كان، فما بالك بباحث ينوي القيام بنشرها؟ وقد أبدى أحدهم إحساساً شعرنا معه كما لو كان يتصدق علينا أو يقدم هدية إلى الباحث بإشراكه في أموره الخاصة. وفوق هذا فهو سيهب «حكمته» دون مقابل.

وهناك البعض ممن قبل المشاركة ولكن وفق الشروط التي ترضيه، أو كما عبّر أحدهم عن ذلك «دعنا نتحدث وحسب»:

«لقد قدمت هكذا، ودون مقدمات، وأنت ترجو أن أقبل المشاركة في دراستك. أولاً وقبل كل شيء من أنت؟ وما هي دوافع بحثك الحقيقية؟ ولماذا تحمّل آرائي كل هذه الأهمية الكبيرة بالنسبة إليك؟ ثم ماذا ستفعل بالإجابات التي ستحصل عليها مني؟ فما دمت لم أقل شيئاً، أو بعبارة أخرى ما دمت لم أجب عن اسئلتك، سأبقى سيد أفكاري وآرائي، وبمجرد ما أعبر عنها سيمكنك استعمالها ضدي وضد أناس مثلي.

ولهذا، لا أقبل الأسئلة ولا الاستجوابات ولا التسجيل ولا تدوين الملاحظات. وفي المقابل «دعنا نتحدث وحسب». وأود في البداية أن أسألك بعض الأسئلة».

(مهندس/ مدرّس جامعي).

وبما أنه لم يكن في وسع ذاكرتنا ـ وهي ليست على كل حال ذاكرة فيل ـ اختزان كل ما

قيل دون استعانة بتدوين الملاحظات أو التسجيل أو الاستمارة المملوءة، فإن أفكار الشخص المشار إليه، حافظت على قيمتها واحتفظ بها لنفسه.

وهناك آخرون لهم صنوف أخرى من الشك:

«أنا لا أشارك في أبحاث من هذا القبيل، أولاً، لأنني لا أؤمن بنتائجها، ثانياً لأن هذا الصنف من الأبحاث تموله عادة المؤسسات العلمية الخاضعة للمنظمات الصهيونية».

(أستاذ/ الأدب العربي).

وطرح آخرون شكوكاً مستوحاة ومستوعبة من هابتوسهم السياسي والاجتماعي:

«إن هذا بالفعل بحث قيّم، وليس هناك ما يقال عن قيمته. لكن ما يقلقني هو استعمال نتائجه، فمن يستغل نتائجه؟ ليسوا هم الأكاديميون العرب على أية حال!».

(محاضر/ الدراسات الإسلامية).

وهناك صنف آخر من الشك مشحون بالمواقف العلمية للمشارك:

«الأبحاث الأمريقية مهمة جداً في معرفة المجتمع. لكنها مع الأسف، تعمِّم حالات معزولة أو تبسّط ظواهر معقدة.

وأتمنى أن تتجنب هذه الدراسة الوقوع في مثل هذه الأحابيل والأخطاء».

(أستاذ/ الانثربولوجيا).

«عادة ما يخامرني شك قوي في جدوى الأبحاث الأمريقية، وخاصة تلك التي تعتمد الاستمارات مصدراً لها، ولذا أرفض المشاركة فيها. وأنا أوافق على المشاركة في دراستك هاته على الخصوص لأنك أتممت معلومات الاستمارة بالاستجواب الشخصي».

(أستاذ مساعد/ الفلسفة).

ورغم هذه الشكوك التي عرضنا نماذج منها، فإن الكثير أبدى استعداده للمشاركة في هذه الدراسة ولم يعرب عن أي تحرّز في شأنها:

«الأكاديميون العرب من الفئات الاجتماعية التي لم يكتب عنها سوى القليل، ولذا فإني أرحّب بهذه الدراسة».

(أستاذ/ علم الإجتماع).

«إنها دراسة مهمة، وأرجو أن تنشر نتائجها باللغة العربية، وتوزع في كل الجامعات في البلدان العربية».

(أستاذ مساعد/ علم النفس).

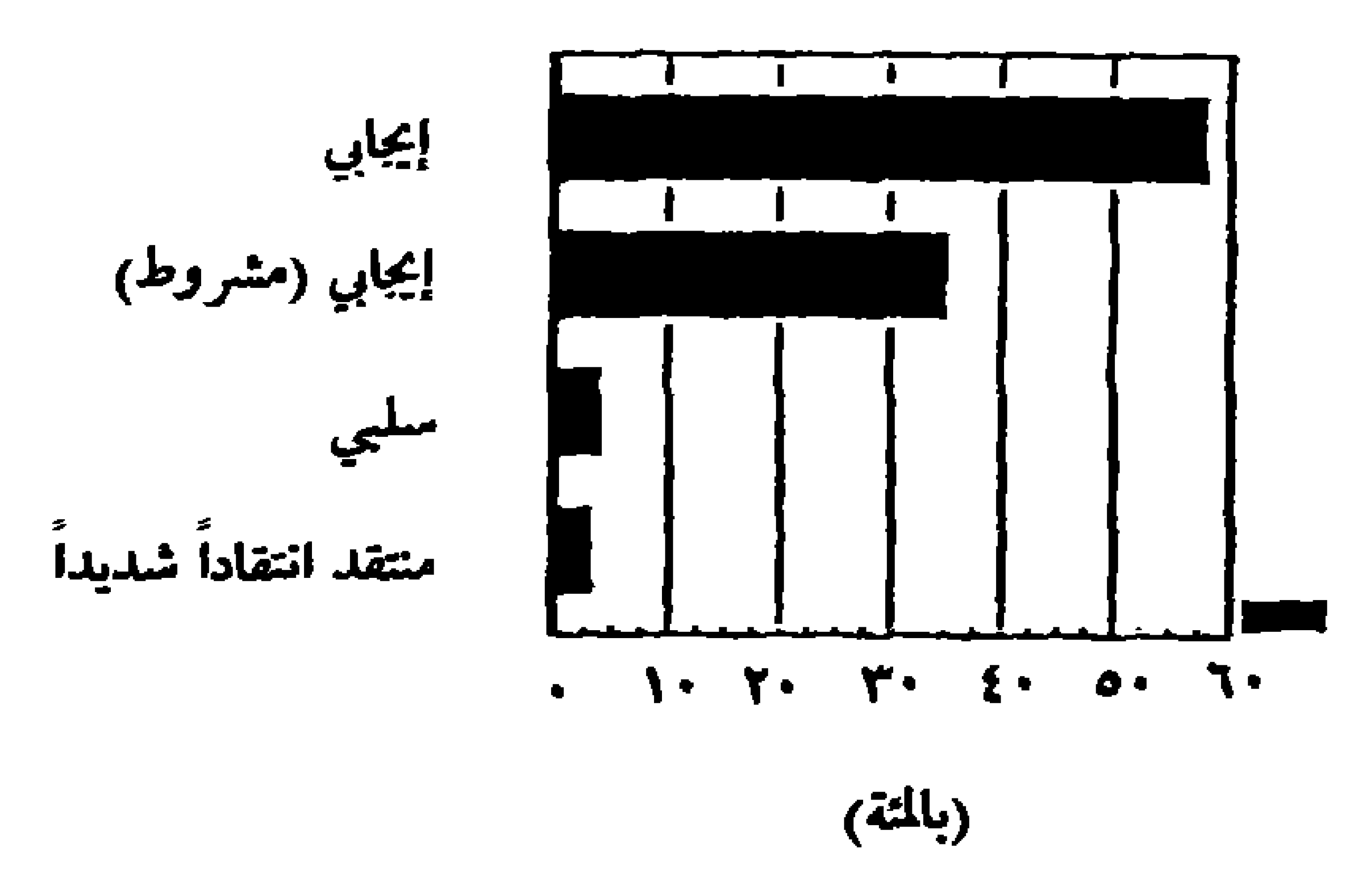
ومجمل القول، فقد طبع أغلبية الأجوبة، بصورة أو بأخرى، طابع التعاون والإرادة الحسنة في المشاركة في الدراسة. ومن السهل تفهُّم الأسباب التي دفعت بالبعض من

الأنتلجنسيا العربية لأن يكون له ردود فعل من صنف ما أوردناه وأن تكون له تقويمات منتقدة دراسة تستهدفه كفئة مدروسة. وفي المقابل، يمكن اعتبار ردود الفعل الجدية، على اختلاف مواقفها ذات أهمية بالغة بالنسبة الينا. إذ من الأفضل للباحث، في نظرنا، أن يتعامل مع أشخاص واعين وذوي متطلبات من أن يتعامل مع أشخاص سلبيين وقليلي التفكير ممن يجيبون عن الأسئلة بصورة آلية ودون تدبر فيها، أو ممن يسمعونك الحديث الطويل دون فائدة ولا هدف معيّن.

عبّر المشاركون - كما هو ملحوظ في المقابلات التي أجريت معهم - عن آرائهم بنبرة انتقادية واحتجاجية، وذلك إيماناً منهم بتقاليدهم وثقافتهم العربية. ومن الأكيد أن الموضوعات التي طُرحت للنقاش في هذه الدراسة، والتي اهتم بها المشاركون بكيفية مباشرة وشخصية، شكلت دافع إيحاء محمّل بما يجري من صراع في المجال الأكاديمي، بكل مظاهره التاريخية والاجتماعية والثقافية.

شكل رقم (١١ - ١)

تقويمات المشاركين وانتقاداتهم الدراسة
(العدد = ٦٩)



أكثر من نصف من طلبنا إليهم تقويم هذه الدراسة وانتقادها (العدد = ٦٩)، أبدى تعليقات إيجابية نسبياً في شأنها. والثلث منهم عبّر عن تقويم إيجابي لكن شريطة إدخال بعض التعديلات على المنهجية أو النظرية أو طلب اعتبار عناصر أخرى إضافية. . . الخ. أما الباقي، فحتى وإن شارك في الدراسة، فقد أبدى انتقادات شديدة لهذا الصنف من الأبحاث الامبريقية.

وفي الأخير، فإن هناك من الأكاديميين من اعتبر مشاركته في الدراسة بمثابة مخاطرة يقدم عليها:

«بمشاركتي في هذه الدراسة وإجابتي عن أسئلتك هاته، ربما أحكم على نفسي مسبقاً بالذهاب إلى السجن. لكن بما أنني استحسنت الموضوع، فإني أعتقد أنه يستحق المخاطرة من أجله».

(محاضر/ العلوم السياسية).

وعلى الرغم ممّا توحي به هذه الإجابة من مبالغة في وضعية «الأكاديمي الشهيد»، إلا أنها تناسب ما يجري في السياق العربي. فالقيام ببحث أمبريقي يعرض لقضايا «ساخنة» كـ «السلطة السياسية» و«الإسلام» و«الديمقراطية» وغيرها، يعني، عملياً، عملاً صعباً وخطيراً. ولا تكمن هذه الصعوبة في مواقف المبحوث فيهم ولا في تعقيدات القضايا المطروحة، ولكن تكمن أيضاً، وعلى الخصوص، في المنظور الضيّق والسلبي الذي تتبناه المؤسسات الرسمية في شأن هذا الصنف من الدراسات. وبما أن الجامعة والعالم الأكاديمي بصفة عامة، يعتبران من الأماكن الحساسة سياسياً في المجتمع العربي، فإن الوصول إليها، دون مساعدة رسمية، يُعدّ أمراً شائكاً وصعباً. إذ يمكن تشبيه وضع الباحث هنا بوضع «بائع المخدرات» الذي يبحث عن كل الطرق والأساليب ويستعمل كل الاستراتيجيات التي تمكّنه من تجنّب مراقبة الدوائر الرسمية.

المــلاحِق

ملحق رقم (١)
مقابلة مع أحد الاكاديميين: حالة توضيحية

س: ما هي الأهمية التي تعطيها لإنتاج الأكاديمي الفكري والثقافي؟

ج: أتردد أحياناً في القول بأن ما نطلق عليه انتاجاً فكرياً وثقافياً خالٍ من أي فائدة. فان نحن قوّمنا الانتاج العلمي من منظور كمّي وجدنا ان قائمة الانتاج طويلة، لكن ان نحن حلّلنا ما فيه ونظرنا في محتواه عن كثب، وجدنا ان قائمة الجيد قصيرة وان الباقي مجرد اعادة انتاج وترديد الأفكار نفسها التي تتخذ في كل مرة ثوباً جديداً يساير الظروف والمواقف المستجدة ومتطلبات القراء. وكل ذلك من أجل إظهار ذلك الانتاج على انه انتاج أصيل وجديد.

س: أعتبر قولك هذا خطيراً، فهل بإمكانك ان تعيّن مجموعة أو فريقاً من الباحثين يقومون بمثل ما أشرت إليه؟ إضافة إلى أن قولك هذا يضع موضع تساؤل المعايير الأساسية في كثير من حقول المعرفة، حيث يعتبر كم المنشورات، في كثير من الاحوال، عاملاً حاسماً في تقويمات الحقل الأكاديمي وفي الامتياز ومكافأة العاملين به.

ج: من البديهي انه يجب تجنّب التعميم، فهناك باحثون يملكون قدرات هائلة وابداعا خصباً، لكن عدد هؤلاء المنتجين والمبدعين الحقيقيين قليل، بينما عدد من يعيد الانتاج كثير. والتناقض الحاصل هنا هو ان تصنيف الباحثين يتم عادة عبر كم المنشورات.

س: ولكن الا تعتقد انه لن يكون باستطاعة هؤلاء المعيدين للانتاج نشر اعمالهم إن كانت تلك الاعمال عديمة القيمة؟

ج: هناك فرص كثيرة تتاح لمثل هذا الصنف، أعني فرص النشر. فالأكاديميون من

الصنف المشار إليه يتحكمون في الدوائر المعنية بالنشر، ويتوافرون على القنوات التي توصلهم إلى ما يريدون. ذلك ان اعمالهم مطلوبة في مجلات علمية من الدرجة الثانية ومن سلسلة منشورات تهتم بملء صفحاتها أكثر مما تهتم بمحتوى ما تنشر.

س: قد يرى البعض في قولك هذا حكماً من دون قيمة. فكيف يمكنك تقويم مستوى العلمية؟

ج: لا أريد ان أخوض هنا في نقاش لا ينتهي حول تقويم العلمية، لكن في اعتقادي ان كل من يملك حداً أدنى من السلوك العلمي باستطاعته ان يميز بين العمل الجيد والعمل الرديء.

س: إذا كنا نعتقد بأن واحدة من الوظائف التي يقوم بها الأكاديمي هي نقل المعرفة ونشرها، فهل من المفروض ان نطالبه في هذه الحال بأن يتوخى الابداع والاصالة في كل ما ينشر؟

ج: هناك طرق متعددة للنشر أو ان شئت هناك طرق شتى للقيام بالانتاج الثقافي التي منها الابداع والتعليق والمقارنة والتحليل وخلافه. والسؤال هنا ليس حول ما هو لك أو ما هو لغيرك، ولكن السؤال هو حول أين أنت من أعمالك وأين أنت من أعمال الآخرين، وأين تقف بينهما؟ وإلحاحي هذا على وعي الباحث أو العالم بموقعه وابداعه أعني به نصيبه ومساهمته في العمل الذي ينتجه أو يحلله أو يعلّق عليه... إلخ.

هناك أعمال كثيرة توصف بالابداع والاصالة، ولكن الابداع غائب عنها وسطحيتها واضحة والالهام العلمي غير موجود فيها، وهذا يجعل القارىء اليقظ يشك في دوافع كاتبها ومقدرته، فهو يتساءل هل هو يفعل ذلك لأن عليه أن يقوم بذلك؟ أم أنه مجبر على الكتابة من أجل الكتابة، وهو أمر غير محتمل، أم أنه مجبر على النشر من أجل الاستمرار والبقاء بين أقرانه في حقله المعرفي، لأنه إن لم يفعل يتهدده الزوال؟ أم انه يقوم بالنشر من أجل الزيادة في طول لائحة مؤلفاته؟ أو من أجل ملء أقبية المحفوظات المنسية؟

هذا من جهة، ومن جهة ثانية هناك أعمال تكون مثمرة وذات بعد نظر، دون حاجة لأن يكون صاحبها مبدعاً، ومنها، مثلاً، مراجعة الكتب والنقد والنقاش، التي تحمل في طيها أفكاراً وتحليلات مثيرة تفتح للقارىء منظورات وأبعاداً جديدة في الموضوعات التي تناقشها أو تحللها. ولنا في هذا الباب شواهد تاريخية مثل تعليقات ابن رشد على أرسطو، حيث يعتقد بعض مؤرخي الفكر أن عمله ذاك غيّر من التيار الفكري السائد في عصره، وأثّر فيه بطرق شتى.

س: لقد أشرت في معرض حديثك إلى قولة متداولة في الاوساط الأكاديمية الغربية وهي: أنشر وإلّا تعرّضت للزوال (Publish or Perish)، فإلى أي حد تصدق هذه القولة في الواقع الراهن هنا؟

ج: يمكن وضع هذه القولة بطرق مختلفة، منها: أنشر وإلا تعرضت للزوال ولكن ستزول حتماً حتى وإن نشرت. ومنها: النشر لا يصونك عن الكتابة الرديئة، إن أنت نشرت الهراء الزائل أو نشرت أياً كان وإن فعلت فاحذرِ الزوال.

س: ماذا تعني بكل هذه الامثلة؟

ج: لا أستطيع الايضاح أكثر من ذلك. فالنشر لا يعني نشر الاشياء التي يكون محتواها وقيمتها غير مقنعين علمياً أو غير مهمين. وإذا اعتمد أحدهم على الكم المنشور فقط، فان موقعه سيضعف إن آجلاً أو عاجلاً. ويشير المثال الثالث بكيفية خاصة إلى سياق المجتمع العربي، حيث يعتبر الخوض في بعض الموضوعات أمراً حساساً، فالكتابة في موضوعات مثل الشريعة والاسلام والاستبداد والرشوة المتفشية بين الصفوة يعتبر نشرها أمراً محفوفاً بالمخاطر.

س: لكنك لم تجب عن سؤالي، إلى أي حد تصدق قولة «أنشر وإلّا تعرضت للزوال»، في السياق هنا، أعني سياق المجتمع العربي.

ج: من البديهي، اننا عندما نطلق على أحد صفة مثقف، فإن النشر سيكونْ حيوياً بالنسبة إليه. ويمكن القول بصفة عامة، إن النشر حيوي وضروري للمجتمعات النامية كمجتمعنا هذا الذي هو في حاجة إلى نتاج المثقفين. ولهذا، فإنه متوَّقع من الأكاديميين أن يركزوا جهودهم في الانتاج الثقافي والفكري، لا من أجل ترقيهم الإداري أو اكتساب الاحترام ولا من أجل الكتابة لمجرد الكتابة، ولكن من أجل المجتمع ككل ومن أجل صالحه، وذلك بنقل معرفتهم إلى الآخرين. وهذا لن يتم الا عبر النشر.

لكن يجب أن يؤخذ في الاعتبار الموقع السياقي والمعوقات المادية والامكانات المحدودة التي يعمل فيها هؤلاء الأكاديميون، إذ تنقصهم التجهيزات الضرورية والمكتبات وأماكن العمل المناسبة، كما يعوزهم السوق الذي يوزع فيه منتوجهم. ولذا فاني أشك في أن تكون كل أعمالهم أصيلة ومفكراً فيها بطريقة جيدة أو متمتعة بقيمة علمية. وفي المقابل، أرى أن هؤلاء المثقفين يلقون بأعمالهم القاء إلى السوق. بالإضافة إلى أن هؤلاء ليس لديهم الوقت الكافي للتركيز على أعمالهم، وليست لهم الحوافز الحاثة على العمل. والنشر بالنسبة إلى هؤلاء هو من قبيل الدعاية وشهر الاسم.

أستخلص من هذا أن ظاهرة «أنشر وإلّا تعرضت للزوال» موجودة هنا أيضاً. وانه لأمر مهم أن يقوَّم الناس على أساس منشوراتهم، لكن لا أظن أن ما يحدث هنا شبيه بما يحدث في البلدان الأوروبية أو قابل للمقارنة به لاننا لا نتوافر هنا على مؤسسات علمية ذات أهمية. فالتنافس من أجل المنح والاعانات الدراسية والمكافآت والجوائز شبه منعدم تماماً هنا، ولا يوجد التنافس الا في مجالين فقط هما المجال الأكاديمي (سوق الدولة) ومجال القطاع الخاص حيث يقع التنافس على سوق النشر من أجل الربح المادي.

س: هل يمكنك أن تحدثنا أكثر عن مفهومك للكيف في النتاج الثقافي والفكري وتمييزك قيمته عن الكم المنتج؟

ج: أعتقد أنه من الضروري وضع جوانب الكيف أيضاً تحت المجهر، ففي ما يتعلق بالباحثين العرب العاملين في مجال العلوم الانسانية، يجب أن ينصبّ اهتمام نتاجهم بكيفية كبيرة على ثقافتهم المحلية ويُستوحى منها. ومن البديهي ان ما أعنيه هنا ليس هو أن على هؤلاء أن يعملوا وحسب في اطار ثقافتهم، لكن ما أعنيه هو أن مستوى أصالة أعمالهم يتعلق أكثر بمدى ما يبقى هؤلاء على اتصال بثقافتهم.

س: الا ترى أن بقاءهم لصيقين بثقافتهم يمكن أن يؤدي بهم إلى السقوط في النعرة الاثنية والانغلاق على الذات الشيء الذي من شأنه أن يعمل على عزلتهم في عالم تطبعه الكونية؟

ج: الواقع أن هذه الكونية أو هذه العالمية هي التي تمثل تهديداً لتميزنا الثقافي وأصالتنا، فالمثقف العربي الذي يلهث وراء العالمية والكونية يفقد الاتصال بمصادره الثقافية وبجذوره.

س: هل تعتقد ان بإمكان المثقف العربي أن يختار، في عمله، اختياراً واعياً بين ثقافته وثقافة الآخر؟ وما أعنيه بكيفية خاصة، أليس لقاح ثقافته موجوداً في شخصيته وفي تفكيره، أي ان ثقافته العربية تشكّل هابتوساً بالنسبة إليه؟

ج: افهم جيداً ما تعني، لكن انظر، مثلاً، وضع المثقف الذي تعلّم في المعاهد الاجنبية ونشأ في أسرة تتبع النمط الغربي في أسلوب حياتها، علاوة على أن هذا المثقف يكتب بلغة أجنبية ويموقع نفسه وتفكيره ضمن المدارس الغربية. هناك كثير من المثقفين يدّعون بأنهم مثقفون عرب، لكنهم كذلك بالمولد أو بالسكن وحسب، اما من الناحية الثقافية فهم يقعون في مكان آخر، ولا علاقة لانتاجهم وابداعهم بثقافتهم المحلية.

س: الا تعتقد إن نحن قوّمنا هذا الانتاج، بصفته نتاجاً ثقافياً وحسب، ومن دون اعتبار اللغة التي كُتب بها أو لهابتوس من كتبه، الا يمكن أن يكون ذا قيمة ونفع؟

ج: بلا شك، لكن ما يهمني أكثر هو أصالة الابداع وليس الابداع ذاته.

س: بالنسبة اليك إن الانتاج الفكري والابداع متجذران في الثقافة وتابعان لها.

ج: اعتقد في ما يخص المثقف العربي، ان ابداعه يجب أن يكون مستلهَماً من الثقافة المحلية وموجِّهاً لها، وذلك للأسباب التالية: أولها ان الثقافة العربية تمر اليوم بمرحلة صعبة وهي في حاجة إلى عدة مساهمات لبعثها واحيائها. ثانيها ان المثقف العربي هو المؤهل أكثر من غيره لفهم ثقافته، خاصة انه مؤهل أكثر من المستشرقين الذين كتبوا منذ عدة عقود، وما زالوا يكتبون دراسات محرّفة عن هذا المجتمع. ثالثها ان أصالة الانتاج تكمن في الارتباط بهذه الثقافة والاستلهام منها. وهذه هي رؤيتي للأمور.

س: يتضح من قولك المعياري هذا ان لك نظرة عروبية تركز أكثر على الثقافة المحلية، ويُلحظ فيها، إلى حد ما، رفض للثقافة الاجنبية وتصغير من شأنها.

ج: أرى من الضروري أن أقول مرة أخرى، حتى إن كنت أخشى تكرار نفسي، ان هذا العصر تهيمن فيه الثقافة الغربية في كل الميادين والمجالات، ولذا مهما فعلنا، فلا يمكننا ان نفرط أو نبالغ في التأكيد على العروبة والتعريب وتعزيز الثقافة العربية. والواقع ان البديل يؤدي إلى الاستلاب والخضوع النهائي واللامشروط لثقافة الغرب. انظر حواليك واستخلص بنفسك، فأعتقد انك أكثر وعياً بهذا لكونك تعيش في خضم ثقافة الغرب.

س: ألا ترى انه من واجب المثقفين العرب الاهتمام بثقافة الآخرين؟

ج: بالتأكيد، لكن مجتمعهم في حاجة اليهم أكثر مما يحتاج إليهم مجتمع آخر. وفوق هذا، ما هو غير مفهوم، أن يصرف، مثلاً، مثقف عربي متعلم، جهده في دراسة الليبرالية الأوروبية أو الوجودية الفرنسية، في حين هناك مئات المواضيع الثقافية والسياسية والفكرية التي نحن في حاجة إلى درسها وتحليلها والتركيز عليها. فمن غير المعقول أن يصرف المثقفون العرب جهدهم في تزيين منتزهات الآخرين وينسوا مشاكلهم الخاصة المرتبطة بالتعمير والبناء.

س: ربما كان أسهل على المثقف العربي أن يكتب في الليبرالية الأوروبية أو في موضوعات أخرى لا تمسّ مجتمعه، من أن يكتب في موضوعات ترتبط بمجتمعه.

ج: حسناً، هذه نقطة أساسية يضعها كثير من المثقفين مسبقاً، فهم يبحثون بذلك عن الموضوعات السهلة، ولا يريدون الالتزام أو العمل في حركة أو منظمة، إذ من الأفضل لهم أن يكونوا منقذين أو مفكرين أو أنبياء في شعب غير شعبهم على أن يعملوا في مجتمعهم وضمن ثقافتهم. وهذا ليس لأن المثقفين عاجزون فكرياً وثقافياً ولكن لأنهم غير قادرين على اتخاذ المواقف الشجاعة والانخراط في قضاياهم الوطنية. فان كنا مثقفين بحق ونستحق هذا اللقب، فعلينا أن نتحمل القيام بذلك مهما كانت الظروف والعراقيل.

س: إذا نظرنا إلى عدد المنشورات والجرائد والاطروحات وغيرها، ألا يمكن القول إن الانتاج خصب وإن المجتمع العربي محط وموضوع رئيسي للدرس والتحليل من منظورات علمية مختلفة؟

ج: كثير من هذه المنشورات هو من أجل النشر وحسب، كما أشرت إلى ذلك سلفاً، أما الباقي فهو متأثر بأفكار الغرب ومستعمل لمعاييره بصورة آلية في دراسة المجتمع العربي. ان هذه المنشورات تنقصها الاصالة، وهي تخلص في بعض الاحيان إلى نتائج متحيزة.

(أستاذ مساعد/ الفلسفة الاسلامية)

ملحق رقم (٢)

الاستمارة التي وزعت على الأساتذة المشاركين في الدراسة

أيها المجيب المحترم،

للمثقفين[١] مهمة معينة في مجهودات التنمية[٢] في كل المجتمعات وخاصة في تلك التي تسير في طريق النمو كالمجتمعات العربية. هدف هذه الدراسة هو معرفة مكانة المثقفين في المجتمع من جهة، واتجاهاتهم الفكرية والثقافية نحو علمية التنمية من جهة أخرى. لهذا نطلب منك الاجابة بعناية عن الأسئلة المطروحة في الاستمارة. إن كانت أجوبتك أطول مما يسمح به الفراغ أشر إلى رقم السؤال وأجب في آخر الاستمارة أو استعمل أوراقاً اضافية.

إن كان هناك سؤال أنت لست متأكداً منه أو لا تريد الجواب عنه، نرجو منك ألّا تترك الأسئلة الأخرى. كل جواب سيساعدنا في الحصول على معرفة أكبر لوجهة نظرك، ويمكّننا من فهم دور المثقفين بصفة أوضح.

أنت لست ملزماً بكتابة اسمك على الاستمارة. وهذا يعني أن هويتك ستبقى مجهولة. القائم بهذه الدراسة مستعد للاجابة عن كل الأسئلة التي تتعلق بموضوعها. *

Dr. M'hammed Sabour
University of Joensuu
Faculty of Education
PL Box III
80101 Joensuu, Finland

---

(١) في هذه الدراسة يُعني بالمثقف كل من له تكوين عالٍ ـ جامعي.

(٢) مفهوم التنمية هنا يأخذ بعين الاعتبار الجوانب السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية.

* حُلِّلَت في هذه الدراسة فقط الأسئلة التي تحمل علامة (*).

الهوية:

(*) ١. العمر: ــــ سنة.

(*) ٢. الجنس: ــــ: أنثى ــــ: ذكر

المستوى الدراسي:

(*) ٣. ما هو مستواك الدراسي (ضع علامة (×) أمام أحد المستويات التالية).

أ. ــــ مستوى أقل من البكالوريا

ب. ــــ مستوى البكالوريا

ت. ــــ الاجازة (ليسانس)

ث. ــــ الماجستير

ج. ــــ دكتوراه السلك الثالث

ح. ــــ دبلوم الدراسات العليا

خ. ــــ دكتوراه الدولة

د. ــــ دكتوراه في الفلسفة

ذ. ــــ مستوى غير مذكور أعلاه

ماذا؟ ــــــــ

العمل أو المهنة أو الوظيفة:

(*) ٤.	في أي من الشُعَب التالية تخصَّصت؟ (ضع علامة)	في أي من الشُعَب تعمل الآن؟ (ضع علامة)
أ. علم الطب	ــــ	ــــ
ب. طب بيطري	ــــ	ــــ
ت. علم الزراعة	ــــ	ــــ
ث. تجارة	ــــ	ــــ
ج. الاقتصاد	ــــ	ــــ
ح. علوم طبيعية	ــــ	ــــ
خ. علوم اجتماعية	ــــ	ــــ
د. علوم انسانية	ــــ	ــــ
ذ. هندسة	ــــ	ــــ
ر. الإعلام صحافة	ــــ	ــــ
ز. الفنون الجميلة	ــــ	ــــ
س. السياحة	ــــ	ــــ
ش. الصناعة	ــــ	ــــ
ص. علوم ادارية	ــــ	ــــ
ض. علوم قانونية	ــــ	ــــ
ط. تكوين عسكري	ــــ	ــــ
ظ. شيء آخر، ماذا؟ (أوضح) ــــــ	ــــ	ــــ

(*) ٥. ماهي مهنتك أو وظيفتك الحالية؟

(*) ٦. ما هي الوظائف التي قُمت بها خلالَ العَشْر سنوات الماضية؟ ____________

____

____

(*) ٧. ان كُنت لا تعمل في الشُعبَة التي تخصَّصت فيها أذكر الأسباب: ٠٠٠٠٠

____

____

(*) ٨. في أي قطاع تُزَاول عملك حالياً؟

أ. ___ حكومي ب. ___ عمومي ت. ___ خاص

ث. ___ عمل حرّ ج. ___ قطاع آخر، ماذا؟ ______

(*) ٩. هـل دَرست أو عملت في الخـارج (خـارج بلدك)؟ ___ نعم ___ لا

إن كان الجواب نعم أذكر البلد، نوع الدراسة أو العمل والمدة:

البلد	نوع العمل	نوع الدراسة	السنة (المدة)	
_____	_____	_____	من _____	إلى _____
_____	_____	_____	_____	_____
_____	_____	_____	_____	_____

(*) ١٠. أذكر ثلاثة أسباب أو دَوَافِع أثَّرت في اختيار مهنتك أو وظيفتك الحالية:

أ. ____

ب. ____

ت. ____

(*) ١١. ما هي وضعية عملك الحالية؟ هـل هي: أ. ___ رسمية؟ ب. ___ مؤقتة؟

(*) ١٢. هـل تزاول الآن عمـلاً إضافيـاً (مثلاً: التعليم، عمـل استشـاري، عمـل صحفي، عضو في لجنة، الخ)؟

أوضح: ____

____

____

(*) ١٣. هـل كَتَبْت كُتُبـاً أو مَقَـالات أو شيْئـاً آخـر؟ اذكـر عـدد أهم منشـوراتـك وموضوعها: ____

____

____

(*) ١٤ . كَيْفَ تَرى نُمُوَّ عملك وتَرْقيتك فيه خلال الخمس سنوات الماضية (ضع علامة)

___ تحسَّن   ___ لم يَتَغير   ___ أصبح أسوأ

(*) ١٥ . كَيْف تَرى حالة نُمُو عملك وترقِّيك فيه خلال الخمس سنوات المقبلة؟

___ سيَتَحسَّن   ___ لن يتغير   ___ سيصبح أسوأ

(*) ١٦ . إلى أي حَدّ يمكنك أن تَسْتعمِل كفاءتك ومعرفتك في عملك أو وظيفتك الحالية؟

___ كثيراً جداً   ___ بعض الشيء   ___ قليلاً جداً   ___ مطلقاً

(*) ١٧ . ما هي الأسباب التي تَحُد من استعمالك لمعْرفَتك وقُدْرتك؟ أوضح : ______

____

____

(*) ١٨ . ما هي التَغْيِيرات التي تريد أن تُدخِلها في عملك أو وظيفتك الحالية؟ أوضح : ____________________________________

____

____

____

(*) ١٩ . أَعْطِ رأيكَ في العوامل المذكورة أدناه كمُحفِّز (كدافِع) في عمل أو وظيفة المثقف العربي، وذلك بالتَعْبير عن موافقتك أو معارضتك لها. (ضع علامة O [دائرة] على الرقم المناسب في السلم)

	موافقة قوية	موافقة متوسطة	غير واثق متردد	معارضة متوسطة	معارضة قوية
أ. التقدير والاحترام	١	٢	٣	٤	٥
ب. العمل نفسه	١	٢	٣	٤	٥
ت. المسؤولية	١	٢	٣	٤	٥
ث. الترقية	١	٢	٣	٤	٥
ج. السلطة والحكم	١	٢	٣	٤	٥
ح. الجاه والحُظوة	١	٢	٣	٤	٥
خ. الأجرة	١	٢	٣	٤	٥

د. الدافع الانساني
(مساعد الآخرين) ١ ٢ ٣ ٤ ٥
ذ. شيء آخر، ماذا؟
ــــــ ١ ٢ ٣ ٤ ٥

(*) ٢٠. في عملك أو وظيفتك الحالية هل تَشْعُر أن لك (ضع علامة O على الرقم المناسب في السلّم)

	قليلاً				كثيراً
أ. مكانة حالة غير ثابتة، غير مُسْتَقِرة؟	١	٢	٣	٤	٥
ب. مكانة تُمَكِّنك منن الحصول على قدر محدود ونِسْبي من الأهمية والنفوذ؟	١	٢	٣	٤	٥
ت. قَدْراً كافياً من النفوذ والسلطة للتأثير بالطريقة مَلموسة في كل القرارات التي تتعلق بمَيْدان عملك ووظيفتك؟	١	٢	٣	٤	٥
ث. مكانة تُمَكِّنك من أن تقف على قدم المساواة فكرياً أو سياسياً أو ادارياً مع أي كان وأن تجعله يحترم وجهة نظرك ولو كان له رأي مخالف لرأيك؟	١	٢	٣	٤	٥
ج. مكانة تُمَكِّنك من فَرْض وجهة نظرك وأن هذه الأخيرة تُؤخذ كمِثال من طَرَف الاخرين وتُحْظى في نفس الوقت باحترام وتقدير عاليين؟	١	٢	٣	٤	٥
ح. شيء آخر، ماذا؟ (أوضح) ــــ ـــــــــــــــــــ	١	٢	٣	٤	٥

(*) ٢١. ما هما المكانة والاعتبار اللذان يُحظى بهما مثقف عربي في بلدك، يتمتع بتكوينك العالي نفسه بين جماعات مختلفة من الناس؟ (ضع علامة (×) فوق أحد المستويات من السلّم)

	أعلى ٥	٤	٣	٢	أسفل ١
أ. بين الناس العاديين (العامة)	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ
ب. بين أعضاء العائلة والمعارف	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ
ت. بين الموظفين والرسميين في الادارة والحكومة	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ
ث. بين المثقفين في بلادك	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ
ج. بين المثقفين في الأقطار العربية	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ
ح. بين المثقفين في العالم الثالث	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ
خ. بين المثقفين في العالم الغربي أو الشرقي (الاشتراكي)	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ

(*) ٢٢. ما هي الوسائل التي تُمَكِّن مثقفاً في مستواك الدراسي والعلمي من الحفاظ على تحسين وتقوية مكانته ووضعه الاجتماعي؟ (ضع علامة أمام اثنتين من النقاط المذكورة أدناه التي تعتقد انها تمثل أفضل السبل لتحقيق ذلك):

أ. ___ من عائلة ذات نفوذ وجاه.

ب. ___ له معارف في الادارة وفي الجهاز الرسمي.

ت. ___ عضواً في حزب سياسي.

ث. ___ عضواً في جمعية (نقابة) مهنية أو علمية.

ج. ___ مجدّاً ومتفانياً في عمله.

ح. ___ ذا قُدرة إبْداعية وإنتاج فكري وعلمي.

خ. ___ خاضعاً ومتماثلاً لأوامر رؤسائه.

د. ___ مدفوعاً في عمله بحوافِز وطنية.

ذ. ___ وسائل أخرى، ماذا؟ (أوضح) ______________________

(*) ٢٣. ما هي في رأيك العوامل التي تدفع المثقفين العرب الى الهجرة والاقامة في الخارج (أوروبا أو أمريكا الشمالية)؟ عبر عن موافقتك أو معارضتك بوضع دائرة على السلّم أدناه:

	موافقة قوية	موافقة متوسطة	غير واثق متردد	معارضة متوسطة	معارضة قوية
أ. الأجور أفضل في الخارج	١	٢	٣	٤	٥
ب. هناك حرية أكبر للتعْبير	١	٢	٣	٤	٥
ت. الظروف مُلائمَة للعمل الفكري والعلمي	١	٢	٣	٤	٥
ث. اغترابهم الثقافي والفكري	١	٢	٣	٤	٥
ج. عدم حصولهم على تقدير لمعرفتهم في بلادهم	١	٢	٣	٤	٥
ح. لسبب اختلافهم مع سياسة حكومات بلادهم	١	٢	٣	٤	٥
خ. امكانات تنمية وتحسين القدرة العلمية متوفرة في الخارج	١	٢	٣	٤	٥
د. عدم وجود عمل لهم في بلادهم	١	٢	٣	٤	٥

ذ. عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي في بلادهم	١	٢	٣	٤	٥
ر. أسباب عائلية (زواج بأجنبية، مثلاً)	١	٢	٣	٤	٥
ز. عوامل أخرى، ماذا؟ (أوضح) ________	١	٢	٣	٤	٥

التنمية في الوطن العربي:

٢٤ . أدناه لائحة من المشاكل تُوجد في شكل من الأَشْكال في العالم العربي. ضع علامة أمام اثنتين منها تمثلان في رأيك أبرزها بالنسبة إلى بلدك.

أ. ___ الفوارق الكبيرة بين الطبقات الاجتماعية.

ب. ___ الاستلاب الثقافي والفكري.

ث. ___ ضعف الديموقراطية السياسية.

ج. ___ الأُميَّة.

ح. ___ التأخر الصناعي والتقاني.

خ. ___ الاحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية.

د. ___ وضع المرأة.

ذ. ___ التبعية الاقتصادية والتقانية للغرب.

ر. ___ الانفجار السكاني، تحديد النسل.

ز. ___ البطالة.

س. ___ ضعف الانتاج في القطاع الزراعي.

ش. ___ تزويد القوات المسلحة بالعتاد الحربي المتطور.

ص. ___ فقر وتأخر سكان البادية والأرياف.

ض. ___ مشاكل أخرى. ماذا؟ (أوضح): ____________________

____

____

٢٥ . تَصَوَّر أنك تَمْلِك السلطة لاتخاذ القرارات في ما يَخص سياسة بلدك الانمائية، وان في الوقت نفسه تَتَوَفَّر على الوسائل العادية لإنجاز تلك القرارات؛ ما هما المشكلتان الأوليان اللتان ستبدأ بهما من المشاكل المذكورة أعلاه، ولماذا؟ (أوضح): ____________

____

____

____

٢٦ . **أذكر ثلاثة انجازات بارزة في** ميدان التنمية تَعْتَبِر أنت شخصياً انها حُقِّقَت خلال العشر سنوات الماضية في **بلدك**:

أ. ______________________________

ب. ______________________________

ت. ______________________________

٢٧ . في ما يلي لائحة من **الوسائل أو القدرات** التي يُعتقد أنها ناقصة أو غير موجودة في فلسفة وسياسة مُخططي ومُنْجزي التنمية في الوطن العربي. أذكر **ثلاثاً** منها تعتبرها أنت شخصياً ناقصة أو غير موجودة في بلدك ولماذا؟

- ارادة التغيير والتجديد ـ العقل العلمي ـ التنسيق بين مُخَططي ومُنْجزي التنمية.
- معرفة الواقع الاجتماعي ـ دور وعطاء المفكرين ـ ديمقراطية صنع القرار.
- الثقة بالنفس ـ التعاون بين الدول العربية ـ الاعتماد على النفس والابداع المحلي.
- وعي الشخصية الثقافية القومية.

أ. ______________________________

ب. ______________________________

ت. ______________________________

٢٨ . ما هو **نوع العوامل** السياسية، الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية والنفسية التي يُمْكِن اعْتِبَارها في رأيك **عائقاً** (عقبة) أمام **التطور** في بلدك؟ (أوضح):

أ. عامل اجتماعي: ______________________________

ب. عامل سياسي: ______________________________

ت. عامل ثقافي: ______________________________

ث. عامل اقتصادي: ______________________________

ج. عامل نفسي: ______________________________

(*) ٢٩ . ما هي في رأيك **الاجراءات** التي يَجِب أن تُتَّخذ **لتَشْجيع الابداع والانتاج الفكري في بلدك؟**

أ. ____

ب. ____

ت. ____

ث. ____

ج. ____

ح. ____

(*) ٣٠. ضع خمساً (٥) من جماعات المثقفين المذكورة أدناه في تَرْتيب **أهمّية في** ما يَخُص دورهم **بالنسبة للتنمية في** بلدك:

- الفقهاء ورجال الدين - الأطر (الكوادر) الادارية - التقنيون ورجال العلم.

- الأدباء - ضباط الجيش - الاقتصاديون - رجال التربية - رجال القانون (القضاة، المحامون). - السياسيون - الفنانون - خبراء علم الاجتماع والعلوم الانسانية.

أ. ____

ب. ____

ت. ____

ث. ____

ج. ____

ح. جماعة من المثقفين لم تُذْكر أعلاه ________________________

(*) ٣١. أذكر **من واحد إلى ثلاثة** مفكرين أو شخصيات عربية أو غير عربية (مثلاً: أديب، سياسي، كاتب، فقيه... الخ) الذين تَعتَبِر أن أفكارهم يمكن أن تُؤْخذ **قاعدة ومُنْطَلقاً لسياسة التنمية في العالم العربي**:

عربي	غير عربي
أ. ____________	أ. ____________
ب. ____________	ب. ____________
ت. ____________	ت. ____________

(*) ٣٢. لخّص أهم أفكار المفكرين أو الشخصيات المذكورة:

عربي

____

____

غير عربي

---

٣٣. بالمُقارنة مع الغرب، ما هي في رأيك الأسباب الداخلية والخارجية التي كَبَتَت التطوّر العلمي والتقاني في الوطن العربي؟

أ. أسباب داخلية: ____________

ب. أسباب خارجية: ____________

الوسط العائلي:

(*) ٣٤. مهنة أو وظيفة الأب: ____________

(*) ٣٥. المستوى الدراسي للأب: (ضع علامة (×) أمام واحد من المستويات التالية):

أ. ___ أُمّي (غير متعلم).

ب. ___ مستوى مدرسة قرآنية (الكتّاب).

ت. ___ مستوى ابتدائي.

ث. ___ مستوى ثانوي (الطور الأول).

ج. ___ مستوى ثانوي (الطور الثاني).

ح. ___ مستوى جامعي.

(*) ٣٥. مهنة أو وظيفة الأم: ____________

(*) ٣٦. المستوى الدراسي للأم: (ضع علامة (×) أمام واحد من المستويات التالية):

أ. ___ أمّية (غير متعلمة).

ب. ___ مستوى مدرسة قرآنية (الكتّاب).

ت. ___ مستوى ابتدائي.

ث. ___ مستوى ثانوي (الطور الأول).

ج. ــــ مستوى ثانوي (الطور الثاني).

ح. ــــ مستوى جامعي.

معلومات عامة

(*) ٣٧. من هو المثقف في رأيك؟ أَعْطِ تَعْرِيفاً له: ـــــــــــــــــــ

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

٣٨. الفلسفة والسياسة المُتبعتان في ميدان التنمية في الوطن العربي تَتَّصِفَان بعدة اتجاهات. هل يمكنك أن تُحدِّد ما هو الإتِّجاه البارز حالياً ولماذا؟ ـــــــــــــــــــ

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(*) ٣٩. كَثُرَ الكلام مؤخراً عن **الانبعاث الاسلامي** وعن دَوْره كقوَّة لِبِنَاء التنمية في الوطن العربي. هل يمكنك أن تعطي رأيك في الموضوع؟ ـــــــــــــــــــ

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

(*) ٤٠. البُنية والطبقات الاجتماعية حُلِّلت وعُرِّفت بطُرُق مختلفة وحَسْب مدارس فكرية متعددة.

أ. هل يمكنك أن تعطي تعريفاً للطبقات والبنية الاجتماعية في بلدك؟ ـــــــــــــــــــ

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ب. إلى أيّ من الطبقات الاجتماعية تعْتَبِر أنك تَنْتَمي (مثلاً: متوسطة، شعبية، برجوازية... الخ)؟

١. كمثقف: ـــــــــــــــــــ

٢. كموظف أو عامل: ـــــــــــــــــــ

٣. كمستهلك: ـــــــــــــــــــ

٤. كمُزَاوِل لنَمَطٍ من العيش أو الحياة: ـــــــــــــــــــ

(*) هل لك، أيها المجيب المحترم، أي تعليق أو آراء أو نقد في ما يخصّ هذه الدراسة؟

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

ملحق رقم (٣)

أهم الأسئلة والقضايا المطروحة في المقابلات التي أجريت مع الأكاديميين

- ما هي العوامل التي أثرت في توجّهك نحو العمل الأكاديمي عند اختيارك اياه في البداية؟

- إلى أي مدى يمكن لمثقف مثلك يملك ما تملك من اختصاص ورتبة أكاديمية أن يستغل قدراته في عمله؟

- كيف تقوّم مكانة المثقفين مثلك بين مختلف فئات المجتمع العربي اليوم؟

- هل تعتقد ان المثقفين مثلك مرتاحون وراضون عن نشاطهم المهني والفكري؟

- هل يمكنك أن توضح لنا الحوافز التي تحثّك في عملك الراهن؟

- إلى أي مدى يمكنك أن تؤثّر تأثيراً مهماً في القضايا المتعلقة بنشاطك وعملك؟

- ما هي الوسائل المناسبة والفعالة التي يمكن ان تعزز وتقوّي الموقع المهني والاجتماعي بالنسبة إلى رجل مثقف ومتعلم في مثل وضعك؟

- ما هي أهم الحواجز والمعوقات التي تعوق التنمية في بلدك؟

- ما هي، في نظرك، الاسباب التي تعمل على هجرة الادمغة من البلدان العربية؟

- ما هي أهم الحواجز والمعوقات التي تقف في وجه التنمية في البلدان العربية؟

- ما هو، في اعتقادك الشخصي، صنف المثقفين الذي تحتاج إليه هذه البلدان أكثر من غيره، وفقاً لمعطيات السياق التاريخي الراهن؟

- ما هي التغييرات التي تود احداثها في نشاطك الأكاديمي؟

ملحق رقم (٤)

مؤشرات الرساميل

١ ـ مؤشرات الرأسمال الموروث أو المكتسب:

المؤشر الديمغرافي

	العلوم الطبيعية والطبية (العدد = ١٥) (نسبة مئوية)	الحقوق والاقتصاد (العدد = ٢٣) (نسبة مئوية)	العلوم الاجتماعية والانسانية (العدد = ٥٩) (نسبة مئوية)	العلوم التقنية والهندسة المعمارية (العدد = ١٣) (نسبة مئوية)	المجموع
الجنس					
ذكور	٨٠,٠	٩٥,٧	٨٤,٦	٨٤,٦	٧٧,٣
اناث	٢٠,٠	٤,٣	٣٢,٢	١٥,٤	٢٢,٧
فئات الاعمار					
ـ ٣٠	-	٤,٣	١,٧	-	١,٨
٣١ ـ ٣٥	٦,٧	٨,٧	٨,٥	٧,٧	٨,٢
٣٦ ـ ٤٥	٧٣,٣	٥٦,٥	٧١,٢	٨٤,٦	٧٠,٠
٤٦ ـ	٢٠,٠	٣٠,٤	١٨,٦	٧,٧	٢٠,٠
مجال نشاط الأب					
زراعة (مجال قروي)	١٥,٥	٢٣,٠	١٧,٠	١٧,٠	١٩,٥
مقاولة،مهنة حرة، تجارة	٤٦,٠	١٣,٥	٢٠,٠	٨,٥	٢١,٠
الدارة وظيفة تكنوقراطية	٣٨,٥	٤٥,٥	٥١,٠	٣٣,٥	٤٤,٥
بروليتاريا وعمل دون خبرة	-	١٨,٠	١٢,٠	٤١,٠	١٥,٠
الشهرة على الصعيد العالمي	١٣,٥	٢١,٠	١٦,٥	-	١٥,٥
الشهرة على صعيد الوطن العربي	٤٠,٠	٥٢,٥	٥٧,٦٢	١٥,٠	٥٤,٠

(يتبع)

تابع ملحق رقم (٤)

٢ ـ مؤشرات الرأسمال التعليمي:

	العلوم الطبيعية والطبية (العدد = ١٥) (نسبة مئوية)	الحقوق والاقتصاد (العدد = ٢٣) (نسبة مئوية)	العلوم الاجتماعية والانسانية (العدد = ٥٩) (نسبة مئوية)	العلوم التقنية والهندسة المعمارية (العدد = ١٣) (نسبة مئوية)	المجموع
لغة الدراسة الجامعية					
العربية	٦٠,٠	٧٨,٠	٨٣,٠	٤٦,٥	٧٤,٥
لغة أجنبية	٤٠,٠	٢٢,٠	١٧,٠	٥٣,٥	٢٥,٥
الدراسة في الخارج					
نعم	٤٠,٠	٥٢,٠	٥٤,٥	٦١,٥	٥٣,٠
لا	٦٠,٠	٤٨,٠	٤٥,٥	٣٨,٥	٤٧,٠

٣ ـ مؤشرات رأسمال السلطة الاكاديمية (في الجامعة):

	العلوم الطبيعية والطبية (العدد = ١٥) (نسبة مئوية)	الحقوق والاقتصاد (العدد = ٢٣) (نسبة مئوية)	العلوم الاجتماعية والانسانية (العدد = ٥٩) (نسبة مئوية)	العلوم التقنية والهندسة المعمارية (العدد = ١٣) (نسبة مئوية)	المجموع
العضوية في اللجان الاستشارية	٤٠,٠	٥٢,٠	٥٢,٥	٣١,٠	٤٨,٠
الأوسمة الاكاديمية	١٣,٠	٢٢,٠	١٨,٥	٣١,٠	٢٠,٠
الوظيفة في ادارة الجامعة	٣٣,٥	١٧,٥	١٣,٥	١٥,٥	١٧,٥
العضوية في مجلس الجامعة	١٣,٥	٢١,٥	٣٥,٥	٢٣,٠	٢٨,٠

(يتبع)

تابع ملحق رقم (٤)

٤ ـ مؤشرات رأسمال السلطة والوجاهة العلميتين:

	العلوم الطبيعية والطبية (العدد = ١٥) (نسبة مئوية)	الحقوق والاقتصاد (العدد = ٢٣) (نسبة مئوية)	العلوم الاجتماعية والانسانية (العدد = ٥٩) (نسبة مئوية)	العلوم التقنية والهندسة المعمارية (العدد = ١٣) (نسبة مئوية)	المجموع
العضوية في لجان البحث	٣٣,٥	٣٩,٠	٣٥,٥	٣١,٠	٣٥,٥
ادارة مشروعات البحث	٤٠,٠	٣٥,٠	٢٢,٠	٢٣,٠	٢٧,٥
المشاركة في المؤتمرات العلمية الدولية	٤٦,٥	٣٥,٠	٥٩,٥	٤٦,٠	٥١,٠
العضوية في الاكاديميات العلمية	٦٢,٥	٢١,٥	٢٧,٠	٣١,٠	٢٦,٥
الترجمة	٦,٥	١٣,٠	١٨,٥	-	١٣,٥
التدريس في معاهد غربية	١٣,٥	٢١,٥	١٨,٥	٧,٥	١٧,٥

(يتبع)

تابع ملحق رقم (٤)

٥ ـ مؤشرات رأسمال الشهرة العلمية والفكرية:

	العلوم الطبيعية والطبية (العدد = ١٥) (نسبة مئوية)	الحقوق والاقتصاد (العدد = ٢٣) (نسبة مئوية)	العلوم الاجتماعية والانسانية (العدد = ٥٩) (نسبة مئوية)	العلوم التقنية والهندسة المعمارية (العدد = ١٣) (نسبة مئوية)	المجموع
المنشورات					
كتب	٥٣,٥	٩٥,٥	٦٨,٠	٤٦,٠	٦٩,٠
مقالات في مجلات علمية	١٠٠	١٠٠	٩٥,٠	٨٤,٥	٩٥,٥
مقالات في الصحف	٨٠,٠	٧٨,٠	٦٦,٦	٦١,٥	٦٩,٠
لغة المنشورات العربية	٨٧,٠	٨٧,٠	٩٠,٠	٦٩,٥	٨٦,٥
لغات أجنبية فرنسية انكليزية	٥٣,٥	٩١,٥	٦١,٠	٩٢,٠	٦٣,٠

٦ ـ مؤشرات رأسمال السلطة الاقتصادية أو السياسية:

	العلوم الطبيعية والطبية (العدد = ١٥) (نسبة مئوية)	الحقوق والاقتصاد (العدد = ٢٣) (نسبة مئوية)	العلوم الاجتماعية والانسانية (العدد = ٥٩) (نسبة مئوية)	العلوم التقنية والهندسة المعمارية (العدد = ١٣) (نسبة مئوية)	المجموع
تنظيم سياسي	١٣,٥	٣٥,٠	٢٩,٠	٧,٥	٢٥,٥
منظمة عمومية	٢٦,٥	٢٦,٠	٨,٥	٢٣,٠	١٦,٥
التدريس في بلدان عربية	٣٣,٥	١٧,٥	٢٥,٥	٢٣,٠	٢٤,٥
التدريس أو العمل في القطاع الخاص	٦٠,٠	٤٨,٠	٥,٠	٥٤,٠	٢٧,٥
المقاولة (رجل أعمال أو مالك رأسمال)	٢٠,٠	١٣,٠	٣,٥	٣١,٠	١١,٥

ملحق رقم (٥ - ١)

توزيع الطلبة حسب حقول المعرفة
في مصر

السنة / الحقل	١٩٥٠		١٩٥٥		١٩٦٠		١٩٦٨	
	ذكور واناث	اناث	ذكور واناث	اناث	ذكور واناث	اناث	ذكور واناث	اناث
انسانيات	٣٣٢٧	-	١٦٤٧٨	٢٩٦٧	١٧٧٦٣	٥٢٩٧	٢١٤١٤	٧١٠٥
علوم التربية	٦٨٧	-	٥٧٧٧	٢٧٣٦	٦٧١٨	٢٢٨١	١٣٠٣٤	٤٠٩٨
فنون جميلة	-	-	١٠٢٨	٨٩	١١٤٩	٢٦٩	٥٢٨٥	١٣٩٠
حقوق	٦٧٠١	-	١٤٠٠٧	٨٨٨	١٤١٠٦	١٤٦٠	١٥١٢٩	٢١٩٧
علوم اجتماعية	٧٢٣٩	-	١٤٣٣٤	١١٤٧	٢٤٤٨١	٣٤٥٣	٣٧١٤٠	١٢٦٥٥
علوم طبيعية	٢٠٦١	-	٢١٣٤	٣٥٥	٥٠٥٨	٦٠٨	٦٩٦٥	٢٣٨٤
هندسة	٤٢٤٥	-	٧٣٣٤	٢٥	١٣٨٣٨	٧١٢	٣٠٤٩٤	٢٥١٤
علوم طبية	٦٠٧٣	-	٨٠٣٥	٩٠٣	٩٩٨٣	١٧٦٢	٢٧٣٢٤	٧٥٨٧
زراعة	٢٥٢١	-	٣٧٦٤	٤٠٠	١٢٢٨١	٨٢٦	٢٣٦٦٨	٣٨٨٩
حقول غير محددة	-	-	-	-	١٤٥٣	١٤٥٣	-	-
العدد الاجمالي	٣٢٨٥٤	-	٧٢٨٩١	٩٥١٠	١٠٦٨٣٠	١٨١٢١	١٨٠٤٥٣	٤٣٨١٨

المصدر: UNESCO, *Statistical Yearbook, 1971* (Paris: UNESCO, 1971), pp. 345 - 355.

ملحق رقم (٥ ـ ٢)

توزيع الطلبة حسب حقول المعرفة
في سوريا

الحقل / السنة	١٩٥١		١٩٥٥		١٩٦٠		١٩٦٨	
	ذكور واناث	اناث	ذكور واناث	اناث	ذكور واناث	اناث	ذكور واناث	اناث
انسانيات	٢٧٤	١٣٨	١٦٤٨	٤٤٧	٤١٣٣	١١٥٩	١٢٤٥٢	٣٠٥١
علوم التربية	٣٥٥	٩٢	٢٠٠	٦٨	٢٥٨	٨٦	٤٤١	١٠٩
فنون جميلة	-	-	-	-	-	-	٢٦٦	٥٩
حقوق	١٠٣٩	٩٩	٢١٩٩	١٢٤	٦١١٧	٦٠٠	٦٩٩٥	٧٣٠
علوم اجتماعية	-	-	-	-	١٢٧١	١٨٢	٦١٩١	٩٦٧
علوم طبيعية	٢٣٥	٣٨	٥٨٣	٨٥	١١٢١	١٤٨	٣٥٢٦	٥٦٥
هندسة	٧٧	٣	١٠٠	٦	٥٢٤	٣٤	٢١٧٦	٩٠
علوم طبية	٤٩٠	١٠٠	٦٦٠	٢٠٥	٨٩٣	٢٦٣	٢١٢٩	٣١٧
زراعة	-	-	-	-	٥٣	١	٨٢٩	٤٤
العدد الاجمالي	٢٤٧٠	٤٧٠	٥٣٩٠	٩٣٥	١٤٣٧٠	٢٤٧٣	٣٥٠٠٥	٥٩٣٢

المصدر: المصدر نفسه، ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣.

ملحق رقم (٥ ـ ٣)

توزيع الطلبة حسب حقول المعرفة في المغرب

الحقل / السنة	١٩٥٠		١٩٥٥		١٩٦٠		١٩٦٨	
	ذكور واناث	اناث	ذكور واناث	اناث	ذكور واناث	اناث	ذكور واناث	اناث
انسانيات	١١٩		٦٣١	٢١٧	١١١٥		١١١١	٢٧٨
علوم التربية	-		١٠٩	٤٩	-		٣٠٨٤	٦٧٣
فنون جميلة	-		-	-	-		-	-
حقوق	٩٠١		٥١٠	١٠٦	-		١٥٦٦	١١١
علوم اجتماعية	-		١٨	١	-		٣١٠٤	٣٠١
علوم طبيعية	١٢٤		١٤٩	٧٣	١٠١٩		٥٧٣	٥٩
هندسة	-		٢١٦	٢٨	-		٢٩٢	٧
علوم طبية	-		١١٤	٢١	٣٣		١٠٠٢	١٤٩
زراعة	-		٢٥	-	-		١٧٦	-
حقول غير محددة	١٨٢		-	-	-		-	-
العدد الاجمالي	١٣٢٦		١٧٧١	٤٩٥	٤٦٦٥		١٠٩٠٨	١٥٧٨

المصدر: المصدر نفسه، ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩.

ملحق رقم (٦ - ١)

توزيع الطلبة حسب التخصصات المعرفية في كل من مصر والمغرب

حقل التخصص	مصر				المغرب			
	١٩٨٠		١٩٨١		١٩٨٠		١٩٨١	
	ذكور واناث	اناث	ذكور واناث	اناث	ذكور واناث	اناث	ذكور واناث	اناث
علوم التربية	٦٤٧٨٧	٢٧١٣٧	٧٤٤٣٩	٣١٤٣٣	٤٤٤	١٢٨	٤٩٢	١٥٣
انسانيات وعلوم دينية	٧٢٧٠٣	٣٢٩١١	٧٩٢٢٨	٣٧٥٨٩	٣٣٢١٢	١٠١٥٠	٤٣١١٢	١٣٩٩٤
فنون جميلة وتطبيقية	٦٨٣٩	٢٧١٥	٦٧١٠	٢٦٨٢	-	-	-	-
حقوق	٦٤١٢٣	١٤١٥٩	٧٥٧١٣	١٧٦١٣	٣٣٦٦٦	٦٨٢٢	٣١٦١٢	٦٠٣٨
علوم اجتماعية	٥٢٦٨	٢٠٠١	٤٧٨١	٢٠٠٦	/	/	/	/
التجارة وادارة المقاولات	١٢٠٨٨٧	٣٥٩٣١	١٣٠٢١٧	٣٩٠٣٥	/	/	/	/
الاقتصاد المنزلي	١٥٥٣	١٤٦	١٦٢٤	١٤٦٩	-	-	-	-
التواصل الجماعي والتوثيق	١٥٠٥	٧٥٨	١٥٥٥	٧٧٩	-	-	-	-
الخدمات التجارية	٤٦٩	٢٥٩	٥٩٢	٣٤٤	-	-	-	-
علوم طبيعية	٢٢٩٩٠	٧٢٨٩	٢٤٨٦٣	٧٩٣٩	١٢٢٧٢	٢٦٥٠	١٤٧٣٦	٣٢٣٦
رياضيات واعلاميات	١٢٦٧	٣٢٥	١٤٣٦	٣٦٢	-	-	-	-
الطب وعلوم الصحة	٦٠١٦٩	٢٠٩١٩	٥٩٤٢٦	٢١٦٠٧	٦٥٥٦	١٨٤١	٦٤١٨	١٨١٣
هندسة	٥٤٨٣٧	٧٩٣٩	٥٤٢٢٠	٧٢٢٣	٥٨١	٧٢	٥٨٣	٧٠
حِرف وبرامج مستقلة	/	/	/	/	-	-	-	-
الزراعة والغابات والصيد	٤٦٣٥٨	١٢٥١٧	٤٦٧٤٥	١٣٤٧٦	-	-	-	-
حِرف غير محددة	٤٧٩٦	٢٠٧٩	٥٥٦٩	٢١٣٤	-	-	-	-
المجموع	٥٢٨٧٥١	١٦٨٤٠٢	٥٦٧١٢٨	١٨٥٧٩١	٨٦٧٣١	٢١٦٦٣	٩٦٩٥٣	٢٥٣٠٤

المصدر: UNESCO, *Statistical Yearbook, 1985* (Paris: UNESCO, 1985).

ملحق رقم (٦ - ٢)

توزيع الطلبة حسب التخصصات المعرفية
في كل من سوريا والامارات العربية المتحدة

حقل التخصص	سوريا				الامارات العربية المتحدة			
	١٩٨٠		١٩٨١		١٩٨٠		١٩٨١	
	ذكور واناث	اناث	ذكور واناث	اناث	ذكور واناث	اناث	ذكور واناث	اناث
علوم التربية	١٤٨٨٦	٩٠٤٤	١٦٠٥٠	٩٣٧٩	٢٨١	٢٠٤	٤٤٣	٢٧٢
انسانيات وعلوم دينية	٣٠٤١٢	١٢٠٥٨	٣٠١٧١	١٣٣١٧	١٥٢	٨٠	٤١٧	٣٠٢
فنون جميلة وتطبيقية	٨٩٢	٢٦٠	٨٥٧	٢٥٥	-	-	-	-
حقوق	١٢٧١٧	١٧٥٤	١٢٥٤٩	١٦٦٨	١٧١	٢٦	٣١٠	٥٥
علوم اجتماعية	٢١٣٨	٣٨٦	٩٤٩٧	٢٤٦٨	٤٣٠	٢١٠	٥٩١	٢٩٢
التجارة وادارة المقاولات	٨٨٩٨	٢٩٤٨	٣٤٣١	١٣٧٢	٣٢٧	١٢٩	٥٤٢	٢١٥
الاقتصاد المنزلي	-	-	-	-	-	-	-	-
التواصل الجماعي والتوثيق	٨٤	٢٢	٦١	٢٤	١٦٩	١٠٦	٢٥٢	١٣٤
الخدمات التجارية	٢٨	-	٥٥	٢١	-	-	-	-
علوم طبيعية	١١٨٣٦	٣٧٤١	١٢٧١٨	٤٤٨٩	٢٥١	١٤٣	٤٠٥	٢٢٤
رياضيات وإعلاميات	-	-	-	-	٦٢	٤٢	٨٩	٥٦
الطب وعلوم الصحة	١٣٢٦٢	٤١٠٩	١٣٨٧٢	٤٥٥٧	-	-	-	-
هندسة	٢٦٢٧٧	٤٠١٠	٢٦٧٠٣	٤١٩٧	١٠١	٢٠	٩١	٢٠
حِرف وبرامج مستقلة	٣١٣٤	٨٨	٣٣٠٦	٤٥٣	-	-	-	-
الزراعة والغابات والصيد	١٠٠٠٣	١٤٨٦	٩١٦٠	١٢٨٥	٥٣	-	٤٥	-
حِرف غير محددة	٥١٠	٢٥٥	٦١١	٣٢٥	٥٢٢	١٦٦	-	-
المجموع	١٣٥٠٧٧	٤٠١٦١	١٣٩٠٤١	٤٣٨١٠	٢٥١٩	١١٢٦	٣١٨٥	١٥٧٠

المصدر: المصدر نفسه.

ملحق رقم (٧ ـ ١)

الهيئة التعليمية (١٩٥٠ ـ ١٩٦٨)

القطر	١٩٥٠			١٩٥٥			١٩٦٠			١٩٦٨		
	العدد الكلّي	الاناث	النسبة المئوية	العدد الكلّي	الاناث	النسبة المئوية	العدد الكلّي	الاناث	النسبة المئوية	العدد الكلّي	الاناث	النسبة المئوية
مصر	-	-	-	٣٢٦٦	٣٨٣	١٢	٤٢٥١	٦٠٨	١٤	١٠١٩٤	-	-
المغرب	-	-	-	-	-	-	١٤٠	١٦	١١	٣٨٧	٤٥	١٢
سوريا	١١١	-	-	-	-	-	-	-	-	١١١٦	٧٧	٧

المصدر : UNESCO, *Statistical Yearbook, 1971*, pp. 302 - 311.

ملحق رقم (٧ ـ ٢)

توزيع الهيئة التعليمية حسب صنف المؤسسات الجامعية

	جميع المؤسسات			الجامعات والمؤسسات التي في حكمها			مؤسسات من الدرجة الثالثة		
	المجموع	الاناث	النسبة المئوية	المجموع	الاناث	النسبة المئوية	المجموع	الاناث	النسبة المئوية
مصر									
١٩٧٠	١٤٢٥٠	-	-	١١٩٥٩	-	-	٢٢٩١	-	-
١٩٧٥	-	-	-	-	-	-	-	-	-
١٩٧٩	-	-	-	٢٢٥٠٧	٢٥١٦	٢٥			
١٩٨٠	-	-	-	-	-	-			
١٩٨١	-	-	-	٢٥٥٠٣	٦٦٤١	٢٦			
المغرب									
١٩٧٠	٦٢٠	٧٣	١٢	٥٠٣	٦٧	١٣	١١٧	٦	٥
١٩٧٥	١٦٤٢	-	-	٩٣٧	١٦٠	١٧	٧٠٥	-	-
١٩٧٩	-	-	-	٢٥٦١	٤١٨	١٦			
١٩٨٠	-	-	-	٢٧٥٧	٤٨٦	١٨			
١٩٨١	-	-	-	٣٢٨٤	٥٩٦	١٨			
سوريا									
١٩٧٠	-	-	-	١٠٣٧	٧٠	٧	١٥٥	١	١
١٩٧٥	-	-	-	١٣٣٢	١٠٦	٨	٧٤	١١	١٥
١٩٧٩	-	-	-	-	-	-	-	-	-
١٩٨٠	-	-	-	-	-	-	-	-	-
١٩٨١	-	-	-	-	-	-	-	-	-
١٩٨٢	-	-	-	-	-	-	-	-	-
الامارات العربية المتحدة									
١٩٧٨	٧٦	٢	٣	٧٦	٢	٣			
١٩٧٩	-	-	-	-	-	-			
١٩٨٠	٢٠٨	١١	٥	٢٠٨	١١	٥			
١٩٨١	-	-	-	-	-	-			
١٩٨٢	٢٧٩	١٤	٥	٢٧٩	١٤	٥			

المصدر: UNESCO, *Statistical Yearbook, 1985*, pp. 255 - 274.

ملحق رقم (٨)

العلاقة بين موقع وظيفة الاكاديميين
ومكانتهم بين مختلف الفئات: إناث (العدد = ٢٥)

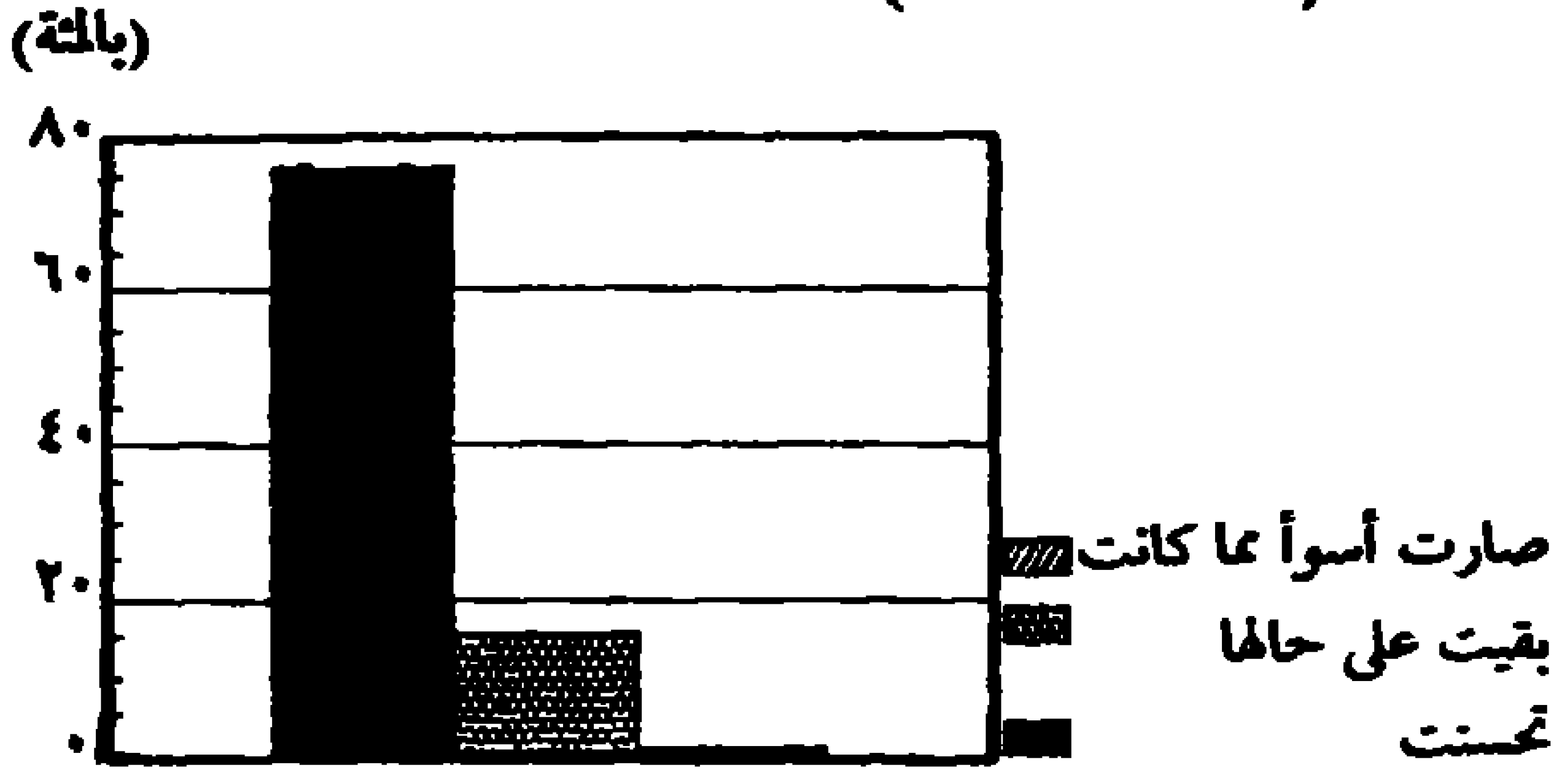
موقع الوظيفة	بين عامة الناس	بين أعضاء الأسرة والأقارب	بين الموظفين الحكوميين والرسميين	بين الانتلجنسيا في بلدك	بين الانتلجنسيا في الوطن العربي	بين الانتلجنسيا في العالم الثالث	بين الانتلجنسيا في أوروبا وأمريكا
موقع قار	,٢٣	,٣٦(*)	,٤٢(*)	,٣٢	,٠٠	,٣٥(*)	,٦٦(**)
موقع يمنح سلطة وأهمية محدودتين	,٠٥	,٠٠	,٤٩(**)	,٢٣	,٢٧	,٤٢(*)	,٤٣(*)
موقع يمنح ما يكفي من السلطة للتأثير في القرارات	,٠٩	,٠٢	,٣٤(*)	,١٨	,١٨	,١١	,٢٦
موقع يمكّن صاحبه من التعامل مع الآخرين على قدم المساواة	,١٢	,٠٧	,٢١	,١٤	,٠٥	,٣٦(*)	,٤١(*)
موقع يمكّن صاحبه من فرض تصوره للأمور	,٢٩	,٠١	,٢١	,٠٣	,٢٢	,٢٤	,٥٠(*)

(*) $P < 0.5$

(**) $P < 0.005$

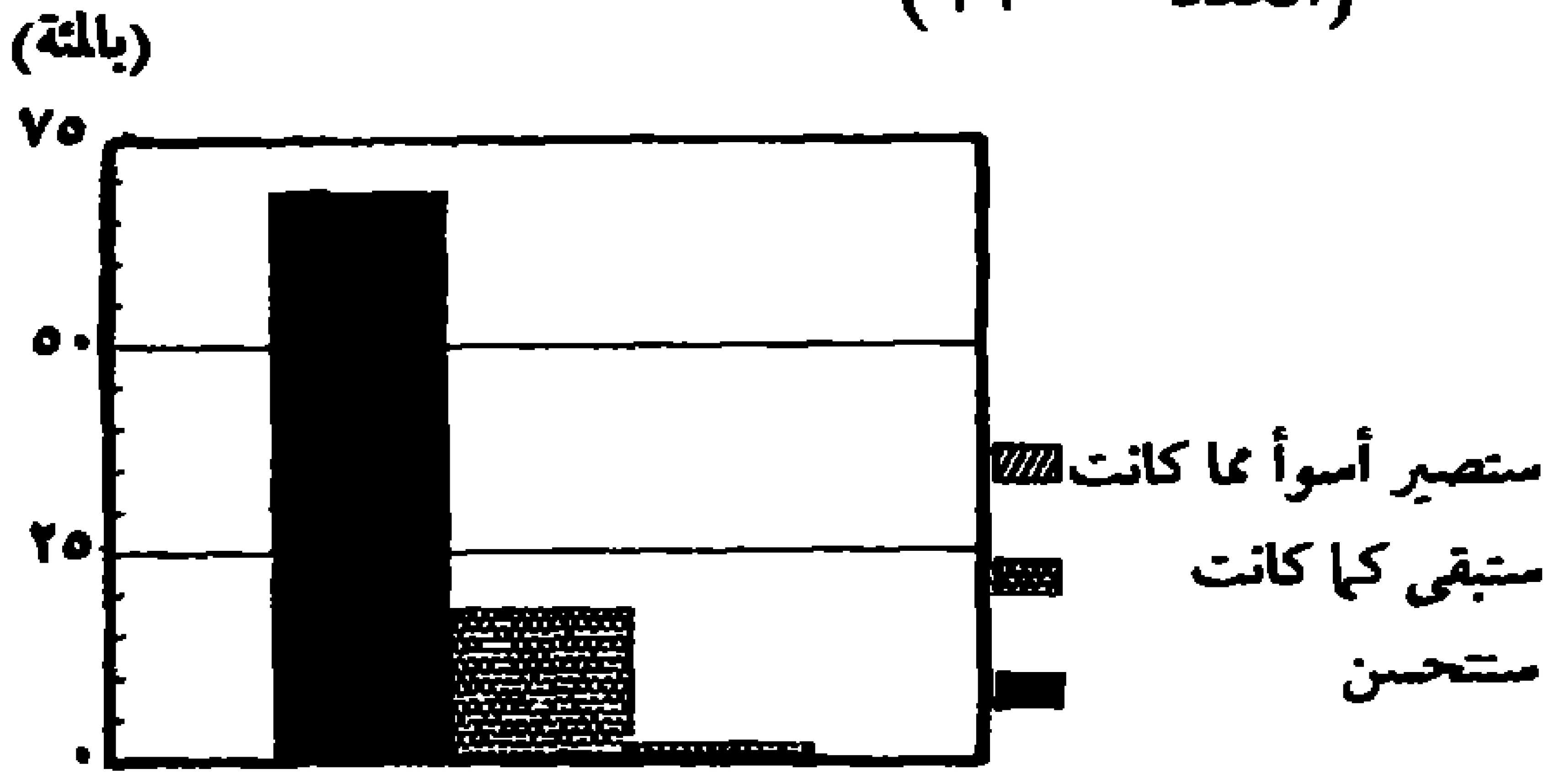
ملحق رقم (٩ - ١)

تحسُّن ظروف العمل خلال السنوات الخمس الماضية
(العدد = ١١٠)



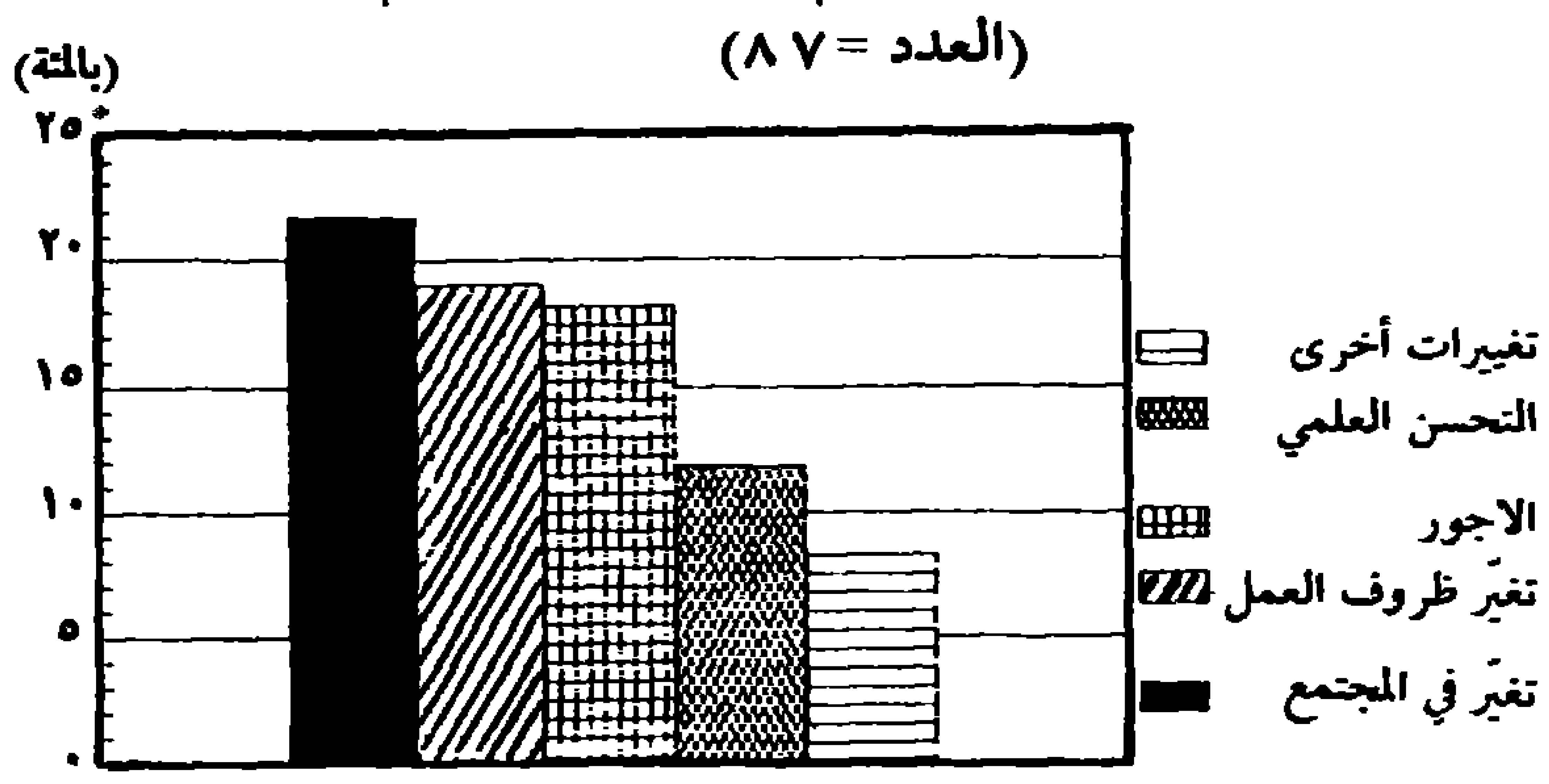
ملحق رقم (٩ - ٢)

تحسُّن ظروف العمل خلال السنوات الخمس القادمة
(العدد = ١١٠)



ملحق رقم (١٠)

آمال الاكاديميين في أن التغييرات التالية
يمكن أن تؤثر في اعتقادهم على ظروف عملهم
(العدد = ٨٧)



المـراجـع

١ ـ العربية

كتب

ابراهيم، سعد الدين (محرر). **الانتلجنسيا العربية: المثقفون والسلطة**. عمّان: منتدى الفكر العربي، ١٩٨٨. (سلسلة الحوارات العربية)

بركات، حليم. **المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٤.

الجابري، محمد عابد. **الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية**. بيروت: دار الطليعة؛ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٨٢.

الجمعية العربية لعلم الاجتماع. **الانتلجنسيا العربية**، ندوة عقدت في القاهرة بتاريخ ٢٨ - ٣١ آذار/ مارس ١٩٨٧. [تونس]: الدار العربية للكتاب، [١٩٨٩].

حاوي، خليل. **الأعمال الكاملة (الناي والريح)**. بيروت: دار العودة، ١٩٧٢.

حسين، طه. **الأيام**. ١٩٢٩.

حمدان، جمال. **شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان**. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٩.

حوراني، هاني. **التركيب الاقتصادي ـ الاجتماعي لشرق الأردن: مقدمات التطور المشوه، ١٩٢١ ـ ١٩٥٠**. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٧٨.

زكريا، فؤاد. **الحقيقة والوهم في الحركات الإسلامية المعاصرة**. القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٦.

شرابي، هشام. **مقدمات لدراسة المجتمع العربي**. بيروت: الدار الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٨٥.

عامل، مهدي. أزمة الحضارة العربية أم أزمة البرجوازيات العربية. بيروت: دار الفارابي، ١٩٨٥.
الكبيسي، عامر. الإدارة العامة والتنمية بدولة الامارات العربية المتحدة. الشارقة: دار الخليج، ١٩٨٢.
محرم، محمد رضا. تحديث العقل السياسي الإسلامي. القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٦.
النخبة السياسية في الشرق الأوسط. القاهرة: دار الموقف العربي، ١٩٨٧.

دوريات

دراج، فيصل. «اغتراب المثقف العربي.» المستقبل العربي: السنة ١، العدد ٢، تموز/ يوليو ١٩٧٨.
عبد الفضيل، محمود. «تضاريس الخريطة الطبقية في الوطن العربي: نظرة اجمالية ـ نقدية.» المستقبل العربي: السنة ٩، العدد ٩٥، كانون الثاني/ يناير ١٩٨٧.
عنبتاوي، منذر. «دور النخبة المثقفة في تعزيز حقوق الإنسان العربي.» المستقبل العربي: السنة ٦، العدد ٥٢، حزيران/ يونيو ١٩٨٣.
«ندوة المستقبل العربي: المثقف العربي ومهامه الراهنة.» شارك في الندوة سليم الحص [وآخرون]؛ أدار الندوة خير الدين حسيب. المستقبل العربي: السنة ٦، العدد ٥١، أيار/ مايو ١٩٨٣.

٢ ـ الأجنبية

Books

Abbas, Shafika Ebrahim. *The Roles of Administrators and Faculty in University Governance: A Comparative Study of a State University in the U.S.A. and the University of the United Arab Emirates.* Michigan: University Microfilms International, 1986.
Abdel - Malek, Anouar [et al.] (eds.). *Renaissance du monde arabe.* Alger: Duclot, 1972.
Abdulla, Abdulkhaleq. *Political Dependency: The Case of the United Arab Emirates.* Michigan: University Microfilms International, 1987.
Adams, W. (ed.). *Brain Drain.* New York: Macmillan Company, 1968.
Ahmed, Mohamed M. *Arabimaat (The Arab Countries): Arab Research and Consultation Center OY.* Helsinki, 1981. (Finnish).
Amin, Samir. *The Arab Nation.* Translated from French by Michael Pallis. London: Zed Press, 1978. (Middle East Series; no. 2)
——. *L'Economie arabe contemporaine.* Paris: Minuit, 1980.
Andreski, Stanislav. *The Uses of Comparative Sociology.* Los Angeles; Berkeley, Calif.: University of California Press, 1965.
Annales marocaines de sociologie. Morocco, Rabat, 1968.

Arab Republic of Egypt. *Statistical Yearbook, 1986.* Cairo: Central Agency for Public Mobilization and Statistics, 1986.

Arkoun, Mohammed. *La Pensée arabe.* Paris: Presses universitaires de France, 1975. (Que sais - je?; 915)

Aron, Raymond. *Les Etapes de la pensée sociologique.* Paris: Gallimard, 1967.

——. *Historical and Recent Types in G.B. de Huszar: The Intellectuals: A Controversial Portrait.* Glencoe, Ill.: Free Press, 1960.

Asad and Owen (eds.). *Sociology of «Developing Societies»: The Middle East.* London: Macmillan Press, 1983.

Banton, Michael (ed.). *The Social Anthropology of Complex Societies.* London: Tavistock Publications, 1966.

Barakat, Halim (ed.). *Contemporary North Africa.* London: Croom Helm, ©1985.

Barbulesco, Luc and Philippe Cardinal. *L'Islam en questions.* Paris: Bernard Grasset, 1986.

Batatu, Hanna. *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq: A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes and of Its Communists, Ba'thists and Free Officers.* Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1978. (Princeton Studies on the Near East)

Bellah, R.N. (ed.). *Our Morality and Society.* Chicago, Ill.: University of Chicago Press, 1973.

Berque, Jacques. *Ulémas, fondateurs, insurgés du Maghreb.* Paris: Editions Sindbad, 1982.

Blau, Peter M. *Exchange and Power in Social Life.* New Brunswick, U.S.A.: Transaction Books, 1986.

Blumer, Herbert. *Symbolic Interactionism: Perspective and Method.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice - Hall, 1969.

Bourdieu, Pierre. *Choses dites.* Paris: Minuit, 1987.

——. *The Distinction of Social Critique of the Judgement of Taste.* London: Routledge and kegan Paul, 1980.

——. *Homo académicus.* London: Polity Press, 1988.

——. *Questions de sociologie.* Paris: Minuit, 1984.

——. *Le Sens pratique.* Paris: Minuit, 1980.

Brown, Carl and Norman Itzkowitz (eds.). *Psychological Dimensions of Near Eastern Studies.* Princeton, N.J.: Darwin Press, ©1977. (Princeton Studies on the Near East)

Chombart de Lauwe, Paul Henry. *Pour une sociologie des aspirations: Eléments pour des perspectives nouvelles en sciences humaines.* Paris: Denoël; Gonthier, 1971. (Bibliothèque médiations; 63 - 64)

Cooley, Charles H. *Life and the Student.* 1927.

Coser, Lewis A. *Masters of Sociological Thought: Ideas in Historical and Social Context.* New York: Harcourt Brace Jovanovich Publishers, 1971.

——. *Men of Ideas.* New York: Free Press, 1965.

Dahrendorf, Ralf. *Class and Class Conflict in Industrial Society.* London:Routledge and kegan Paul, 1959.

Ditton, Jason (ed.). *The View from Goffman.* New York: St. Martin's Press; London: Macmillan Publishing Press, 1980.

Dore, Ronald Philip. *The Diploma Disease: Education, Qualification and Develop-*

ment. Berkeley, Calif.: University of California Press, 1976.
Geertz, Clifford and Lawrence Rosen. *Meaning and Order in Moroccan Society.* London; New York: Cambridge University Press, 1979.
Al - Ghambi, Saleh Ziay A. *Educational Research in the University: A Comparative Study of Saudi Arabia and Morocco.* Michigan: University Microfilms International, 1985.
Giddens, Anthony. *New Rules of Sociological Method: A Positive Critique of Interpretative Sociologies.* New York: Basic Books; London: Hutchinson, 1976.
—— and David Held (eds.). *Classes, Power and Conflict: Classical and Contemporary Debates.* Berkeley, Calif.: University of California Press; London: Macmillan Publishers, 1982.
—— and Gavin Mackenzie (eds.). *Social Class and the Division of Labour.* Cambridge: Cambridge University Press, 1982.
Gilsenan, Michael. *Recognizing Islam: Religion and Society in the Modern Arab World.* New York: Pantheon Books, 1982.
Goffman, Erving. *Interaction Ritual: Essays on Face - to - Face Behavior.* Garden City, N. Y.: Anchor Books, 1967.
Al - Gosaibi, Ghazi A. *Arabian Essays.* London: KPI, 1982.
Gouldner, Alvin Ward. *The Future of Intellectuals and the Rise of the New Class: A Frame of Reference, Theses, Conjectures, Arguments, and a Historical Perspective on the Role of Intellectuals and Intelligentsia in the International Class Contest of the Modern Era.* New York: Macmillan Press, 1979.
Gramsci, Antonio. *The Modern Prince and Other Writings.* New York: International Publishers, ©1957. (New World Paperbacks; N W - 78)
—— *Selections from the Prison Notebooks.* Edited by Quintin Hoare and G. N. Smith. London: Lawrence and Wishart, 1971.
Halbwachs, Maurice. *Classes sociales et morphologie.* Présentation de Victor Karady. Paris: Minuit, 1972. (Collection le sens commun)
Häyrynen, Y. - P. *Henkisten Kykyjen Tuottavuus (The Productivity of Intellectual Abilities).* Jyväskylä: University of Jyväskylä, Institute of Social Policy, 1977. (Research Reports; no. 17). (Finnish).
Hussein, Mahmoud. *Class Conflict in Egypt: 1945 - 1970.* Translated from French by Michael and Susan Chirman. New York: Monthly Review Press, 1973.
Huszar, George Bernard de (ed.). *The Intellectuals: A Controversial Portrait.* Glencoe, Ill.: Free Press, 1960.
Ibn Khaldūn, Abdelrahman. *The Muqaddimah: An Introduction to History.* Translated from the Arabic by Franz Rosenthal. New York: Bollingen Foundation, 1958.
Jayyusi, Salma Khadra (ed.). *Modern Arabic Poetry: An Anthology.* New York: Columbia University Press, 1987.
Keddie, Nikki R. (ed.). *Scholars, Saints and Sufis: Muslim Religious Institutions in the Middle East Since 1500.* Los Angeles; Berkeley, Calif.: University of California Press, 1972.
Khatibi, Abdelkebir. *La Mémoire tatouée.* Paris: Denoël, 1971.
Konrad, George and Ivan Szélenyi. *The Intellectuals on the Road to Class Power.* Translated by Andrew Arato and Richard E. Allen. New York: Harcourt Brace Jovanovich; Brighton: Harvester Press, 1979.

Laroui, Abdallah. *The Crisis of the Arab Intellectual: Traditionalism or Historicism.* Translated from French by Diarmid Cammell. Berkeley, Calif.: University of California Press, 1976.

——. *Les Origines sociales et culturelles du nationalisme marocain , 1830 - 1912.* Paris: Maspéro, 1977.

Lemert, Charles (ed.). *French Sociology: Rupture and Renewal Since 1968.* New York: Columbia University Press, 1981.

Lenski, Gerhard Emmanuel. *Power and Privilege: A Theory of Social Stratification.* New York: McGraw - Hill, 1966. (McGraw - Hill Series in Sociology)

Machiavelli, Niccolo. *The Prince.* Translated, with an introduction by George Bull. Harmondsworth, Eng.; Baltimore, Mad.: Penguin Books, 1961. (The Penguin Classics; L 107)

Mannheim, Karl. *Ideology and Utopia: An Introduction to the Sociology of Knowledge.* With a preface by Louis Wirth. New York: Harcourt, Brace and World, 1936.

——. *Man and Society.* London: Routledge and Kegan Paul, 1940.

Marx, Karl and Friedrich Engels. *The German Ideology.* Moscow: Progress Publishers. 1976.

——. *Selected Works.* London: [n. pb.]. 1968.

McGee, Reece Jerome. *Sociology: An Introduction.* 2nd ed. New York: Holt, Rinehart and Winston, ©1980.

Mead, George Herbert. *Mind, Self and Society from the Standpoint of a Social Behaviorist.* Edited by Charles W. Morris. Chicago, Ill.: University of Chicago Press, 1934.

Middle East and North Africa. London: Europa Publishing, 1986 - 1987.

Mills, Charles Wright. *Power, Politics and People.* New York: Ballantine Books, 1939.

—— and Hans Heinrich Gerth. *Character and Social Structure: The Psychology of Social Institutions.* New York: Harcourt, Brace and World, 1953.

Morocco. Ministry of Education. *Maroc en chiffres.* Rabat: The Ministry, 1976 - 1986.

Nieuwenhuijze, Christoffel Anthonie Olivier van. *Social Stratification and the Middle East: An Interpretation.* Leiden: E. J. Brill, 1965.

——. *Sociology of the Middle East: A Stocktaking and Interpretation.* Leiden: E. J. Brill, 1971. (Social, Economic, and Political Studies of the Middle East; v. 1)

Œuvres choisies. Moscow: Editions du Progrès, 1979.

Ossowski, Stanislaw. *Class Structure in the Social Consciousness.* New York: Free Press, 1963.

Parkin, Frank. *Marxism and Class Theory: A Bourgeois Critique.* New York: Columbia University Press, 1979.

Patai, Raphael. *The Arab Mind.* New York: Charles Scribner's Sons, ©1976.

Poulantzas, Nicos. *Political Power and Social Classes.* London: Free Press, 1973.

Qadir, C.A. *Philosophy and Science in the Islamic World.* London: Croom Helm, 1988.

Roberts, David. *The Ba'th and the Creation of Modern Syria.* London: Croom Helm, 1987.

Rodinson, Maxime. *Marxisme et monde musulman.* Paris: Seuil, 1972.

Roff, William R. (ed.). *Islam and the Political Economy of Meaning*. London: Croom Helm, 1987.

Rosenthal Erwin Isak Jakob. *Political Thought in Medieval Islam: An Introductory Outline*. Cambridge, Eng.: Cambridge University Press, 1958.

Russell, Bertrand. *The Impact of Science on Society*. London: Allen and Unwin, 1952.

Al - Saadawi, Nawal. *The Hidden Face of Eve: Women in the Arab World*. London: Zed Press, 1980.

——. *The Cultural Identification and Alienation of the Arab Intelligentsia: A Theoretical Background and Typological Outline*. Joensuu, University of Joensuu, 1984. (University of Joensuu, Research Reports of the Faculty of Education, Sociology of Education; no. 3)

——. *The Cultural Identification and Alienation of the Arab Intelligentsia: An Empirical Study on the Moroccan Educated*. Joensuu: University of Joensuu, 1985. (University of Joensuu, Research Reports of the Faculty of Education, Sociology of Education; no. 9)

——. *Development Between Westernization and Traditionalization and the Role of the Intelligentsia*. Joensuu: University of Joensuu Publications, 1988. (no. 9)

——. *The Sociology of Ibn Khaldun*. Joensuu: University of Joensuu, 1981. (Unpublished).

——. *Yksilökehityksen Dialektiikka: Henri Wallonin Kehityspsykologia (The Dialectics of Development: The Psychology of Henri Wallon)*. Joensuu: University of Joensuu, 1987. (Finnish).

Sarola, J. - P. (ed.). *Uria ja Ulottuvuuksia*. Joensuu: University of Joensuu Publications, 1983.

Sharabi, Hisham Bashir. *Arab Intellectuals and the West: The Formative Years, 1875 - 1914*. Baltimore, Mad.: Johns Hopkins University Press, 1970.

Shaw, George Bernard. *Major Bárbara*. Harmondsworth, Eng.: Penguin Books, 1960.

Snow, Charles Percy. *The Two Cultures and a Second Look*. Cambridge, Eng.: Cambridge University Press, 1959.

Strickland, Lloyd H. (ed.). *Directions in Soviet Social Psychology*. New York: Springer - Verlag, ᶜ1984. (Springer Series in Social Psychology)

Swingle, Paul G. (ed.). *The Structure of Conflict*. New York: Academic Press, 1970. (Social Psychology)

Syrian Arab Republic. *Statistical Abstract, 1986*. Damascus: Central Bureau of Statistics, June 1986.

Turner, John C. *Rediscovering the Social Group*. Oxford: Basil Blackwell, 1987.

Turner, Jonathan H. *Societal Stratification*. London: Columbia University Press, 1984.

UNESCO. *Statistical Yearbook, 1971*. Paris: UNESCO, 1971.

——. *Statistical Yearbook, 1985*. Paris: UNESCO, 1985.

Vygotsky, Lev Semenovich. *Mind in Society: The Development of Higher Psychological Processes*. Edited by Michael Cole... [et al.]. Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1978.

Waterbury, John. *Le Commandeur des croyants: La Monarchie marocaine et son élite*. Paris: Presses universitaires de France, 1975.

Weber, Max. *Economy and Society: An Outline of Interpretative Sociology*. Edited by

Guenther Roth and Claus Wittich; translators Ephraim Fischoff... [et al.]. Berkeley, Calif.: University of California Press, c1978. 2 vols.
——. *From Max Weber: Essays in Sociology*. Edited and with an introduction by H.H. Gerth and C. Wright Mills. New York: Oxford University Press, 1946.
Wertsch. J.V. (ed.). *The Concept of Activity in Soviet Psychology*. New York: M.E. Sharpe, 1979.
Williamson, Bill. *Education and Social Change in Egypt and Turkey*. London: Macmillan Press, 1987.
Wolff, Kurt Heinrich (ed.). *The Sociology of Georg Simmel*. Translated, edited and with an introduction by Kurt H. Wolff. Glencoe, Ill.: Free Press, [1950].
Women's Studies International Forum. *Women and Islam*. New York: Pergamon Press, 1982.
Wright, Erik Olin. *Classes*. Norfolk, U.K.: Thetford Press, 1985.
Wrong, Dennis Hume. *Power: Its Forms, Bases and Uses*. Oxford: Basil Blackwell, 1979. (Key Concepts in the Social Sciences)

Periodicals

Adam, A. «Les Classes sociales urbaines au Maroc.» *Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée:* tome hors série, 1979.
Barakat, Halim. «Socio - Economic, Cultural and Personality Forces Determining Development in Arab Society.» *Social Praxis:* vol. 2, nos. 3 - 4, 1976.
Bill, J.A. «Class Analysis and the Dialectics of Modernization in the Middle East.» *International Journal of Middle East Studies:* vol. 3, 1972.
Bourdieu, Pierre. «Le Capital social.» *Actes de la recherche en sciences sociales:* no. 31, 1980.
——. «Espace social et genèse des «classes».» *Actes de la recherche en sciences sociales:* nos. 52 - 53, 1984.
——. «Le Trois états du capital culturel.» *Actes de la recherche en sciences sociales:* no. 30, 1979.
——. «Une classe objet.» *Actes de la recherche en sciences sociales:* nos. 17 - 18, 1977.
——.«What Makes a Social Class?: On the Theoretical and Practical Existence of Groups.» *Berkeley Journal of Sociology:* vol. 32, 1987.
Brubaker, Rogers. «Rethinking Classical Theory: The Sociological Vision of Pierre Bourdieu.» *Theory and Society:* vol. 14, no. 6, November 1985.
Al - Ebraheem, Hassan Ali and Richard P. Stevens. «Organization, Management and Academic Problems in the Arab University: The Kuwait University Experience.» *Higher Education:* no. 9, 1980.
Galtung, John. «A Structural Theory of Imperialism.» *Journal of Peace Research:* vol. 13, no. 2, 1971.
Gellner, Ernest. «Cohesion and Identity: The Maghreb from Ibn Khaldun to Emile Durkheim.» *Government and Opposition:* vol. 10, no. 2, Spring 1975.
El - Ghannam, Mohammed A. «The Administrative Crisis in Education in the Arab Countries.» *Prospects:* vol. 7, no. 1, 1972.
Green, Arnold H. «A Comparative Historical Analysis of the Ulama and the State in Egypt and Tunisia.» *Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée:* no. 29, 1980.

Hall, John A. «The Curious Case of the English Intelligentsia.» *British Journal of Sociology*:vol. 39, no. 3, September 1979.

Häyrynen, Y. - P. «Formation and Use of Abilities as a Psychological and Social Phenomenon.» *Acta Psychologica Fennica* (Helsinki): 1977.

Héran, François. «La Seconde nature de l'habitus.» *Revue française de sociologie:* vol. 28, no. 3, juillet - septembre 1987.

Huber, Joan. «Symbolic Interaction as a Pragmatic Perspective: The Bias of Emergent Theory.» *American Sociological Review:* vol. 38, April 1973.

Joppke, Christian. «The Cultural Dimensions of Class Formation and Class Struggle: On the Social Theory of Pierre Bourdieu.» *Berkeley Journal of Sociology:* vol. 30, no. 31, 1986.

Khalaf, Samir. «The Growing Pains of Arab Intellectuals.» *Diogenes:* no. 54, Summer 1966.

Lahlou, Abbes. «La Bourgeoisie: Symbole et reflet direct de l'occidentalisation de la société marocaine.» *Civilisations:* vol. 14, 1964.

El - Malki, Habib. «Interview avec H. El - Malki.» *Lamalif:* no. 106, mai 1979.

——. «L'Université marocaine: Enjeu d'une crise de croissance.» *Lamalif:* no. 180, septembre 1986.

Milson, Menahem. «Medieval and Modern Intellectual Traditions in the Arab World.» Intellectuals and Change, *Daedalus*:vol. 101, no. 3, Summer 1972.

Paradeise, Catherine. «Note de lecture sur le sens pratique.» *Revue française de sociologie:* vol. 4, no. 22, octobre - décembre 1981.

Sabour, M'hammed. «Bourdieu: Uusimmat Asiat.» *Sosiologia:* no. 2, 1988. (Finnish).

Sara, Nathir G. «Problems of Educational Research in the Middle East.» *International Review of Education:* vol. 21, no. 1, 1975.

Serbouti, Mohamed. «Le Clientélisme et sa dynamique dans la mobilisation politique au Maroc.» *Al Asas* (Sale, Morocco): no. 72, May 1986.

Shils, Edward. «The Intellectual in Developing Nations.» *Dialogue:* vol. 1, no. 2, 1968.

Souali, Mohamed. «L'Université à l'épreuve de sa mutation.» *Lamalif:* no. 180, septembre 1986.

Thourson, Jones M. «Allocation of Students in North African Universities.» *Higher Education:* vol. 10, no. 3, May 1981.

UNESCO. «Recommendation on the Status of Scientific Researches.» *International Social Science Journal:* vol. 27, no. 4, 1975.

Papers

Al - Rumaihi, Mohamed. «The Historical and Social Bases for Economic Complementarity in the Gulf.» paper presented at: Kuwait, Symposium on the subject, 29/4- 2/5/1978.

مسرد المصطلحات

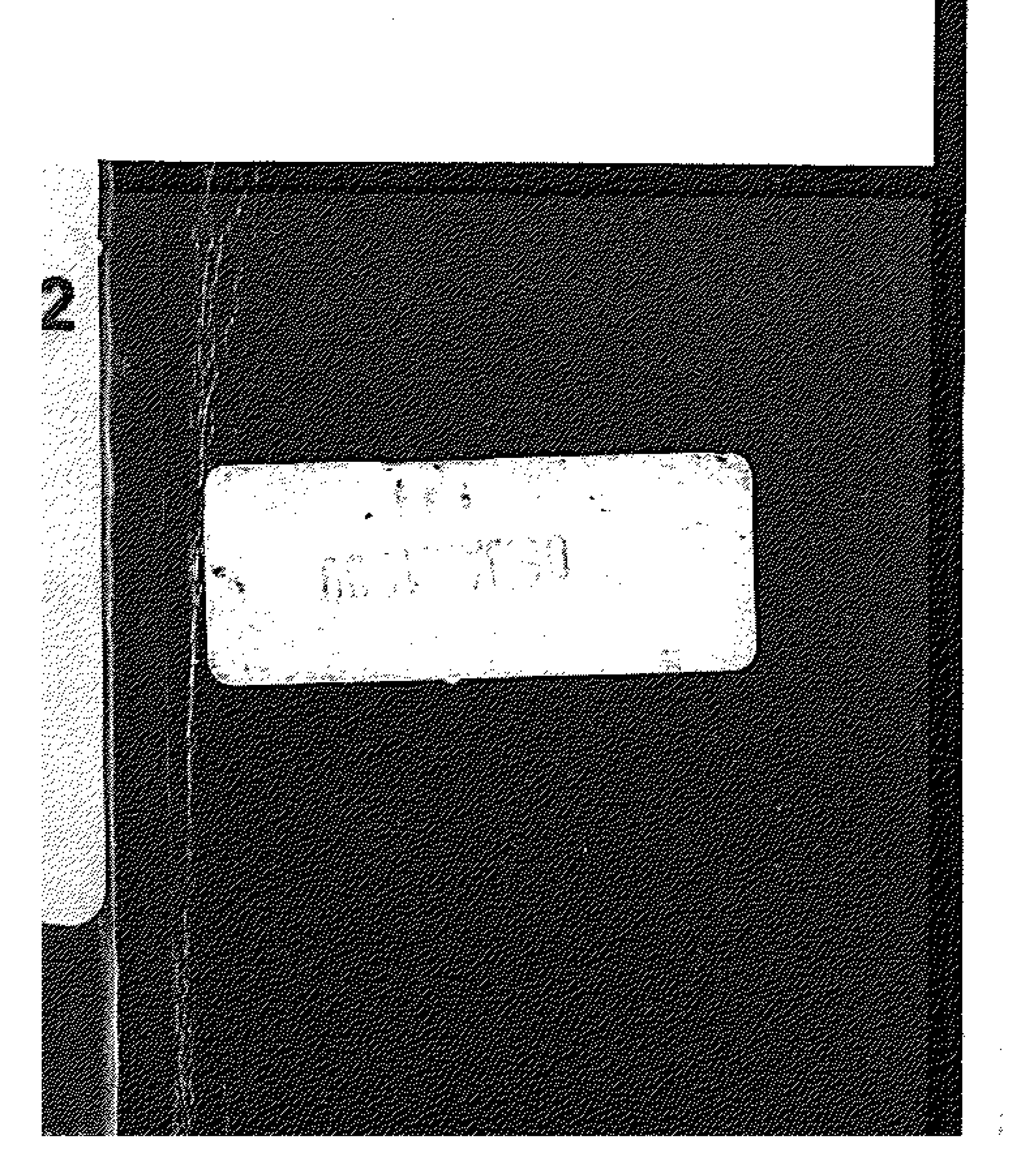
عضو اجتماعي	Agent
اغتراب، استلاب	Alienation
سلطة	Authority
راموز	Code
مؤهلات، مقتضيات	Dispositions
الهابتوس	Habitus
التفاعل	Interaction
التماهي	Identification
نموذج	Model
نمط	Mode
أنموذج	Paradigm
نفوذ، سلطة	Power
موقع	Position
تمثل	Representation
محترمية	Respectability
وجاهة	Prestige
مخالطة اجتماعية	Sociability
خطاطات	Schemes
علموية	Scientificity
بنية منظَّمة	Structured structure
بنية منظِّمة	Structurant structure

فهـــرس

د. امحمد صبور

- ولد في المغرب عام ١٩٤٧.
- حصل على دكتوراه الحلقة الثالثة في علم الاجتماع المعرفي من جامعة يوونانسو، فلندا، عام ١٩٨٥.
- حصل على دكتوراه الدولة في علم الاجتماع التربوي من جامعة يوونانسو، فلندا، عام ١٩٨٨.
- عمل باحثاً للأكاديمية العلمية الفلندية ١٩٨٣ ـ ١٩٨٨
- يعمل أستاذاً لعلم الاجتماع الانمائي، وعلم الاجتماع التربوي في جامعة يوونانسو.
- له العديد من الدراسات عن المثقفين ومشاكل التنمية، من أهمها (بالانكليزية):

  - مكانة وحظوة اللغة والثقافة العربية والفرنسية بين الطلاب المغاربة (١٩٨٢).
  - المثقف والاغتراب الثقافي (١٩٨٤).
  - المثقف المغربي والموروث الثقافي (١٩٨٥).
  - آفاق التنمية في العالم العربي (١٩٨٦).
  - دور المثقفين في عملية التنمية (١٩٨٧).



مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون
ص. ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣ ـ بيروت ـ لبنان
تلفون: ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧ ـ ٨٦٩١٦٤
برقياً: «مرعربي»
تلكس: ٢٣١١٤ مارابي. فاكسيميلي: ٨٦٥٥٤٨